تأسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

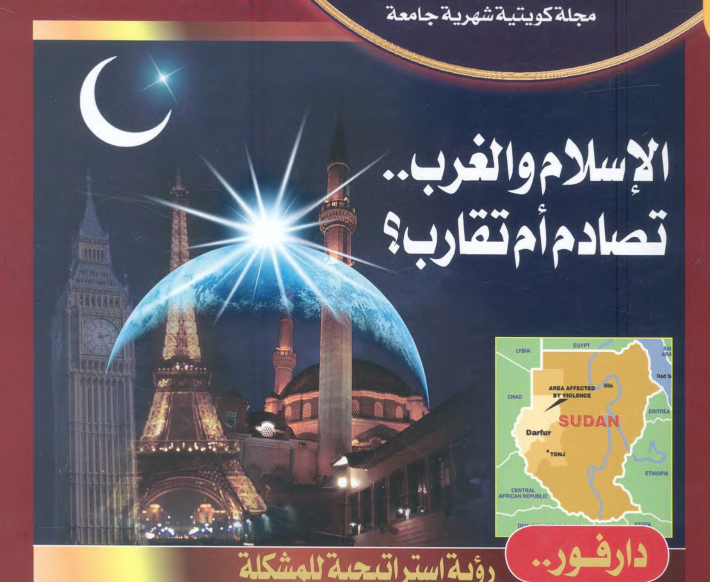
الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٢٥) جمادى الأولى ١٤٣٠هـ - مايو ٢٠٠٩م

الخرافي: الوحدة الوطنية في هدي الآل والأصحاب.. تجربة رائدة



الإسلام والغرب.. تصادم أم تقارب؟

دارفور.. رؤية استراتيجية للمشكلة

السرقات العلمية.. ظاهرة العصر

الصحافة في فكر رواد النهضة المسلمين

حول نكاح أهل الكتاب

المرأة المسلمة ومجال العلم الشرعي

خطر الفتوى







الافتتاحية



خطر الفتوى

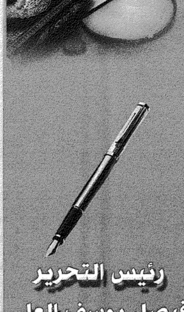


من الضرورة أن نعطي الواجب حقه من الواقع، والواقع حقه من الواجب، وإلا ضاع الواجب والواقع بين تفلت من الواجب، وغربة عن الواقع، وما أحوجنا لضبط الفتاوى، التي تراوحت بين شدة في غير موضعها، وسهولة في غير محلها، فاستحالت السهولة إلى تساهل، والشدة إلى غلو وتنطع، فالأمة بحاجة إلى فقيه النفس الذي يكشف حقيقة الأشياء والمقاصد، والفقيه الموصول بالأثر، ومعرفة الواقع والأخبار، المرتبط بالأصل، والمتصل بالعصر.

ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يُبَلَّغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا إلا لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالماً بما يبلغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله، وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أولى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات، فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدّته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه، كيف لا، وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب،

وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غداً وموقوف بين يدي الله. وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، عبدالله ورسوله، وأمينه على وحيه، ثم قام بالفتوى بعده أهل الإسلام وعصابة الإيمان، وعسكر القرآن، وجند الرحمن، الصحابة الكرام، ألين الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأحسنها بياناً، وأصدقها إيماناً، وأعمها نصيحة وأقربها إلى الله وسيلة، وكانوا بين مكثر منها ومقل ومتوسط، وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فهذا حال السلف رضوان الله عليهم من الورع، بأنهم لا يُنَصِّبون أنفسهم للفتوى إلا بعد استكمال شروطها، ومع أنهم قد جمعوا العلوم المشروطة في الفتيا فإنهم كانوا كثيراً ما يمتنعون تورعاً.

وفي هذا الزمان انتحل صفة المجتهد من نزل عن درجة المقلد البصير، واستنسر البُغاث واستبحر الغدير، ومازالت الهمم تتقاصر، فمات العلم، وقد جاء الوعيد الشديد لمن يفتي وليس من أهل الفتوى، فليسمع هذه النصيحة من يخاف على دينه، وليعرض عن طلب الرئاسة في غير وقتها، فقد قال الحكماء: من تصدر وهو صغير فاته علم كثير، وقال بعض العلماء: قلّ من حرص على الفتيا، وسابق إليها، وثابر عليها، إلا قلّ توفيقه، واضطرب في أمره.



رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٢٥

العام السادس والأربعون

جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ

مايو ٢٠٠٩ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

مدير التحرير

ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

عبادة السيد نوح

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

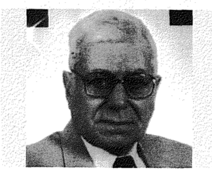
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

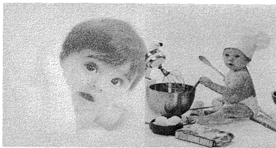
info@alwaei.com

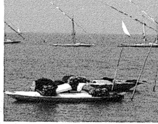
manager@alwaei.com











التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/١٨٤ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

موضوع الغلاف



هناك فجوة كبيرة بين الإسلام والغرب تتركز في محور انعدام الثقة، ولعل حوارات الحضارات والأديان تنجح في بعث الاحترام المتبادل بين الطرفين لاسيما أن مسلمي الغرب لا يزالون يعانون من التضييق والتهميش.

داخل العدد

كلمة العدد

مسؤولية الشباب

انطلاقاً من دور وزارة الأوقاف الاستراتيجي في توعية المجتمع أقامت إدارة التنمية الأسرية مؤتمرها الثاني تحت شعار «المسؤولية كما يفهمها الشباب» لتسلط الضوء على دور الشباب تجاه وطنه ومجتمعه وأسرته ودينه ونبيه ﷺ وكذلك تجاه نفسه.

وتولي الوزارة الجانب الأسري اهتماماً غير مسبوق من خلال تفعيل دور كل أفراد الأسرة في النواحي الاجتماعية والثقافية والتنموية، وتنشئة الأطفال تنشئة إسلامية متكاملة.

ولعل التركيز على فئة الشباب جاء باعتبارهم عماد أي مجتمع ومصدر قوته ويده الفاعلة العاملة في الحاضر والمستقبل لاسيما أن هذه الفئة تمثل 34 % من نسبة سكان المجتمع الكويتي وفق هيئة المعلومات المدنية لعام 2008.

وتسعى الوزارة إلى إعداد هؤلاء الشباب بالتوفيق بين أحدث النظريات في مجال التربية وبين خصائص بيئتنا العربية الإسلامية المحافظة والمزج بين التجديد والتطوير وملاءمة سمات عصر العولمة وبين التأصيل الشرعي ما شأنه بناء جيل متفاعل مع عالمه ومزود بما يحضه ويستشعر المسؤولية بما يتناسب مع أهمية الرسالة التي يحملها.

الوعي الإسلامي

الأسعار

•الكويت: ٥٠٠ فلسا •السعودية: ٧ ريالات •البحرين: ٥٠٠ فلس •قطر: ٧ ريالات •الإمارات: ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن: دينار واحد •مصر: ٢ جنيه •السودان: ٥٠٠ جنيه •موريتانيا: ٢٠٠ أوقية •تونس: ٢ دينار •الجزائر: ١٠ دنانير •اليمن: ٧٠ ريال •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة •سورية: ٣٠ ليرة •المغرب: ١٠دراهم •ليبيا: دينار واحد •اوروبا: ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم: ٣ دولارات أو مايعادلها.

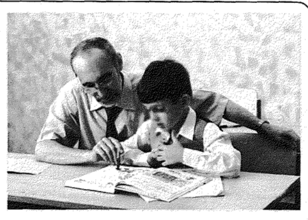
الاشتراكات

• داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا
• الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
• دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



كيف نربي أطفالنا على المطالعة في الصغر؟



المطالعة هي تربية وهواية واذا اعتاد الطفل عليها منذ صغره اصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته، والمطالعة بكل أنواعها هي ثقافة وتكوين للشخصية ولربما اصبح هذا الطفل يوما كاتبا او شاعرا أو عالما.

إذن كيف نربي اطفالنا على المطالعة من الصغر؟

أولا: يجب اصطحاب الطفل الى المكتبات ثم التجول في صفوفها وبين رفوفها ثم الوقوف بالجهة او الجناح المخصص للأطفال، فحسب السن والمستوى التعليمي للمتعلم يتم شراء ما أحب الطفل بإرشادات من المربي، ويكون التدرج في الاختيار، بداية بالمجلات التي تغلب عليها الصور أكثر من الكتابة ثم نسير نحو العكس، ويستحسن أن يقتني المربي من حين لآخر مؤلفاً أو مجلة لنفسه أو على الأقل يكون الطفل قد شاهد هذا المربي وهو يبحث ويتفحص الكتب والعناوين، وبفضل هذه الزيارات للمكتبة سيتعود الطفل على هذه الأماكن، وعند كبره سيذهب وحده معتمدا على نفسه في اختيار واقتناء الكتب والمجلات.

ثانيا: يجب ان تكون بالبيت خزانة خاصة بالكتب، فالطفل سيعتبرها جزءا من اثاث المنزل ويكون قد تعود على هذا المشهد الثقافي من حوله، وحبذا لو كان الأبوان او احدهما يزور الخزانة ويطالع محتوياتها من فترة لأخرى، وبالنسبة للطفل يخصص له مكان بخزانة المنزل ليضع فيه مجلاته وكتبه، وكلما زاد عددها خصص له مكان اوسع او خزانة صغيرة مجاورة.

الطفل سيستأنس بهذا المكان ويوما من الأيام سيبدأ هو كذلك يتفحص كتب ومجلات الكبار، أخيرا الكتاب خير أنيس فهو معك أين رحلت أو ارتحلت، وخير معلم، لا يحل محله التلفاز ولا الانترنت، وخاصة اذا ابتدأ الطفل المطالعة منذ نعومة أظافره وهو لا يميز الا الصور.

■ **عبدالصمد عيار**

حلم المصاخيط

إن حلم الغنى والثراء الفاحش أصبح يراود الكثير والكثير، وحلم الحياة الرغدة والعيشة المنعمة أصبح يسكن وجدان الشباب، أما العمل الجاد، والمكسب الحلال فأصبح وهما، إذا تحدث عنه أحد رموه بالجنون، وقالوا له «عمرك ما هتوصل»، وكأن الوصول عندهم هي محطة كتب عليها محطة الأغنياء.

لذلك لجأ العديد من الشباب الحالم بالمكسب السريع الى التفكير في البحث عن المصاخيط، ويقصدون بالمصاخيط الآثار المصرية، فلجأوا الى الدجالين والنصابين يبحثون عن أنواع معينة من البخور والزئبق الأحمر، الأمر الذي كلفهم كل ثروتهم.. تلك الجنيهات التي كانت ثروتهم فقدوها، وفقدوا معها الثقة في أنفسهم، وراء البحث عن المصاخيط، حتى يجمعها النصابون والدجالون، ويعيشون حياة الترف والإسراف، ويعيش هؤلاء الحالمون ظلمة اليأس، أو يسكنون مستشفيات المجانين، أو يسيرون في الشوارع يعرفهم الناس وهم لأنفسهم لا يعرفون.

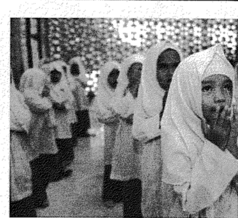
أيها الشباب يقول تعالى ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ (الكهف: ٣٠)، وتقول الحكمة «من جد وجد ومن زرع حصد».

فيا أيها الشباب، اتقوا الله في أنفسكم واعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

وإن كنتم تبحثون عن المصاخيط فانظروا الى من سبقوكم تجدوهم أصبحوا مصاخيط أما الثروة الحقيقة فهي في انفسكم أفلا تشعرون.

■ **رضا أبو الغيط المحامي**

نصرة الله



مرت علينا ذكرى المولد النبوي الشريف حيث ولد المصطفى ﷺ في شهر ربيع الأول، فأربع الدنيا كلها وحول ظلامها الحالك الى نور وضياء في كل المسالك، ويهمني هنا ان انوه الى شيء مهم يفتقده المسلمون في حياتهم المعاصرة حيث اسست رسالة المصطفى ﷺ على النصرة.

فلقد نصر الضعيف فنصره الله عز وجل وأيده، والمسلمون اليوم يفتقدون نصرة بعضهم ونصرة قضاياهم.

وأخوتهم تقتضي النصرة والالتزام بهديه ﷺ «انصر أخاك ظالما أو مظلوما...» (البخاري)، فأين هي النصرة للمسلمين في العالم أجمع؟ والنصرة في الأخوة قبل مطالبة الآخرين بها، ولكن وللأسف فقد جاوز الظالمون المدى بسبب عدم النصرة.

■ **عبدالله الحسين محمد**

رسالة الى الوطن الجريح

إليكم أيها المسلمون جميعاً، إليكم أيها العرب أقول: حبكم مواسم، عطفكم مواسم، وحتى دعاؤكم أصبح مواسم، ونحن عذابنا كل المواسم، انتم تنعمون ونحن مشردون، أنتم آمنون ونحن خائفون، أوما تعلمون يا مسلمون أننا جسد واحد.

حسبي الله ونعم الوكيل

إمضاء، طفلة فلسطينية

منى رضا الجداوي



من أطفال الحجارة

يا أطفال العالم، هل سألتم أنفسكم، ولو مرة واحدة، لماذا يواجه اطفال فلسطين ما يواجهونه من حصار وجوع وحرمان وتشريد ودمار؟!

ألم تحاولوا التفكير في هذا الأمر الخطير؟!

يا أطفال العالم نحن أطفال فلسطين نناجيكم، فنحن أطفال مثلكم، ألا يحق لنا العيش ولو للحظات بعيداً عن الرعب والدمار والذل والهوان والاستعباد؟!

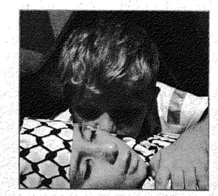
يا أطفال العالم لقد نفد ما عندنا من خبز وماء ووقود، لقد نفد ما عندما من نقود، ألا يحق لنا العيش بأمن واستقرار في دولة ذات حدود؟!

ألا يحق لنا أن نذهب إلى مدارسنا ونتعلم أن العدل يوماً سيسود مهما وضع الظالم من قيود؟!

يا أطفال العالم، ألا يحق لنا أن نمرح ونلعب بالأزقة والحارات؟!

ألا يحق لنا أن نكبر في جو يملؤه الحب والحنان بين أحضان الأباء والأمهات؟!

ألا يحق لنا أن نستيقظ يوماً على الصوت الحنون للأمهات لا على صوت الرصاص والطائرات والدانات؟!



ألا تعرفون من نحن؟!

نحن أطفال الحجارة، ولدنا تحت الاحتلال وكبرنا مع الانتفاضة والرفض وعدم القبول بالذل والعدوان.

أين أنتم أيها المتحدثون عن الحرية وعن حقوق الإنسان أو حتى عن حقوق الحيوان؟!

ألا تدافعون عن حقوق الأطفال؟!

كم سمعنا عن وعود بوطن مستقل ودولة وحدود!!

يا أطفال العالم نحن لا نخاف الموت، ولا نخشى الجراح ولا الألم، كل ما نخشاه الفرقة والانقسام والعدم!.

■ **محمد السيد عامر**

هيئة الفتوى الشرعية بالكويت

- تعريفها ورؤيتها ومنهجها-

عرفت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (هيئة الفتوى) بأنها: جهاز مستقل يصدر بتشكيله قرار وزاري سنوي، ويستهدف تحقيق الغرض التالي: بيان الحكم الشرعي في القضايا العامة والخاصة والمستحدثة المطروحة داخل وخارج الكويت (1).


مسعود صبري

بداية الإفتاء في الكويت

بدأت الفتوى بالكويت في شكل يسير يتناسب مع يسر الحياة الاجتماعية لأهل الكويت قبل ظهور النفط، وتكاد تنحصر أسئلة الناس حول فتاوى العلاقات الأسرية بين الأفراد والعوائل، أو العلاقات التعاقدية بين التجار والنواخذة من جهة، وبين الناس المستأجرين للغوص أو السفر من جهة أخرى، أو كانت تتعلق بالمنازعات القبلية أحيانا.

ولم يبدأ الإفتاء رسميا في ظل هذه الأوضاع الأولى، فكان الناس يذهبون إلى المشايخ ممن يثقون بعلمهم يسألونهم في المساجد ونحوها، وهو شكل من أشكال الفتاوى مازال موجودا إلى يومنا بجوار الإفتاء الرسمي.

و يعتبر الشيخ عبدالله بن خالد العدساني هو أول مفت رسمي للبلاد، حيث كلف بالفتوى من قبل المرحوم الشيخ سالم المبارك الصباح الحاكم التاسع لدولة الكويت (١٩١٦ - ١٩٢٠)، غير أن هذا التعيين لم يدم إلا سنة ونصف، فقد توفي قاضي الكويت الشيخ عبدالعزيز العدساني، فتفرغ ولده الشيخ عبدالله العدساني للقضاء.

ومع هذا، فقد عرف عدد من علماء الكويت بالفتوى، وكانوا مرجع الناس فيها، منهم: الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان، و الشيخ يوسف بن حمود، والشيخ عبداللطيف العدساني، والشيخ جمعة بن جودر، والشيخ محمد بن عبدالله بن فارس التميمي، والشيخ محمد بن جنيدل، والشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد البداح، والشيخ عبدالوهاب بن عبدالله بن محمد الفارس، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن محمد فارس، والشيخ أحمد بن خميس الجبران، والشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة، وغيرهم، فكان الناس يلجأون إليهم في مسائلهم وفتاويهم، ويعتبرونهم مرجعيتهم الشرعية في حياتهم.

آثار فقهاء الكويت في الإفتاء

رغم كثرة عدد الفقهاء والمفتين بالكويت قديما وحديثا، فإنه لم تسجل كل فتاوى علماء الكويت، ولكن وثق منها عدد لا بأس به، وإن لم يعطنا الصورة الكاملة لجهد فقهاء الكويت في الإفتاء(٢).

ومن تلك الكتب التي حفظت:

١- سؤالات علامة الكويت، الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان، لعلامة الشام الشيخ عبدالقادر بن بدران، المسماة (العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية)، وهو كتاب يتضمن ثلاثين سؤالا من الأسئلة الدينية وجهها الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان إلى محدث الديار الشامية في حينه الإمام ابن بدران: عبدالقادر بن أحمد، وذلك سنة ١٣٤٦هـ. اعتنى بطبعه الدكتور الطاهر الأزهر خذيري، إصدار مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف بالكويت، ويقع في أزيد من أربعمائة صفحة.

٢- الأجوبة النافعة عن الأسئلة الواقعة، للشيخ عبدالوهاب الفارس، الوكيل المساعد سابقا في وزارة الأوقاف.

٣- درة الغواص في حكم الذكاة بالرصاص، وهي جواب لسؤال مؤرخ الكويت الشيخ عبدالعزيز الرشيد للعلامة الشيخ عبدالقادر بن أحمد بن بدران الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر العجمي، طبع مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. وهي رسالة لطيفة تقع في قرابة خمسين صفحة.

٤- الأحكام المفيدة من الأقوال السديدة، تأليف الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل سند، إصدار: مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف، ويقع في أزيد من مائتي صفحة.

٥- من غريب ما سألوني، للشيخ عبدالله النوري.

٦- سألوني في العقيدة، للشيخ عبدالله النوري.

٧- مجموعة الفتاوى الشرعية، والتي تصدرها هيئة الفتوى الشرعية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

٨- يضاف إلى هذا بعض ما نشره أساتذة الشريعة بالكويت من كتب خاصة.

الفتوى بالكويت اختصاص وزارة الأوقاف

ولأهمية الإفتاء فقد أسند هذا الاختصاص الحيوي لوزارة الأوقاف بموجب المرسوم الأميري الذي ينص على: بعد الاطلاع على المادة ٧٣ من الدستور وعلى المرسوم الأميري رقم ٢ لسنة ١٩٦٢ بإعادة تنظيم الوزارات والمراسيم المعدلة له، وعلى مرسوم تشكيل الوزارة الصادر في ٨ من ربيع الأول سنة ١٣٨٩هـ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٧٨م، وبناء على عرض رئيس مجلس الوزراء، وبعد موافقة مجلس الوزراء..رسمنا بالآتي: مادة ثانية «تختص الوزارة بالإفتاء فيما يطلب من الوزارة من استفسارات دينية وفقهية» (٣).

استقلالية لجنة الفتوى

فهيئة الفتوى بالكويت هي هيئة دينية شرعية لا تخضع لسلطان

أحد، سواء أكان جهة رسمية أو غير رسمية، وقد أكدت ذلك القرارات الوزارية، ولم يتدخل أي أحد في عمل اللجنة، ولا في فصل أحد الأعضاء، أو ممارسة أية ضغوط عليها بأي شكل من الأشكال.

أما تبعية الهيئة لوزارة الأوقاف، فهي تبعية من حيث التنظيم والإدارة وتوفير ما تحتاجه الهيئة من المقر والخدمات وكل ما ييسر لها عملها الشرعي.

التأريخ للجان الفتوى بالكويت

صدر أولا القرار الإداري رقم ٢١ لسنة ١٩٦٩م بتشكيل لجنة الفتوى، والتي تكونت من السادة العلماء التالية أسماؤهم:

- الشيخ عبدالله النوري (رئيسا).
- الشيخ أحمد محمد الأحمر.
- الشيخ رضوان رجب البيلي.
- الشيخ حسن مراد مناع.
- الشيخ محمد الأشقر.

و غلب على عمل هذه اللجنة العمل الشفهي، فلم تكن تسجل جلسات اللجنة.

واستمر الحال ما يزيد على سبع سنوات، ثم صدر القرار الوزاري رقم ٩ لسنة ١٩٧٧ بإعادة تشكيل لجنة الفتوى من العلماء التالية أسماؤهم:

- الشيخ عبدالله النوري (رئيسا).
- الشيخ بدر المتولي عبدالباسط.
- الشيخ حسن مراد مناع.
- الشيخ عطية محمد صقر.
- الشيخ محمد سليمان الأشقر.

وكانت اللجنة تختار مقررا لها من بينها، ثم تم اختيار الشيخ مشعل مبارك عبدالله الأحمد الصباح (وهو من خريجي كلية الشريعة بجامعة الملك عبدالعزيز سابقا، أم القرى حاليا) وذلك سنة ١٩٧٨م، ونظرا لوفاة الشيخ عبدالله النوري- رحمه الله- ولانتهاء عمل الشيخ عطية صقر بالكويت، فقد صدر القرار الوزاري رقم ٣١٢ لسنة ١٩٨٢م بتشكيل لجنة الفتوى، فأضيف إليها الدكتور خالد المذكور، والدكتور عبدالستار أبوغدة، وعين الشيخ مشعل مبارك الصباح مقررا، والشيخ أحمد سالم غيث نائبا للمقرر، وتولى الشيخ بدر المتولي عبدالباسط رئاسة اللجنة.

وفي عام ١٩٨٣م صدر القرار الوزاري رقم ١٧١ بتعديل تسمية لجنة الفتوى إلى الهيئة العامة للفتوى، وقسمت إلى لجنتين: لجنة تختص بالإجابة عن الأحوال الشخصية، والأخرى عن الأسئلة العامة.

كما زاد عددها مع هذا التعديل الجديد، كان أشهرهم الشيخ جاسم مهلهل الياسين، وفي سنة ١٩٨٤م ضم للجنة الدكتور عجيل النشمي، وفي عام ١٩٨٧م صدر قرار وزاري بتعديل اسم «مكتب الإفتاء» إلى «إدارة الإفتاء»، مع وضع نظام لها، وضم إليها الدكتور محمد عبدالغفار الشريف عضوا، والشيخ عيسى أحمد العبيدلي نائبا للمقرر، وهو الآن مدير قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية والمخطوطات.


أعضاء هيئة الفتوى في زيارة لأمير البلاد

وظلت اللجنة على عملها حتى العدوان العراقي الغاشم على الكويت، وبعد التحرير عادت إدارة الإفتاء تزاول نشاطها، وقد ضم إليها عام ١٩٩٣م الدكتور أحمد الحجي الكردي.

وفي عام ١٩٩٢ صدر قرار وزاري رقم ١٦٨ لضم إدارة الإفتاء وإدارة البحوث (الموسوعة الفقهية) باسم «إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية»، وتكون ملحقة بالسيد وكيل الوزارة، ثم انضمت إليها: إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية، وإدارة الشؤون العامة (المسجد الكبير)، وفي ١٩٩٥/٧/٥م صدر القرار الوزاري بتسمية الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية باسم قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، وتضم: إدارة الإفتاء، وإدارة البحوث والموسوعات الإسلامية، وإدارة المكتبات.

وفي سنة ١٩٩٧م انضم إلى اللجنة الدكتور حسن الشاذلي، وفي عام ٢٠٠٢م تم تعيين الدكتور محمد عبدالرزاق الطبطبائي إلى اللجنة (٤).

أشكال الفتوى

تتعدد أشكال الفتوى بهيئة الفتوى الشرعية بالكويت إلى ما يلي:

١- الفتوى الشفهية، سواء أكانت فردية أم جماعية.
٢- الفتوى المكتوبة، شعبية كانت أم رسمية.
٣- الفتوى على الإنترنت.
٤- الفتوى على الهاتف.

منهج هيئة الفتوى

يمكن تلخيص أهم السمات المنهجية لهيئة الفتوى الشرعية بالكويت فيما يلي:

١- تغليب التيسير في المسألة إن اقتنعت به، حتى لا توقع السائل في الحرج، ولا تتشدد في الأحكام، بل تحمل الناس على الرفق.

ومن نماذج التيسير في الفتوى: فتوى دفع زكاة الفطر نقداً.

٢- التزام التخير من المذاهب الأربعة، وعدم الخروج عنها، إلا في القليل النادر، إذا رأت اللجنة في رأي ما دليلا يستند إليه، ومصلحة أكيدة تدفع إلى ذلك.

٣- تجنب تناول القضايا التي تعرض في ساحة القضاء أمام المحاكم، ولا تتدخل إلا بطلب رسمي من الجهات المختصة.

٤- عدم الالتزام بذكر الأدلة التفصيلية- خاصة في الفتاوى القديمة-، واعتبار أن مجال ذكر الأدلة هو البحوث الشرعية وليست الفتاوى، خشية التشويش على المستفتي، إلا أن يكون المستفتي أهلا للإحاطة بالأدلة الشرعية.

٥- التمهل في الإجابة على الأسئلة، وتأخير الإجابة أحيانا حتى تجمع معلومات كافية حول السؤال، وربما بعثت أحد الأعضاء خارج الوزارة لمعرفة الواقع، ورفع تقرير يمكن من خلاله إيجاد صورة واضحة يمكن معها الفتوى عن السؤال بشكل تطمئن إليه اللجنة.

٦- البعد عن المسائل السياسية البحتة، سعيا لنزاهة عمل اللجنة، وإبعادا لها عن أي تأثير، وحرصا أن يبقى عمل اللجنة علميا بحتا، كما تبتعد عن القضايا والمسائل التي تثير حساسية اجتماعية أو طائفية في المجتمع، كالمذاهب الفقهية، والسنة والشيعة، والبدو والحضر ونحو ذلك.

٧- الإحالة- أحيانا- إلى جهات علمية أخرى في مجال الإجابة عن بحث تخصصي، أو جهة إدارية، وهو من قبيل سؤال أهل الذكر.

٨- مراعاة أعراف السائلين، واختلاف بلدانهم، وربما أحالت اللجنة السائل إلى فقهاء بلده، حتى تعرف خبايا المسائل بشكل دقيق ومفصل مما قد يخفى عليها.

٩- الاعتذار عن إجابة ما لم يسبق للمجامع والمؤسسات الفقهية الإجابة عنه، والانتظار لمزيد من البحث والدراسة في المسألة حتى تقف على إجابة شافية.

١٠- التوازن في الإجابة بين الإفراط والتفريط، والتشدد والتساهل، في حدود الأدلة الشرعية المعتبرة، فلا هي تتجاوز الأحكام الشرعية المتفق عليها، ولا أن تشدد على الناس في المسائل الخلافية التي يكون فيها للناس سعة.

١١- الاكتفاء بالإجابة على السؤال دون الخروج عن حدود المسؤول عنه، ولا ذكر الخلافات الفقهية ومناقشة الأدلة، فجاءت إجابات اللجنة- غالبا- قصيرة غير مسهبة بالتفاصيل أو الافتراضات، ولا متوسعة في الآراء والأقوال، ولا مستفيضة في الأدلة الشرعية.

١٢- غلبة الطابع العملي، والبعد عن الافتراضات غير الواقعية.

طريقة الإفتاء

وتتمثل طريقة الإفتاء في عرض السؤال على اللجنة، وأن يدلي كل عضو برأيه، فإما أن يتفق أعضاء اللجنة كلهم على رأي، فيخرج برأي اللجنة كلها، أو يخالف بعض الأعضاء، فتخرج الفتوى بالأكثرية، مع تسجيل رأي المخالف.

وقد تحيل اللجنة بعض الأسئلة إلى بعض أعضائها ليتولى هو الإجابة عن السؤال، وذلك إما لمصلحة عامة، أو لتفهم ظروف السائل، والاتصال بأصحاب العلاقة فيه أو غيره.

وفي مسائل الطلاق، لا بد من حضور الزوج والزوجة، أو في حالات النزاع لا بد من حضور جميع الأطراف حتى يسمع من الجميع.

تدوين الفتاوى

لاعتبار أن لجنة الفتوى لجنة رسمية، فقد سجلت اجتماعاتها منذ عام ١٩٧٧م في محاضر رسمية، دونت فيها الأسئلة المقدمة والبيانات التوضيحية والنقاش القائم بين اللجنة والمستفتين والإجابة المعتمدة، وتعتبر تلك المحاضر سرية لا يطلع عليها إلا أصحابها، أو من تستدعي الظروف الخاصة من عائلية ودينية واجتماعية الاطلاع عليها، بعد موافقة السيد المدير العام لإدارة الإفتاء والبحوث الشرعية بتصريح خاص منه.

ولكن الفتاوى من حيث الأسئلة والأجوبة، فهي تصدر في مجلدات بعنوان «مجموعة الفتاوى الشرعية».

عدد الفتاوى المجاب عليها

وتتنوع مهام واختصاصات وإنجازات إدارة الإفتاء، حيث تتلقى يوميا العديد من الأسئلة الرسمية وغير الرسمية من داخل الكويت وخارجها حيث تقوم هيئة الفتوى بالرد عليها، ويزيد عدد الأسئلة التي ترد إلى الإدارة خلال السنة الواحدة على ٣آلاف سؤال، فيما يزيد عدد الفتاوى الصادرة عن هيئة الفتوى ولجانها خلال المدة نفسها على أكثر من ٢٥٠٠ فتوى، وتصل عدد الجلسات المنعقدة للنظر في الاستفتاءات المعروضة على هيئة الفتوى ولجانها إلى أكثر من ٨٠٠ جلسة، وتنظر سنويا في قرابة ١٠٠٠ حالة طلاق، هذا فضلا عن عشرات الجهات التي يتم مخاطبتها تحت عنوان: «لمن يهمه الأمر» لتوضيح الأحكام الشرعية في قضايا بعينها.

كما تقوم خدمة الإنترنت، والتي يتولاها الدكتور أحمد الحجي الكردي، فيجيب عن أزيد من ألفي (٢٠٠٠) سؤال سنويا.

أعمال هيئة الإفتاء الشرعية

أ - إصدار الفتاوى الشرعية المتنوعة.

ب - الإصدارات الفقهية:

على صعيد الإصدارات قامت إدارة الإفتاء بإصدار سلسلة تضم فتاوى هيئة الإفتاء ولجانها في المواضيع كافة تحت عنوان سلسلة «مجموعة الفتاوى الشرعية» مع فهرس شامل لفتاوى السلسلة لكل عشر سنوات، وسلسلة «المختارات الموضوعية» من الفتاوى الشرعية مثل فتاوى «الحج والعمرة» و«فتاوى المغتربين والمسافرين» و«كتاب الصيام» و«كتاب الزكاة»، وسلسلة «رسائل التوجيه والتثقيف الشرعي» في بعض القضايا الفقهية التي تتضمن حلولا شرعية لبعض المشكلات الأسرية والاجتماعية.

ج – مشاريع الفتوى:

وتترجم إدارة الإفتاء فلسفتها وأهدافها في مجموعة من المشاريع القيمة المتمثلة في طباعة نشرة و مطوية «وسطية الإسلام ونبذ التطرف» نشرة «القروض الاستهلاكية» وبعض الأجزاء من سلسلة مجموعة الفتاوى الشرعية، و كتاب «أحكام الزكاة» من سلسلة المختارات الموضوعية من الفتاوى الشرعية، واستكمال إدخال فتاوى العالم الإسلامي إلى الحاسوب الآلي، وإعداد وطباعة كتاب «أحكام النساء في الإسلام» من سلسلة المختارات الموضوعية من الفتاوى الشرعية، ومطوية «نصائح الآباء في تربية الأبناء»، وفهرسة أجزاء مجموعة الفتاوى الشرعية ووضعها مع الفهرس الشامل الخاص بها على قرص مدمج (CD)، وإصدار المجموعة الأولى للفتاوى الصادرة عن طريق الإنترنت على قرص مدمج (CD) مع برنامج متعدد الخدمات، وترجمة كتاب فتاوى المغتربين والمسافرين مع البرمجة على (CD)، وإعادة طباعة كتاب «نحو أسرة مسلمة سعيدة» متضمنا مطوية نصائح للزوجين.

الهوامش

(١) راجع: موقع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية على الإنترنت، في تعريف قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية.. http://www.awkaf.net/min-sec-eftaa.html

(٢) راجع: هيئة الفتوى الشرعية في الكويت، إعداد: إدارة الإفتاء، ص: ٣٩ -٤٦، طبع سنة: ١٣٢٤هـ = ٢٠٠٣م، و مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، الجزء الأول.

(٣) راجع: مقال عن هيئة الفتوى، بمجلة العالمية - شوال ١٤٢٨ هجرية - نوفمبر٢٠٠٧ م - العدد (٢١١) - السنة التاسعة عشر.

(٤) راجع: هيئة الفتوى الشرعية في الكويت، إعداد: إدارة الإفتاء، ص: ٤٦ -٥٥، طبع سنة: ١٣٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

في محاضرة بكلية التربية الأساسية

الخرافي: الوحدة الوطنية في هدي الآل والأصحاب.. تجربة رائدة

تنطلق مبرة الآل والأصحاب من أرض الكويت لتصدح بعظم العلاقة الحميمة بين الآل والأصحاب رضي الله عنهم أجمعين، تلك العلاقة التي ينبغي أن يتعرف عليها كل مسلم ليعالج ما تصدعت به الرؤوس من تعتيم حول هذه العلاقة السامية التي يعني كتمانها إعطاء فرصة للمغالين والمغرضين والطائفيين للعمل على شق الصف المسلم، لذلك فإن العلاقة الحميمة بين آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الأطهار الأبرار تعد أعظم داعم للوحدة الوطنية وأكبر حجر عثرة أمام الطائفية البغيضة، فهي نموذج رائد لتجربة رائدة على طريق الوحدة الوطنية.. هذا ما افتتح به د.عبدالمحسن الجارالله الخرافي رئيس مبرة الآل والأصحاب محاضرة «الوحدة الوطنية في هدي الآل والأصحاب نموذج لتجربة رائدة على طريق الوحدة الوطنية» ضمن فعاليات الموسم الثقافي التاسع والعشرين للعام الدراسي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ م لكلية التربية الأساسية أخيرا.

وأكد د. الخرافي على عدة اعتبارات مهمة تتمثل في أن هذا النموذج المقترح هو اجتهاد، فمن اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر، وأن الموضوع شائك لتراكمات الطائفية وحساسية مادته، فيتم تناوله بالعناية اللازمة، وأن هذا النموذج مبادرة ينبغي تشجيعها في البداية مع تقويمها خلال المسيرة، فالمهم البداية.

وتساءل الخرافي: لماذا الآل والأصحاب؟ وأجاب: بسبب فضلهم، لأنهم نصروا الدين وناصروا الرسول ﷺ ونشروا الدين ونقلوا لنا القرآن كما أنزل، ونقلوا لنا السنة كاملة نقية، وقد امتدحهم الكتاب والسنة بوصفهم خير القرون، موضحا أن الوحدة الوطنية تعد السور الخامس، والسور الدفاعي الأول المنطلق إلى وحدة الأمة، لاسيما أن هناك تحديات في طريق الوحدة تتمثل في الممارسات الطائفية، والممارسات القبلية، والممارسات الحزبية.

وتطرق الخرافي لدوائر الاهتمام (دوائر الالتقاء) التي تدعم هذا النموذج الرائع المتجلية في «الكتاب» من حيث مرجعيته للأمة وشموله منهج الحياة، و«السنة» من حيث تفصيلها للقرآن الكريم ومرجعيتها للأمة، و«السيرة» بما حوته من تغطية لتفاصيل حياة المصطفى ﷺ والآل والأصحاب وعلاقتهم الحميمة، و«التاريخ» بأهم مشتملاته وهي الرسالة الخاتمة والخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية وايجابيات التاريخ الإسلامي.

وبيّن أن هدي الآل والأصحاب دعم الوحدة الوطنية بسبب الاستقطاب الطائفي المتطرف، ووجود الفهم الخاطئ في تراث الآل والأصحاب، ولأن الآل والأصحاب ضربوا أروع المثل في المحبة والإخاء، ولأن تسمياتهم انعكست على الفرز الاجتماعي.

وأوصى الخرافي بأهمية إبراز النماذج القدوة من تراث الآل والأصحاب، وتخفيف الأضواء عن الفتن والبقع المظلمة في التاريخ الإسلامي، ومعرفة المعايير الصحيحة لقبول تاريخ الآل والأصحاب، والاستناد إلى الروايات الصحيحة، وتجنب الإفراط والتفريط في فهم تراث الآل والأصحاب، عارضا مقياسا طريفا وقيما «المبرة ميتر» لقياس المستوى المعرفي بتراث الآل والأصحاب، وذلك من خلال طرح الأسئلة العشرة التالية..

١- من آل البيت؟ ومن الصحابة؟
٢- من العشرة المبشرون بالجنة؟
٣- من أصحاب الكساء؟
٤- من أصحاب بيعة الرضوان؟
٥- من أول فدائي في الإسلام؟
٦- من القائل: ولدني أبو بكر مرتين؟
٧- من القائل: أنا ابن الخليفتين؟
٨- من سيد الشهداء؟
٩- ما علاقة القرابة بيننا وبين زوجات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؟
١٠- من هنَّ سيدات نساء العالمين؟

السرقات العلمية.. ظاهرة العصر

(أسبابها وحكمها وواجبنا نحوها)

انتشرت في الآونة الأخيرة عدة ظواهر غير صحية في مجال البحث العلمي، والمجال الدعوي الإسلامي، ومن هذه الظواهر ظاهرة السرقات العلمية بأشكالها وألوانها كافة، والعجيب في الأمر أن هذه الظاهرة استفحلت واستشرت في البلاد العربية الإسلامية، في مقابل أننا نرى الغرب في بحوثه ودراساته يحرص الدارس كل الحرص على إبراز المراجع، ويدون في مراجعه المقابلات الشخصية والوثائق، وتجد في كتب بعض الغربيين في مقدمة الدراسة شكرا خاصا لكل من ساهم، وليس شكرا عاما، بل يذكر كل من ساهم ولو بكلمة، وأحيانا تجد في المقدمة الشكر لعاملة الآلة الكاتبة التي طبعت له البحث، على الرغم من أن التي كتبت على الآلة الكاتبة أو على جهاز الحاسوب (الكمبيوتر) لم تقم بعمل فكري، إنما هو عمل عضلي محض، ليس فيه إعمال فكر ولا إبداع، وقد تقاضت أجرا على ما بذلت، ولكنه خلق الشكر لكل من أسدى له خدمة ساهمت في خروج بحثه.



عصام تليمة

وكم أكبر عالما كالشيخ عبدالفتاح أبي غدة رحمه الله، الذي عزا حديثا بالخطأ إلى الإمام مسلم، وقلده في ذلك الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف في تحقيقه لتدريب الراوي، حتى عبر الشيخ أبو غدة عن ذلك قائلا: وهذا من تقليد الساهي للساهي!! ودله أحد طلبة العلم على خطئه في عزو الحديث للإمام مسلم، وأنه في غير صحيح مسلم، ولم يكن الشيخ أبو غدة يعرف طالب العلم، ولم تسعفه ذاكرته في تذكره، فكتب يعترف في تحقيقه لأحد الكتب تصويب هذا الطالب له، هاتفا بطالب العلم أن يتعرف إليه، حتى يشير إلى نسبة الفضل له في التصويب.

صور للسرقات العلمية

وللسرقات العلمية صور مختلفة، كلها تصب في خانة واحدة، هي خانة اللصوصية العلمية، مهما كان المبرر مقبولا أو غير مقبول.

١- النقل بدون عزو إلى القائل: فهناك النقل من الكتاب أو الكاتب دون عزو النقل إليه، أو الإشارة إليه، ومن الطرائف التي قابلتها في ذلك أن أحد دكاترة الكليات الشرعية، في دولة عربية، أرسل مقالة لمجلة مركز بحوث السنة والسيرة في قطر للشيخ القرضاوي، وقد طلب مني أن أراجعها، فإذ بكاتب المقالة أو الدراسة، يقتبس من كلام القرضاوي وغيره دون عزو، وينسب الكلام لنفسه!! وصدق رسول الله ﷺ «...إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (البخاري).

٢- الاقتباس الكامل للفكرة دون الإشارة إلى صاحبها: وذلك بأخذ فكرة كاملة من الكاتب، أو من الشخص، وصياغة الفكرة بأسلوب الكاتب الذي سرق الفكرة، فالعبارات فعلا عباراته، ولكن الفكرة الرئيسية -التي لولاها ما كتب- ليست فكرته.

٣- النقل الكامل، وهو ما يسمى «السَّلْخ»: وهو نقل مقال كاملا، أو كتاب كاملا، بلا إضافة أو تعديل، أو تنقيح، بل أحيانا ينقل الأخطاء المطبعية أيضا، كنت أجمع ما كتب عن «النسخ في الشريعة» في مجلة الأزهر في أعدادها القديمة، ففوجئت بمقال نشر في مارس ١٩٦٣م، على حلقتين، وإذ بي أفاجأ بأن المقالين مسروقان سرقة تامة، من فتوى قديمة للشيخ إبراهيم الجبالي، نشرت في مجلة الأزهر أيضا في صفر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، ولم ينتبه أحد من القائمين على أمر المجلة إلى السرقة التي كانت صيغة ما كتبه الشيخ الجبالي فتوى، وقال فيها: «وأما النقطة الثانية وهي موضع السؤال...» وقد نقلها عنه الكاتب بالنص نفسه، في مقاله.

٤- الكتابة الكاملة وشراء ما يُكتب: وهذه حالة استشرت، بخاصة في دول الخليج العربي، وعند أصحاب الثراء في عالمنا العربي والإسلامي، أو أصحاب النفوذ والمناصب العلمية، وقد يكون مقابل ما يكتب ماديا، أو معنويا، بالترغيب أو الترهيب، وكلاهما وسيلة من وسائل سرقة الجهود العلمية.

أسباب انتشار السرقات العلمية

هناك أسباب كثيرة، لا شك، أدت إلى تفشي هذه الظاهرة السيئة في بيئتنا العلمية والدعوية، وقد حاولت رصد أهم أسبابها، وهي:

١- غياب الوازع الديني: وهو أول العوامل، فبلا ضمير حي يقظ، يجعل صاحبه يتذكر وقوفه بين يدي الله عز وجل ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون. ليوم عظيم. يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (المطففين: ٤-٦) ويتمثل وقوفه بين يدي الله، ﴿... ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ (الكهف:٤٩)، بدون هذا الضمير الحي، والرقابة الذاتية من الإنسان، يحدث ما يحدث، ويأتي الخلل الخلقي، الذي يؤدي بصاحبه إلى سرقة جهود الآخرين.

٢- العجز والتكاسل العلمي: فمنهم من لا يملك ملكة البحث العلمي، ولا يقوى على خوض غماره، وسبر أغواره، بل لا يقوى على ذلك، مما يدعوه إلى التكاسل عن الكتابة، كما نراه في بعض المشاهير الذين يملكون أن يكتبوا، ولكنه يتكاسل عن ذلك، ويجد أن كتابة غيره له أسهل وأسرع.

٣- حب التنافس في كثرة المؤلفات: أضف إلى ذلك دافعا مهما، للأسف، وهو التنافس في عالم الشهرة والنجومية الفكرية والعلمية، فأضحت موضة الآن، يريد الكاتب

● داعية إسلامي مقيم في قطر

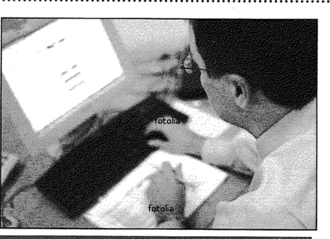
أن يقول: إن رصيدي من الكتب عشرات الكتب والدراسات، وأنى له أن يبلغ ذلك بجهده وحده، لا بد من عمل فريق.

٤- عدم وجود رادع دنيوي: وهو من أهم العوامل، فرحم الله عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ يقول «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، هناك أناس لا يردعهم النص الإلهي، ولا الوازع الديني، ولا الضمير الحي بداخلهم، ولكن يردعهم قانون صارم، وإعلام فاضح لما يفعلونه.

٥- إحساسه بأنه لن يكشفه أحد بحكم موقعه ونفوذه: ومن الدوافع التي تجعل لصوص العلم وسارقيه يتمادون في غيهم إحساس الواحد منهم بأن أمره لن يكتشف، وأنه شخصية كبيرة، أو معروفة، أو لها وزنها بحكم الموقع الفكري، أو النفوذ المادي، أو السلطوي، وينسى هؤلاء أن الله رقيب عليهم، وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

٦- التناقض الشديد في السلوك: فهناك من الكتاب من تأتمنه على أموال الدنيا، ولا تستطيع أن تأتمنه على معلومة لك، أو فكرة انقدحت في ذهنك، وتخشى من البوح بها أمامه، وهذا من أكبر الدلالة على التناقض في السلوك، فهو أمين في الجانب المادي، غير مؤتمن على الجانب العلمي.

٧- حاجة طلبة العلم للمال: ومن أهم الأسباب التي أدت إلى تفشي هذه الظاهرة البغيضة حاجة طلبة العلم للمال، وعوزهم، مع تفشي ظاهرة البطالة، وعجز الدول عن تشغيل خريجي الجامعات، مما دفع بعضهم إلى ولوج هذا الباب، باب الكتابة للغير، رغم علمه بأنه شريك في الجريمة، ولكنه ربما ترخص في ذلك، كمن يجبر على أكل الربا لحاجته، وأن الوزر على المقترض أخف من وزر المقرض.



هذه الآفة تصيب الباحثين بالسلبية وتقضي على ملكة البحث العلمي وتقتل موهبة الإبداع والتنافس وتجعل المجتمع يستمرئ السرقة

آثار هذه الظاهرة

١- تصيب الباحثين بالسلبية واليأس والإحباط، فقد ذكر الأستاذ فهمي هويدي في مقال له بعنوان «دكتوراه للبيع» أن أحد الذين يستأجرون بالمال لكتابة رسائل علمية لآخرين حضر مناقشة الرسالة، وقد نال مقدمها درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وليس لمن نال الدرجة أي جهد يذكر، عندها صعق المسكين الذي كتبها، وهو لم يستطع لعوزه وفقره أن يكمل دراساته العليا، فخرج مباشرة من قاعة المناقشة إلى نهر النيل، ليلقي بنفسه من فوقه منتحرا، مكتئبا لما جرته إليه الظروف.

٢- تقضي على ملكة البحث العلمي النزيه وتجعل الباحث لا يبالي من أين أتى بالمعلومة، ولا مصدرها، وتنشئ عقليات هشة علميا، متهرئة فكريا، ويكون نتاجها أن تكون الأمة فراغا من كل عقلية بحثية.

٣- تقتل موهبة الإبداع والتنافس، فمن ملك المال فقد ملك العلم أيضا، وإن كان بالشراء والبيع، مما يزهد الباحثين النابهين في التفوق والتنافس والإبداع.

٤- تجعل المجتمع يستمرئ السرقة ويتعود عليها.

حكمها الشرعي

أما عن حكم هذه الظاهرة، وهذه الفعلة التي كثرت وانتشرت بصورة مزعجة في الآونة الأخيرة، فهي بلا شك محرمة حرمة يقينية، وهي في الحقيقة جريمة دينية، وخلقية، كما أنها تجمع بين عدة جرائم معا، فهي:

١- سرقة: وإن كانت سرقة من نوع آخر، غير سرقة المال، إلا أنها أخطر، إذ المال يعوض، أما الفكرة التي سرقت، فقد صارت في حوزة لصها وسارقها بلا عودة لصاحبها.

٢- نسبة ما ليس له إلى نفسه: كما أنها تنسب فضلا ليس له فيه أدنى دور أو حق، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (آل عمران: ١٨٨) ويقول ﷺ «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور» (النسائي).

٣- أخذه ما لا يستحق: فهو يحوز ما ليس من حقه، ويمتلك ما لا يجوز له امتلاكه، كما يضيف إلى رصيده رصيدا ليس من تعبه وعرقه، بل هو من تعب وعرق وكد الآخرين.

٤- استغلال حاجة طلبة العلم: ومعظم هذه الحالات تكون باستغلال حاجة طلبة العلم الذين ضاقت بهم سبل الحياة، فهو أشبه بآكل الربا، واستغلال حاجات الناس مما ذمه الشرع، وقبحه الإسلام.

٥- خداع الناس والقراء: كما أن هذه الجريمة تجمع إليها جريمة خداع الناس وإيهامهم أن هذا الكاتب رجل مبرز، وكاتب همام، وبحاثة مكثر من الكتابة والتأليف، وأن قريحته جادت فكتبت ما خرج للناس من بحوث وكتابات، ليست بينها وبينه من نسب، فتخدع الناس في هذا الكاتب.

واجبنا نحو هذه الظاهرة

١- واجب شرعي: ويكون ببيان موقف الشرع من أمثال هؤلاء، وأن نبدأ معهم بالنصح لهم، في سرية تامة، ملتزمين آداب النصيحة، فمن عاد عن غيه، وانتهى عن سرقته، ورد الحقوق لأهلها، وجب علينا الستر عليه، وإلا فضحه بين الناس بما فعل وارتكب يصير أمرا شرعيا لا وزر فيه، وهذه هي وظيفة العلماء والمختصين، وكل ذي حس ديني وبصيرة.

٢- واجب قانوني: فلا بد من السعي لإصدار قانون يحاسب من يمارس السرقة العلمية.

٣- واجب شعبي: ويكون بمقاطعة كتابات من يعرف عنهم السرقة العلمية، ويثبت عليهم ذلك، ولفظ كل من بنى كتاباته على السطو العلمي من المجتمع العلمي والشعبي.

نحو الكمال الإنساني

القلب وتنازع الموجودات

د. يحيى اسماعيل

العِلم الملائكي يسمى عند أهل العلم بالداعي فإذا توافرت معه القدرة استلزم ذلك وجود المقدور، ومن المقدور ما قدر له من خير في الدنيا والآخرة، وكان بذلك ذاهبا إلى كمال، ومنتقلا من علو إلى عُلو وارتفاع، حتى يبلغ تمام حقيقته الإنسانية التي بها يفضل الحقيقة الملائكية الثابتة على صورة واحدة من الكمال.

إن ذكر العبد ربه هو في حقيقة أمره طلب للقدرة الفائقة، واستحضار للهدى التام الذي تلازمه السعادة كما يلازم الضلالةَ الشقاء، وهذا الذكر هو كذلك دافع للصارف من الأسباب المعوقة، والمسببة للفساد، فساد القوة العلمية، و فساد القوة العملية جميعا، فكما أن المرء يفقد إحساسه فيجد العسل مرا، فكذلك من فسد ضميره وباطنه لخلوه من ذكر الله - الذي هو ربه، لا يستريح للحق، ولا يرضى به، ولا يريده، لأنه مصروف عنه بمحبة غيره، ومن ثم فلن يطلبه، ولن يقدر عليه، فإن النفس إذا أحبت شيئا سعت في حصوله بكل ممكن، حتى تسعى في أمور كثيرة تكون كلها مقامات لتلك الغاية، حتى يفعل لأجلها ما هو محرم، او ما هو ليس إلا لله، فيفعله لغير الله لأجل هواه، والقلب لا يشغله متنازعان، فإنه إنما خلق لأجل حب الله، فلا يجوز له أن يحب شيئا من الموجودات لذاته، فلا يحَب لذاته إلا الله الواحد القهار سبحانه وتعالى، ومحبة الأنبياء والصالحين هي تبع لمحبته جل جلاله، فإن من تمام حبه جل جلاله حب ما يحبه، والله يحب الصالحين، ويحب الأعمال الصالحة، فحبها من العبد له هو من تمام حب الله، وكل محبوب سوى الله إنما جازت محبته لغيره لا لذاته، فإن محبة الشيء لذاته بعد الله شرك، فمن أحب إنسانا لأنه يعطيه- مثلا- فما أحب في الحقيقة إلا العطاء، وكذلك من أحب إنسانا لأنه ينصره فما أحب الناصر بل أحب النصر فقط، وكل هؤلاء ما أحبوا في الحقيقة إلا المنفعة أو دفع المضرة، وما أحب الفاعل لها إلا لأنه وسيلة إلى محبوبه، وهذا ليس حبا لله ولا لذات المحبوب على الحقيقة، ومن يرجو النفع من الغير ثم يزعم أنه يحبه لله فهذا من خديعة الطبع اللئيم ومن نفاق الأقوال.

إن الله تعالى خالق الأسباب كلها لم يجعل شيئا منها مستقلا بنفسه، مستغنيا عن غيره في تحصيل مطلوبه، فلكل سبب معاون له من جنسه وشريك، كما أن له ضدا وخصيما من غير جنسه، فإن لم يعاون السبب شريكه، ولم ينصرف عنه خصيمه وما هو من أضداده لم يحصل المطلوب، وذلك كالمطر الذي لا سبيل له منفردا إلى الإنبات بغير التربة والهواء، وامتناع العواصف المفسدة والمدمرة، وكل سبب معين هو جزء من المقتضي للمطلوب، فليس في الوجود مقتضى قائما بنفسه، بل المقتضي للمسبب هو مجموع الأسباب، مع انتفاء أضدادها ومفسداتها.

فبذكر الإنسان ربه يعطى كل خير، حيث يحصل أولا أصل الإيمان، الذي هو أصل لكل علم، كما أن الله جل جلاله أصل كل موجود، و هو رب كل شيء ومليكه، فهو جل ثناؤه معلم كل علم وواهبه، فبذكره كذلك يتوصل إلى العلوم لأن الذكر أصل لكل علم، كما أن في الغفلة عنه جل جلاله أصل كل شقاء، ثم إن في ذكره تعالى كمال أسرار دينه، وذكره جل جلاله يبدأ في القلب أولا، ثم يُظهر اللفظ أنواعه على وفق ترتيباته المشروعة من ثناء على الله، وما يلي ذلك من الإخبار عنه والإنشاء له لقوله جل جلاله في الإخبار عنه ﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ (الأنعام-٧٩) وفي الإنشاء ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد﴾ (الإخلاص:١-٤) ثم يأتي الطلب منه جل جلاله، وهو آخر أنواع الذكر، الطلب الذي لم يُشرع للمسلم إلا مع الثناء المتضمن مقصود الدعاء، كما في حديث جابر الذي أخرجه الترمذي ومالك «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» (سنن الترمذي) ذلك أن الثناء المشروع يستلزم الإيمان بالله، وأما دعاء الطلب فإنه يقع من المسلم وغيره كما قال تعالى ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين. قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾ (الأنعام:٦٣-٦٤) وكان الدعاء بالإخبار والإنشاء من دون الدعاء بالثناء وبعده منزلة، لأن في الثناء تحصيل محبوب الرب؛ وفي الخبر والإنشاء تحصيل مطلوب العبد، قال ﷺ «احب الكلام الى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» (رواه مسلم).

يقول الإمام ابن القيم: والذكر هو منشور الولاية الذي من أُعطيه اتصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعِمارة ديارهم التي إذا تعطلت صارت بورا، وهو سلاحهم الذي يُقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصل الذاكر إلى المذكور، ويدع الذاكر مذكورا، فهو عبودية القلب واللسان غير المؤقتة حيث عبودية كل جارحة هي عبودية مؤقتة، وهو جلاء القلوب وصقالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا، به يزول الوقر

● أستاذ في جامعة الأزهر

عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

إن في الغفلة فساد الإرادة، أو فساد العمل، أو فسادهما معا، كما قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الانعام:١٠٩-١١٠) يعني أنهم كاذبون في يمينهم أنهم إذا جاءتهم الآية آمنوا، وذلك لأن الله تركهم في طغيانهم يعمهون لضعف القوة المؤثرة فيهم، لفساد إرادتهم، فهو من مثل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(الصف-٥)، وقوله ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة-٨٨)، وقوله ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء-١٥٥)، وقوله ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف- ١٧٩)، وقوله ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة-١٧١).

فهؤلاء عميت قلوبهم، وبكمت وصمت آذانهم عن الحقيقة كما قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج-٤٦).

الغفلة تتجلى في فساد الإدارة والعمل معا .. وتعمي ما في الصدور

قال الإمام ابن تيمية: ومن الناس من يقول: إنهم لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر والنطق جُعلوا صما، وبكما، وعميا، أو لما أعرضوا عن السمع والبصر والنطق صاروا كالصم العمي البكم، قال: وليس كذلك، بل نفس قلوبهم عميت، وبكمت، وصمت كما قال تعالى ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: ٤٦).

وأصل السعادة أمران:

١- سلامة الفطرة.

٢- تمام الهداية.

كما أن مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين:

١- فساد العلم.

٢- وفساد القصد.

ويترتب على ذلك حصول الداءين القاتلين لكل قيمة وكل حضارة، الضلال، والغضب (١)

فذكر الله تعالى الذي في القلب يعطي أصل العلم الذي هو أصل الإيمان، ثم يعطي القرآن العلم المفصل فيزداد بذلك الإيمان قوة تظل تتنامى حتى تفوق قوة الملك أحيانا، وبغير ذكر الله تتسلط الشياطين، والشيطان وسواس خناس، صارف عن الحق والهدى، فإذا ذكر العبد ربه خنس، وإذا غفل وسوس.

بعد ذلك يأتي تكوينه الروحي العجيب، حيث قوة الشعور والإحساس والإدراك، وقوة الإرادة والقصد والحركة، قوتان في روحه هما الأساس لنشاطه المميز له، لا قوة واحدة، فبقوة الشعور والإحساس والإدراك يميز - فيصدق أو يكذب، وبالقوة الثانية- الإرادة والقصد والحركة، يكون الحب، حيث الحب والبغض هما أصل الأمر والنهي- كما قال ابن تيمية (٢)، الحب الذي لا حّد له يعرف به غير أنه الحب، الحب الذي مبدؤه الإرادة، ثم الميل، فالصبابة، فالغرام، قبل العشق، و بعده التتيم، ثم التوله، فإذا اكتمل على هذا أتت الخلة، وعندها تدخل بها صفات المحبوب على البدل من صفات المُحبِّ (٣)لأن المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل.

لقد حاول الكثير من العلماء تقريب أمر هذا الحب بالتعريف له فلم يزدد الأمر على محاولاتهم إلا خفاءً -كما ذكر ابن القيم (٤)، قال: «لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، فحدُّها وجودها».

قالوا فيها إنها «أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء» (٥) أو «الميل الدائم بالقلب الهائم»، أو «إيثار المحبوب على جميع المصحوب»، أو «موافقة الحبيب في المشهد والمغيب» (٦) أو «أن يكون كلك بالمحبوب مشغولا، وذلك له مبذولا» على وفق قول من قال:

بدم المُحبِّ يباع وصلهم

فمن الذي يبتاع بالثمن

إنه ذلك كله، فبذلك يحب أو يبغض ما يُؤمَرُ به أو يُنهى عنه، فيحب النافع الملائم له، ويبغض الضار المنافي، وفي الحب غذاء الإنسان وقوته وصلاحه، وفيه كذلك ذله، وعبوديته، وأسره، وافتقاره

مساكين أهل الحب حتى قبورهم

عليها تراب الذل بين المقابر

وفي العبودية والأسر يأتي الثواب أو العقاب، (٧)، فكلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه (٨).

فالحب في حقيقته وكماله هو أحد المحركات الثلاثة للقلب مع الخوف والرجاء (٩)، وكل الناس يغدو - كما قال ﷺ في الحديث الصحيح- فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها (١٠).

اخضع وذل لمن تحب فليس في

حكم الهوى أنف يشال ويعقد

يقول ابن القيم: والمراد أن تهب

إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه، وتحبسها في مرضاته ومحابه، فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك، فتأخذه منه له (١١).

وفي أصل الحب ومبادئه تقع الشركة لجميع المحبوبين، فإن عاطفة الحب لها أصل تبتدئ منه؛ وغاية تصل إليها، ومحبته تعالى لا يكتفى فيها بأصل الحب (١٢)، الذي هو الميل ثم الإرادة، لكن لابد من تميزه له جل جلاله باستيعاب المراحل بعدها من صبابة وغرام حتى يبنغ معه جل جلاله تمام أمره الذي هو الخُلّة التي لا تقع فيها الشركة

قد تخللت مسلك الروح مني

وبذا سمي الخليل خليلا (١٣)

يقول الإمام ابن تيمية: فكل بني آدم له اعتقاد، هذا الاعتقاد فيه تصديق بشيء وتكذيب بشيء، وله قصد وإرادة لما يرجوه مما هو عنده محبوب ممكن الوصول إليه، أو لوجود المحبوب عنده، أو لدفع المكروه عنه، واعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه، ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (محمد:١٧)، ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا﴾ (النساء:٦٦) وهذا من معنى قول ابن مسعود ﷺ «إن للملك لَمّةً، وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، ولمّة الشيطان إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق» (١٤) وهذا هو مبدأ الشعور والحركة فيه، الملك يلقي التصديق بالحق والأمر بالخير، حيث للملائكة من العلوم والأحوال والإرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا الله (١٥)، والشيطان يلقي التكذيب بالحق والأمر بالشر، وعلى الإنسان أن ينظر ويختار، «فالتصديق والتكذيب مقرونان بنظره وعقله، والأمر والنهي مقرونان بمحبته وإرادته»، فإذا قويت الإرادة وصارت جازمة، واقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعا(١٦)، على وفق سنن الله تعالى في خلقه.

وعلى هذا فالقلب فقير إلى الله من وجهين:

من جهة العلة الغائية - وهي العبادة، من حيث إن نفس الإيمان بالله وعبادته، ومحبته ذلك، كل هذا هو غذاء الحقيقة الإنسانية وقوتها وصلاحها وقوامها وعبوديتها، تقوى بها محركات قلبه وما يتولد عنها من حالة الطمع في الفضل، والرحمة، والرجاء (١٧).

ومن جهة العلة الفاعلية وهي الاستعانة (١٨)، وهذا سر عظيم شأن الإنسان عند الله تعالى، وما يمثله هذا الإنسان من وزن في نظام هذا الوجود(١٩) حتى إنه جل جلاله تعظيما منه له على هذا الشأن فإنه سبحانه أسجد له ملائكته تشريفا، وتعظيما، وتكريما، عبادة لله، وطاعة له، وجعل ذلك قربة لهم يتقربون بها إليه، ومنع آدم وبنيه من أن يسجدوا لغيره- جل جلاله- ولو كان من جنسهم؛ فهم جميعا أكفاء لبعض في هذه الحقيقة الإنسانية، فلم يجعل لأحدهم مزية يصلح له بها السجود له من بني جنسه «... أنتم بني آدم، وآدم من تراب» (سنن أبي داود)، ثم أقسم جل جلاله على ثبوت ذلك الشرف له بتلك الأقسام العظيمة ﴿والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين﴾ (التين:١-٣) تلك الأقسام بتلك المواضع التي جاء منها أصحاب الرسالات الكبرى محمد، والمسيح، وموسى، ومن قبلهم أبو الأنبياء إبراهيم، عليهم جميعا أشرف صلوات وأزكى تسليم، ذلك أن الإقسام بالأماكن هو في حقيقة الأمر تعظيم لساكنيها، فإن موضع الإنسان إذا عُظّم من أجل الإنسان كان الإنسان على ذلك أحق بالتعظيم وأعظم، ولهذا يقال في المكاتبات والمراسلات أصحاب: «المجلس الموقر، وصاحب الباب العالي، وإلى صاحب المقام السامي»، وفي مثل هذا الصنيع ما يتأكد به التحقيق للمقسم عليه، الذي هو خلق الإنسان على تلك الطبيعة المعقدة، المزدوجة، القابلة للارتفاع إلى أعلى عليين، والمؤهلة أيضا للتسفل إلى أسفل سافلين، وذلك قبل أن يأتي البعث والنشور وقيام الناس جميعا لله رب العالمين، وهو الأمر الذي أخبرت به الرسل، كما أن في هذا الإقسام ما يتضمن ثبوت الجزاء في الدنيا -كإهلاك من أهلكهم من الكفار، فإنهم ردهم أسفل سافلين بهلاكهم، وهو تنبيه- كما يقول ابن تيمية- على زوال النعم إذا حصلت المعاصي (٢٠).

الذكر قوت القلوب .. متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا

انها حقيقة من حقائق القرآن، حقيقة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، الفطرة القويمة التي تعني سلامتها قبول الحق ودفع الزيغ، هي «السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة» (٢١)

فإذا ماحادت عن ذلك كان مرد ذلك إلى استعدادها للأمرين.. قبول السلامة واستقبال العلل، وباستقبالها العلل ورضاءها بها يكون الخذلان من الله تعالى لها «فسلامة القلب من النقص كسلامة البدن، هو الأصل، وأما العيب والخلل فحادث طارئ» (٢٢) إن ربنا جل جلاله هو ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾(السجدة:٧)، وهو جل جلاله ﴿الذي خلق فسوى. والذي قدر فهدى﴾ (الأعلى:٢-٣) وهو﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ (طه:٥٠)

فلماذا الإنسان وحده هو الذي يفرده جل جلاله هنا بأنه المخلوق في أحسن تقويم؟ على مثل ما قال فيه وله من قبل ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك﴾ (الانفطار:٧-٨).

إنما كان وراء ذلك التعبير الفريد في القرآن في قضية خلق الإنسان

أن يظهر الحق جل جلاله ما في هذا الإنسان من فضل، وما كان له من مزيد عناية، لأن له شأنا بمقتضى خصائصه الروحية والعقلية والجثمانية عند الله، كما أن له وزنا خاصا في نظام هذا الوجود، هذه الخصائص الروحية والعقلية التي يتجلى فيهما تفوق التكوين الإنساني- كما يقول صاحب الظلال- حيث إنه مهيأ بها لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين، كما تشهد بذلك قصة المعراج، حيث وقف جبريل عليه السلام عند مقام، وارتفع محمد بن عبد الله ﷺ الإنسان- إلى المقام الأسنى، ليظهر بذلك أن فضل أحد الذاتين على الأخرى إنما هو بقربها من الله تعالى، ومن مزيد اصطفائه وفضل اجتبائه جل جلاله (٢٣).

بينما هذا الإنسان مهيأ- حين ينتكس- لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾، حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها في الأرض على هدى، بينما هذا المخلوق الذي خلق ﴿في أحسن تقويم﴾ قد يجحد ربه، ويرتكس مع هواه إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه من وفرة الذنوب والسيئات التي تعمل عملها في ذاته أكثر مما تعمل السموم في رحلة تلك الحياة الطويلة التي بدأت بالخلق وتنتهي بالإكرام أو الإهانة ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم﴾ (العلق:١-٣) فأمره في أول ما أنزل عليه أن يقرأ باسم الله، فتضمن الأمر بالقراءة الأمر بدوام الذكر واستصحابه معها، فالخلق يتضمن الابتداء «وهنا ذكر سبحانه أنه خلق أكرم الأعيان الموجودة عموما وخصوصا، وأنه المعلم للإنسان العلم عموما وخصوصا، وذكر التعليم بالقلم الذي هو آخر المراتب - في التحصيل بعد البيان والوجدان واللسان- ليستلزم تعليم القول، وتعليم العلم الذي في القلب» (٢٤) ففي العلم كان الابتداء، وفي الإكرام يتضمن الانتهاء، كما قال جل جلاله في أم القرآن ﴿رب العالمين﴾ ثم قال ﴿الرحمن الرحيم﴾

وعلى ذلك فكمال المخلوقات هو في الهدى والتعليم الجامعين لأطراف الطريق من بداية الخلق إلى نهاية الرحلة عند ﴿الأكرم﴾ جل جلاله. حيث بين سبحانه في أول ما أنزله أنه سبحانه هو الخالق الهادي ﴿الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى﴾ إن لفظ «الكرم» هو لفظ جامع للمحاسن والمحامد، ولا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء م تمام معناه، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويُسرته، ولهذا قال النبي ﷺ فيما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه «لا يقولن أحدكم الكرْم، إنما الكرمُ قلب المؤمن» وفي لفظ «لا يقولن أحدكم للعنب الكرم، إنما الكرم الرجل المسلم» (٢٥).

قال الإمام المازري: ومجمل هذا عند أهل العلم على أنه لما حرم الخمر عليهم وكانت طباعهم تحثهم على الكرم، ونفوسهم مجبولة عليه، فكَره عليه السلام أن يُسمَّى هذا المحَرم باسم وضع لمعنى يهيج طباعهم إليه عند ذكره، وتهش نفوسُهُم نحوه عند سماعه، فيكون ذلك كالمحرك على الوقوع في المحرمات، ولهذا احتج عليه السلام بقوله «وإنما الكرم قلب المؤمن»، يعني أن الكرم حبس النفس عن شهواتها، وإمساكها عن المحرمات عليها، فهذه الحالة أحق بأن تسمى كرما (٢٦).

لا تنال الجنة باعتبارها أعلى درجات النعيم إلا بما نصبه الله لها من أسباب جعلها مفضية إليها

لقد كان العنب بهذا الوصف عندهم لأنه أنفع الفواكه، وهو أعم وجودا من النخل، ولأنه ذل لقاطفه، وليس عليه شوك يؤذي جانبه، قال القاضي عياض: والكريم من كثر نفعه وكثرت فضائله (٢٧).

قال ابن تيمية: والقرآن دل على أن الناس فيهم كريم على الله يكرمه، وفيهم من يهينه (٢٨)، قال تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات:١٣) وقال تعالى ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء﴾ (الحج:١٨).

قد أخبر سبحانه أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها، فدل أنه الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال «وربك أكرم» فإنه لا يدل على الحصر، ولم يقل -جل جلاله «الأكرم من كذا»، بل أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقا غير مقيد، فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه.

قال ابن عطية: ثم قال له تعالى ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ على جهة التأنيس، كأنه يقول «امض لما أمرت به وربك ليس كهذه الأرباب، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص، فهو ينصرك ويظهرك، قال: وقد قال بعض السلف «لايهدين أحدكم لله ما يستحي أن يهديه لكريمه، فإن الله أكرم الكرماء» أي هو أحق من كل شيء بالإكرام، إذ كان أكرم من كل شيء، وهو سبحانه ذو الجلال والإكرام، فهو المستحق لأن يُجلَّ، ولأن يكرم، والإجلال يتضمن التعظيم، والإكرام يتضمن الحمد والمحبة (٢٧)، قال الإمام ابن تيمية: ولهذا قدم ذكر العنب على النخل وغيره في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعا لكم ولأنعامكم﴾ (عبس:٢٤-٣٢).

إن هذا الشأن العظيم الذي كان للإنسان، وذاك الوزن لا يظهر أمره قبل أن تتضح فيه معالم إنسانيته ومعالم كماله، تلك المعالم التي نثرت له في ميادين الحياة ولأجلها أهبط إلى الأرض التي هي دار العناء ليطلب منها على شوق منه وعناء فيها الرجوع إلى داره الأولى التي عرفها من قبل على وفق ما قدر الله له من سنن في كونه والتي منها:

١- أن الغايات لا تنال إلا بأسبابها التي جعلها الله تعالى أسبابا مفضية إليها، كما يقول الإمام ابن القيم، وبما أن الجنة هي أعلى درجات النعيم، وأفضلها، وأجلها، فإنها لا تنال إلا بما نصبه الله تعالى لها من أسباب جعلها مفضية إليها.

وإن الأسباب مع مسبباتها هي على أربعة أنواع:

محبوب يفضي إلى محبوب وينتهي إليه كأنواع الطاعات كلها، فهي أسباب محبوبة لله موصلة إلى الإحسان، والثواب المحبوب له جل جلاله.

مكروه يفضي وينتهي إلى محبوب، كالشرك والمعاصي، فمع أنها مكروهة لله تعالى مسخوطة منه جل جلاله فإنها مفضية ومنتهية إلى قيام العدل المحبوب له سبحانه، فإنه لابد من ظهور أسباب العدل في الدنيا واقتضائها لمسمياتها، ليترتب عليها وعلى أسباب الفضل كمال الحمد الذي هو أهله جل

جلاله، فإنه سبحانه له الحمد المطلق الذي لا نهاية بعده، وظهور الأسباب التي يحمد عليها هي من مقتضى كونه محمودا، وهي من لوازم حمده تعالى، وهذه الأسباب نوعان: فضل، وعدل، فكما أنه سبحانه يحمد على إنعاماته وإحسانه وهم من معالم الفضل فلا بد أن يحمد على عدله وانتقامه، وعقابه لأعدائه وأعداء عباده، وذلك كله من معالم عزته وحكمته التي نبه عليها كثيرا في القرآن الكريم، من مثل قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ عقب كل قصة ساقها من قصص الرسل من أول السورة حتى نهايتها﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين. فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون. إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين. وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ (الشعراء:٥-٩).

قال الإمام ابن القيم: وهذان النوعان عليهما مدار أقضية الله تعالى وأقداره.

أما الثالث وهو المكروه الذي ينتهي أمره إلى مكروه.

والرابع وهو المحبوب الذي ينتهي أمره إلى مكروه، فإنهما ممتنعان في حقه تعالى، وذلك لأن الغايات المطلوبة من قضائه وقدره الذي ما خلق الخلق ولا قضى ما قضى إلا لأجل حصولها لا تكون إلا محبوبة للرب مرضية له، والأسباب المفضية إليها إما محبوبة له، أو مكروهة (٢٨).

٢- أن من معالم تمام القدرة بقاء الأضداد في هذه الحياة لحاجة بعضها إلى بعض، فالضد يظهر حسنه الضد، وعلى ذلك فالنصَبُ في دار الدنيا وملاقاة همومها وغمومها وأوصابها لازمة من لوازم تعظيم مقدار الجنة في الآخرة في أعين أصحابها، «فلو تربوا في دار النعيم لم يعرفوا قدرها» (٢٩).

٣- وأن الثواب لا ينال بغير الأمر والنهي، والأمر هو شرعه، وأمره، ودينه، الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولهذا لما كانت الجنة ليست بدار تكليف فإنه تعالى أهبطنا إلى الأرض لتحقيق تلك الغاية فينا، فكما أن أفعال الله وخلقه هو من لوازم كما للأسمائه وصفاته، فكذلك أمره، وشرعه، وما يترتب عليه من الثواب والعقاب.

٤- أن المعلق على شرط يعدم عند انعدام ما علق عليه، وعلى ذلك فمحبة العبد لله وهي غاية كمال العبد وسعادته لا تتحقق ولا تثبت في القلب إلا بإيثار المحبوب الذي هو الله جل جلاله على غيره من محبوبات النفس، واحتمال أعظم المشاق في طاعته ومرضاته، فإن المحبة إذا شرط فيها حصول المراد والسلامة من الأخطار ليست محبة صادقة، فمن ودك لأمر ولى عنك عند انقضائه.

٥- أن تفاوت الناس في الحظوظ في تلك الدنيا معلم من معالمها ولازمة من لوازمها، ليعرف كل صاحب فضل وحظ مقدار ما حباه الله منه وأكرمه ليظهر خلق الشكر في الناس، ولو تساووا جميعا في النعمة والعافية لم يعرف صاحب النعمة قدرها، ولم يبذل حق شكرها، إذ لا يرى أحدا إلا في مثل حاله، ومن أقوى أسباب الشكر وأعظمها استخراجا له من العبد أن يرى غيره في ضد حاله الذي هو عليه من الكمال والفلاح.

٦- وأنه على مقتضى تلك السُنَّة فإن الجنة وإن كانت بمحض فضله تعالى فإن تفاوت المنازل فيها كان على وفق التفاوت في الحظوظ من الطاعات، كما جاء عن غير واحد من السلف «ينجون من النار بعفو الله ومغفرته، ويدخلون الجنة بفضله ونعمته ومغفرته، ويتقاسمون المنازل بأعمالهم» (٣٠).

٧- وبذلك تظهر حكمة الله تعالى التي اقتضت كون الجنة درجات بعضها فوق بعض، وبين الدرجتين فيها كما بين السماء والأرض، كما جاء في الحديث الصحيح «إن في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض...» (رواه البخاري).

٨- أن القلب للعلم كالإناء للماء، والوعاء للعسل، والوادي للسيل، وهذا ما يفيده قوله تعالى ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ (الرعد-١٧).

فقد شبه الحق جل جلاله إنزال القرآن الذي به الهدى من السماء بإنزال الماء الذي به النفع والحياة من السماء كذلك، كما شبه ورود القرآن على أسماع الناس بالسيل الذي يمر على مختلف الجهات عند نزوله، حيث يمر على التلال، والجبال، فلا يستقر في التلال والجبال؛ ولكنه يمضي إلى الأودية والوهاد، فيأخذ كل من الأودية والوهاد ما يناسب سعته واستعداده، وهذه السيول في حال نزولها تحمل على متنها الزبد الذي هو رغوة الماء التي تربو وتطفو على سطح الماء، فيذهب الزبد غير منتفع به، ويبقى الماء الخالص الصافي ينتفع به الناس للشراب والسقيا.

ثم شبهت هيئة نزول الآيات وما تحتوي عليه، من إيقاظ النظر فيها فينتفع به من دخل الإيمان قلوبهم على مقادير قوة إيمانهم وعملهم، ويمر على قلوب لا يشعرون به، وهم المنكرون المعرضون، ثم يخالط قوما فيتأملونه ليأخذوا منه ما يثر لهم شبهات وإلحادا (٣١)

هوامش

١ - راجع مدارج السالكين ٥١/١.
٢- مجموع الفتاوى ١٢٩/٢٢.
٣ - وهذا تعريف الجنيد.
٤- مدارج السالكين ١٣/٣.
٥ - وهو ما اختاره أبو عبد الله القرشي على ما حكاه ابن القيم.
٦ - مدارج السالكين١٣/٣.
٧ -السابق ٣٢/٤.
٨ - السابق ١٠/ ١٩٣.
٩ - مجموع ٩٥/١.
١٠- مسلم، والترمذي، والنسائي، واحمد في المسند من حديث أبي مالك الأشعري.
١١- مدارج السالكين ١٣/٣.
١٢ - مجموع الفتاوى ٢٠٦/١٠.
١٣ - مجموع الفتاوى ٢٠٤/١٠.
١٤ -المجموع ٣٢/٤.
١٥- السابق ٢٥٣/٤.
١٦ - مجموع الفتاوى ٢٧٢/١٠.
١٧ - السابق ١٨٤/١٠.
١٨ - مجموع الفتاوى ١٩٤/١٠.
١٩ - يراجع في ذلك في ظلال القرآن ٢٩٣٢/٦.
٢٠ - التفسير الكبير المنسوب لابن تيمية٢٨٧/٦.
٢١- مجموع الفتاوى /٤ ٢٤٥.
٢٢ - مجموع الفتاوى ٩٣/١٠.
٢٣ -مجموع الفتاوى ٣٧٢/٤.
٢٤ - السابق ٣٨/٤.
٢٥- البخاري كتاب الأدب باب قول النبي ﷺ «إنما الكرم قلب المؤمن» ومسلم واللفظ له كتاب الألفاظ من الأدب باب تسمية العنب كرما، كما أخرجه أبو داوود في كتاب الأدب كذلك ٧٤، والدارمي في كتاب الأشربة ١٦، وأحمد في المسند ٢٢٩،٢٥٩،٢٧٢/٢.
٢٦- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ١٨٥/٧بتحقيقنا.
٢٧- ذكره ابن قتيبة وعن الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم التفسير الكبير ٢٩٧/٦.
٢٨- السابق.
٢٧ - التفسير الكبير٢٩٨/٦.
٢٨ - مدارج السالكين ٣١٩/١.
٢٩ - مفتاح دار السعادة ٣/١.
٣٠ - مفتاح دار السعادة ٨/١.
٣١- وذلك كقولهم ﴿هل ندلكم على رجل ينبؤكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد﴾ (سبأ:٧)، شبه ذلك كله- بهيئة نزول الماء، فانحداره على الجبال والتلال، وسيلانه في الأودية على اختلاف مقاديرها، ثم ما يدفع من نفسه زبدا لا ينتفع به ثم لم يلبث الزبد أن ذهب وفني، والماء بقي في الأرض للنفع، التحرير والتنوير ١١٦/٧.





سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

الوقت عند الشباب

أيها الشباب إن الوقت هو عمر الإنسان ورأس ماله الضخم ويجب عليك أن تستغله فيما يعود عليك وعلى أمتك بالنفع، ولتكن حريصا على اشد من حرصك على ما تملك من حطام الدنيا، لأنه اذا فاتك لا أمل لك في استرجاعه، وكل مفقود عسى أن تسترجعه إلا الوقت، وإذا كان القرآن وصف الذين ينفقون الأموال في غير وجهها بالسفه كما قال تعالى ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ (يونس: ٥). فإن إنفاق الوقت في غير منفعة يعد أكثر سفها لأنه أثمن من المال وأعم نفعاً.

أخي الشاب إن إضاعة الوقت فيما لا يفيد جريمة لا عقوبة لها في القوانين، لكن جزاءها عند رب العالمين، فالوقت من النعم التي فرط فيها بعض الشباب وأهدروها فيما لا يعود بنفع قال ﷺ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» (البخاري)، فلنعمل اليوم على استغلال أوقاتنا في عمارة الأرض والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية كما كانت امتنا في سابق عهدها، ولنحرص على استغلال العطلة الصيفية هذه الأيام بما يعود علينا بالنفع والخير.

أيها الشاب: المؤمن يحرص على أن يكون يومه خيراً من أمسه وغده خيرا من يومه، وأن يطيل حياته بعد موته بطول اعماله الصالحة، ويمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، انه يحرص أن يخلف وراءه علماً نافعاً او عملاً طيباً أو مشروعاً مثمراً أو صدقة جارية أو ذرية طيبة صالحة حيث قال تعالى ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ (الكهف: ٤٦).

نعم هذه الروح الطيبة التي جعلت رجلا كأبي الدرداء رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ يغرس شجرة الجوز وهو في آخر رحلة حياته فيقول له بعض الناس: أتغرس هذه الجوزة وأنت شيخ كبير، وهي لا تثمر الا بعد كذا وكذا من السنين؟ فيقول ابو الدرداء «وماذا علي أن يكون لي ثوابها ولغيري ثمرتها؟» وهي التي جعلت آخر يغرس شجرة الزيتون ويقول «غرس لنا من قبلنا فأكلنا ونغرس ليأكل من بعدنا».

قال ابن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

قال ابن القيم: إضاعة الوقت أشد من الموت، لان إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

الإسلام والغرب.. تصادم أم تقارب؟

العلاقة بين الغرب والإسلام علاقة قديمة متجددة تخبو تارة وتطفو على السطح تارة أخرى، حسب مستجدات الأحداث، وقد وجدت هذه العلاقة منذ صدر الإسلام وقرونه الأولى.

وإذا كان الغرب يملك اليوم زمام العلم والتكنولوجيا والتقدم المادي ويقيم حضارته على أساسها بعيداً عن المبادئ والقيم والأخلاق، فإننا نحن المسلمين نملك ما هو أثمن من ذلك، نملك غذاء الروح والفكر الذي تفتقده الحضارة الغربية.. نملك أسس وقواعد ديمومة الدول وسر بقائها، ألم يقل الشاعر العربي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن المشكلة القائمة اليوم هي: كيف نعرض بضاعتنا، وكيف ندعو لقيمنا، وكيف نحاور بالتي هي أحسن.. هناك انفصام بين سلوكنا وبين مبادئنا، وهذا هو الذي يعيق حركتنا ودعوتنا ويؤخر مسيرة امتنا، اننا في أمس الحاجة لتطبيق مبادئ الإسلام الوسطية على انفسنا قبل تقديمها للغير حتى ننجح في حوارنا مع الغرب والشرق، وعلينا ألا نخاف من الحوار مادمنا نملك كنزاً ثراً من المبادئ والقيم والأخلاق.

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: 110).

واجبنا اليوم في علاقتنا مع الغرب أن نكون مؤثرين لا متأثرين، وفاعلين لا منفعلين وصانعين للأحداث لا مستقبلين، حتى نعيد لأمتنا وجهها الحضاري والإنساني ودورها الايجابي المشرق، وهو ما نحاول ترسيخه وتأصيله من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قرائنا وقارئاتنا، والله الهادي إلى سواء السبيل.

إعداد: تمام الصباغ

مسلمو بريطانيا.. واقـ

صلاح محمد أبوزيد

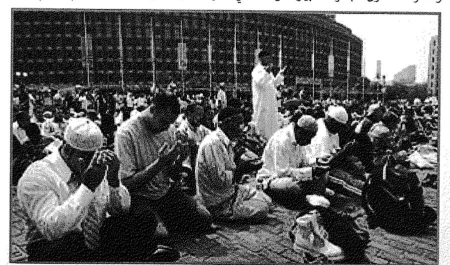
في إحدى مواعظه الأخيرة حذر بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر من تنامي الوجود الإسلامي في أوروبا خصوصا في بريطانيا، في الوقت الذي تبث فيه الصحافة يومياً عشرات الأخبار الملفقة عن مخططات إرهابية يدبرها متشددون إسلاميون للنيل من أمن البلاد وسلامتها، وبالطبع انعكست هذه الأجواء التحريضية على أوضاع مسلمي بريطانيا الذين يتعرضون للكثير من المضايقات والأزمات، حتى إن شاهد مالك (أول وزير مسلم في الحكومة البريطانية) قال: إن مسلمي بريطانيا صاروا كالغرباء في بلادهم، وانهم مستهدفون من قبل الجماعات العنصرية المتطرفة، ومع كل هذا فإن كثيراً من المؤشرات الإيجابية تؤكد على المستقبل المشرق للإسلام في بريطانيا!

تاريخ عريق

ليس الوجود الإسلامي في بريطانيا وليد اليوم، بل انه يمتد تاريخياً حتى ألف عام - حسب معلومات وزارة الخارجية البريطانية- التي يشير موقعها على شبكة الإنترنت الى وجود بعض الكشوف الأثرية التي تعزز هذا القول، حيث تم العثور على حلية يعود تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي منقوش عليها البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) في جنوب شرق ايرلندا، وعملات يرجع تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي ممهورة بكلمات الشهادة.

وقد وصلت أول مجموعة كبيرة من مسلمي الهند إلى بريطانيا في بداية القرن الثامن عشر، ثم أدت التجارة طوال المائتي عام التالية إلى زيادة الاحتكاك بين بريطانيا والدول الإسلامية، خصوصا حين بدأت السفن التجارية البريطانية باستئجار بحارة من الخارج للعمل على متنها، وبحلول عام ١٨٤٢ كان يزور بريطانيا كل عام حوالي ٣٠٠٠ من البحارة المسلمين - كانوا يعرفون باسم «اللسكريين»- وبعضهم تزوج واستقر في ليفربول وجلاسجو ولندن.

ثم اعتنق عدد من البريطانيين المرموقين الإسلام من بينهم لورد اسمه هيدلي، ومحام وشاعر معروف اسمه وليام كليام، وهو



ـع مأزوم ومستقبل مشرق

مؤسس أول مسجد بريطاني عام ١٨٨٩م، وهناك أيضاً الروائي ومترجم القرآن الكريم محمد مارمادوك بيكتول.

وفي الخمسينيات من القرن الماضي بدأ المسلمون يهاجرون على شكل جماعات إلى بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية، واستقروا بشكل أساسي في بعض مناطق لندن، وفي المدن الصناعية الواقعة في إقليم وسط انجلترا، وفي مدن صناعة الأقمشة في لانكشاير ويوركشاي وستراتكلايد.

وقد قدر عدد المسلمين في بريطانيا وفق إحصاء عام ٢٠٠١م بحوالي ١,٦ مليون مسلم، وربما وصل هذا الرقم اليوم إلى ما يقارب المليونين، ٥٠ ٪ منهم من مواليد بريطانيا، و٥٠٪ تقل أعمارهم عن ٢٥ عاماً، وبهذا يمثل المسلمون أكبر أقلية دينية في بريطانيا.

ويوجد في بريطانيا العديد من المؤسسات والمنظمات التي ترعى مصالح المسلمين الدينية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والسياسية، ومن أبرزها: مجلس مسلمي بريطانيا، ومسجد وسط لندن، والمركز الثقافي الإسلامي الذي افتتح عام ١٩٨٥م، وكان أول مسجد يرفع فيه الأذان للصلاة من منارته الشاهقة وعبر مكبرات الصوت، وهناك المؤسسة الإسلامية البريطانية التي تأسست عام ١٩٧٣م في مدينة ليستر كمركز للتعليم والبحوث والنشر، وأيضا مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية الذي تأسس عام ١٩٨٥م، وهو يمثل نقطة التقاء بين العالمين الإسلامي والغربي.

مرض العصر

في فيلم وثائقي بثته القناة الرابعة في التلفزيون البريطاني بمناسبة الذكرى الثالثة للهجمات التي نفذها مسلمون بريطانيون في شبكة النقل بلندن يوم ٧/٧/٢٠٠٥م وراح ضحيتها ٥٢ شخصاً.

الإسلام يتمتع بمعدلات النمو الأعلى في أوروبا وسيشكل المسلمون في عام ٢٠٢٠ نحو ١٠٪ من مجموع سكانها

أشار شاهد مالك - الوزير البريطاني المسلم- إلى أن استهداف المسلمين عبر وسائل الإعلام أصبح يتم بصورة ممنهجة وعلى نطاق واسع، وأن المسلمين باتوا يشعرون بفعل التغطيات الإعلامية المنحازة ضدهم بأنهم غرباء في مجتمعهم، وأنهم مستهدفون كاليهود أيام حكم النازي، واتهم مالك بعض أجهزة الأمن بإمداد الصحف بمعلومات كاذبة عن المسلمين بهدف تشويه صورتهم وتكريس حالة العداء ضدهم، ومالك نفسه قد تعرض لبعض الحوادث العنصرية، ومنها حرق سيارة عائلته ومحاولة قتله بسيارة في محطة للوقود، كذلك تعرض مسجد مدينة اسكس للحريق على أيدي متطرفين بريطانيين، ومع أن الفيلم الوثائقي يشير إلى أن ٥١٪ فقط من البريطانيين يلقون باللوم - إلى حد ما- على المسلمين في تلك التفجيرات، فإن ثمانية من بين كل عشرة مسلمين يشعرون أن التحامل على الإسلام في ازدياد منذ التفجيرات، وفي فبراير الماضي أثار المعهد الملكي للدراسات الدفاعية والأمنية ضجة حين أشار في تقرير - رفضته الحكومة بشدة- إلى أن بريطانيا المتعددة الثقافات هدف سهل لهجمات «المتشددين الإسلاميين»، نظراً لأن أهدافها وقيمها وهويتها السياسية مقسمة، في إشارة إلى اختلاف القيم الإسلامية عن الغربية، كذلك فجرت تصريحات عدد من رجال الدين المسيحيين في بريطانيا -وعلى رأسهم مايكل نظير علي أسقف مقاطعة ورشستر جنوبي شرق البلاد- الداعية إلى تحويل سكان البلاد كافة خصوصا المسلمين إلى المسيحية الإنجيلية موجة من القلق لدى مسلمي بريطانيا، وفي الاتجاه نفسه تعهد بول إيدي عضو مجلس الكنيسة الإنجيليكانية بمواصلة حملته الرامية إلى دفع كنيسة إنجلترا للعمل بشكل علني على تنصير المسلمين في البلاد، وتحويلهم الى الطائفة المسيحية الإنجيليكانية.

وقد اتهمت فيكتوريا بريتين نائبة رئيس تحرير الجارديان أجهزة الأمن بأنها وراء تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام، ويرى كثير من المحللين السياسيين أن كراهية الإسلام والنظر بريبة تجاه المسلمين قد بات مرض العصر في بريطانيا، حتى إن الإندبندنت نشرت مقالاً للكاتب بيتر أوبورن أشار فيه إلى أن نظرة الشك والريبة تجاه المسلمين امتدت إلى كل طبقات المجتمع، تحت وطأة المقالات والأخبار التي تبثها الصحافة عن أن بريطانيا أصبحت وطنا للمسلمين الذين يصنعون لأنفسهم مناطق خاصة تحل فيها المساجد مكان الكنائس، والشريعة مكان القوانين العلمانية، ولم يضيع بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر الفرصة، فحذر من تنامي الوجود الإسلامي في الغرب في ظل معدلات الخصوبة العالية في أوساط المسلمين، الأمر الذي سيؤدي في غضون نصف قرن على الأكثر إلى وضع ديموجرافي يهدد الثقافة الغربية ذات الطابع المسيحي، وكان الفاتيكان قد حذر من تراجع الهوية المسيحية في أوروبا، بعد نشره إحصاءات تظهر تجاوز عدد المسلمين لعدد الكاثوليك على مستوى العالم وذلك للمرة الأولى، وأرجع ذلك إلى زيادة معدل المواليد عند المسلمين، وليس هذا فقط هو ما يعانيه المسلمون، بل إن الإحصاءات تشير الى ان نسبة البطالة الأعلى هي بين المسلمين، إلى جانب أنهم يعانون أيضا من الفقر وانخفاض



مستوى التعليم.

مؤشرات ايجابية

وليست الصورة قاتمة على إطلاقها، فثمة مؤشرات ايجابية تؤكد على المستقبل المشرق للإسلام في بريطانيا، ومنها أن الإسلام على الرغم من كل شيء يعد أسرع الأديان انتشاراً في الغرب. وكلما ازداد الهجوم ضراوة ازداد الاقبال على دراسته واعتناقه، خصوصا في أوساط النساء البريطانيات، وقد أكدت دراسة مسحية أعدها الكونجرس اليهودي العالمي عن صعود الإسلام في أوروبا، أن الإسلام يتمتع بمعدلات النمو الأعلى في أوروبا، فهناك نحو ٢٠ مليون مسلم في الاتحاد الأوروبي يمثلون قوة يجب أخذها في الحسبان، وإذا تواصل هذا الاتجاه سيشكل المسلمون في عام ٢٠٢٠ نحو ١٠٪ من مجموع سكان أوروبا، ودلل التقرير على ذلك بأن عدد المسلمين في بريطانيا - مثلا- عام ١٩٦٣ كان لا يزيد على ٨٢ ألف مسلم، وارتفع في ثلاثين عاما إلى أكثر من مليونين

ومع أن ربع المسلمين يعتقدون باختلاف القيم الإسلامية عن الغربية وأنه من الصعب التقاؤها، فإن تقريراً نشرته صحيفة التايمز البريطانية اخيراً أكد أن المسلمين أكثر ثقة في النظام القضائي والانتخابات والشرطة، وأظهر الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة جالوب المستقلة أن أكثر من ٥٠ في المائة من مسلمي لندن يتبنون بقوة بالغة الهوية البريطانية، وأن نحو أربعة من كل خمسة يعتقدون انه من المهم لإنجاز الاندماج اتقان اللغة الانجليزية وتلقي مستوى عال من التعليم والبحث عن وظيفة، وذكرت التايمز أن الاستطلاع أظهر أن تسعة من كل عشرة مسلمين في لندن يعتقدون ان الهجمات ضد الأبرياء غير مبررة وخاطئة أخلاقياً، كما أن ٨١ في المئة يدينون العنف، وإن استخدم في قضية عادلة، وهي نسبة تزيد

ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام باتت مرض العصر في بريطانيا بفعل تحريض وسائل الإعلام وبثها أخباراً كاذبة عن المسلمين

بـ ٩٪ عن وجهة نظر الرأي العام، وترى الصحيفة أن هذه الاحصاءات تشير إلى نظرة أكثر أملاً لمسألة الاندماج، مقارنة بالتقارير الأخيرة التي تحدثت عن مشكلات التطرف والإقصاء، وعقلية الجيتو الانعزالية، ومن المؤشرات الايجابية كذلك انه لا يوجد قانون أوروبي صريح يعادي المسلمين، وبعض المسلمين يلجأون الى القانون الأوروبي لرفع الظلم عنهم، بل ان بعض أفراد الشرطة البريطانيين اعتنقوا الإسلام حينما أرسلوا للتجسس على المسلمين فعاينوا سلوكيات مستقيمة، وحياة منضبطة صادقة، كما أن المسلمين، يتمتعون بحرية ممارسة شعائرهم الدينية، وإنشاء المؤسسات وبناء المساجد، كذلك فإن ثمة أصواتاً عالقة في المجتمع ووسائل الاعلام تدعو للتعامل مع المسلمين بصورة عادلة ومحايدة باعتبارهم إحدى فئات المجتمع المهمة حتى إن كبير القضاة اللورد فيليبس دعا إلى السماح للمسلمين بالالتزام بالشريعة الإسلامية في ظل مجتمع متعدد الثقافات والقوميات والأعراق، يضم الاسكتلنديين والايرلنديين وسكان ويلز وغيرهم، ومن ثم فإن القانون البريطاني ينظر الى المجتمعات العرقية المختلفة نظرة ايجابية، ويسمح لها بقدر من التمايز، وقد سعى مسلمو بريطانيا لإبراز هويتهم الدينية والثقافية من خلال آليات قانونية متعددة، منها التدخل في العملية التعليمية من أجل فرض ما يجب تعليمه لأطفال المسلمين، وتشكيل جماعات ضغط في الانتخابات البلدية والتشريعية تستهدف وضع مصالح المسلمين في الحسبان، وفتح قنوات للحوار مع الحكومة لحمايتهم من الهجمات العنصرية، والاعتراف بالزواج الشرعي الإسلامي أمام المحاكم، كذلك نجح المسلمون في فتح قنوات تعاون مع الحكومة عبر تجربة فريدة قاموا بها في مدينة بيرمنجهام بمقاومتهم لبائعات الهوى وبائعي المخدرات، الأمر الذي جعل الحكومة البريطانية تتصل بهم لتفيد من تجربتهم وخبرتهم لمحاربة الجريمة في أماكن أخرى، وكل هذه المؤشرات تؤكد على المستقبل المشرق الذي ينتظر الإسلام في بريطانيا خاصة، والاتحاد الأوروبي بوجه عام.

الدبلوماسية الثقافية ودورها في انتشار الإسلام في العالم

سيد أبوفاضل رضوي أردكاني ●

يعتبر الدين الإسلامي أحد الأديان السماوية الكبرى التى تلعب دورا حاسما في بناء وبلورة الثقافة في المجتمعات الانسانية، حيث يغطي مساحات واسعة من أرجاء المعمورة، ويعتنقه حوالي ثلث سكان العالم من كل القوميات وفي مختلف القارات.

ما سبب هذا الانتشار والنمو للإسلام؟ وما العوامل التي أدت إلى تطور هذه الثقافة الإنسانية الغنية؟

البعض، ومن خلال نظرتهم السطحية أو عدم إلمامهم بالوقائع التاريخية أو بسبب نظرتهم الحاقدة كما هو الحال لدى العديد من المستشرقين، يحاولون الإيحاء بأن الإسلام انتصر بقوة السيف والحرب والقهر إلا أن هذه المقولة لا تنطبق مع الوقائع التاريخية التي تؤكد على رصانة الفكر الإسلامي المستنير.

يزيد عدد المسلمين في عالمنا المعاصر على مليار وثلثمائة مليون نسمة، ويقطن غالبيتهم بعيدا عن مركز ظهور الدين الحنيف في بلاد الحجاز، حيث نجدهم في آسيا بشرقها وشمالها وأقصى مناطقهما، وكذلك في أوروبا وإفريقيا وبقاع متعددة من أميركا.

إن الدراسات التاريخية تؤكد على أن ثلثي البلاد الاسلامية قد تم فتحهما دون الاستعانة بالقوة والجهاد المسلح والحروب.. فهل اندونيسيا، التي بلغ عدد سكانها حسب احدث الإحصاءات أكثر من ٢٢٢ مليون نسمة ويشكل المسلمون ٩٠ في المئة منهم، قد فتحت بقوة السيف؟ وهل يذكر التاريخ أن جيوش المسلمين وصلت إلى هناك أو أن هذه البلاد أسلمت بالقوة؟ في تايلاند والفلبين يعيش مئات الآلاف من المسلمين، وفي ماليزيا تجاوز عدد المسلمين الملايين و٦٤ في المئة من سكانها هم من المسلمين، وفي بنغلادش ١٤٠ مليون نسمة، ٨٩ في المئة منهم يعتنق الدين الاسلامي بكل حرية. ووفقا لتقارير منظمة المؤتمر الإسلامي فإن أكبر جالية دينية في الصين هي الجالية الإسلامية. ويبلغ عددها ١١٣ مليون نسمة.

إن الباحثين والمؤرخين يؤكدون أن العلماء والدعاة والتجار هم السبب في اعتناق أهل هذه البلاد للدين الحنيف وإشهار اسلامهم.

إن ثقافة الإسلام الغنية وأسلوب الدعوة بالتي هي احسن استقطبا الناس نحو الشريعة السمحة ولولا الدبلوماسية الثقافية والمنطق الشفاف والفطرة الانسانية للإسلام وتضحيات الدعاة والمبلغين لما وصل الدين المبين الى ما وصل اليه اليوم في اصقاع المعمورة، ولسنا بصدد إنكار الفتوحات الإسلامية التي تمت في الصدر الاول في منطقة جزيرة العرب والنواحي الشرقية كبلاد فارس، والنواحي الغربية كبلاد مصر ومناطق من شمال إفريقيا، إلا أن بقية الأقطار الإسلامية في شرق آسيا والشرق الأقصى والتي تضم اكبر التجمعات والكتل الإسلامية بحضارتها وعنفوانها الفكري قد اعتنقت الاسلام طواعية من خلال إيمانها بمبادئه وأطروحاته الراقية دون ان تطأ اراضيها اقدام أي محارب أو مجاهد من المسلمين.

ومن خلال نظرة عابرة لما تقدم نرى أن التطور المذهل الذي نشهده اليوم في اعتناق الناس للدين الاسلامي يأتي من خلال الدبلوماسية الصحيحة والتواصل مع الشعوب والمنطق الذي يتمتع به الدين الاسلامي دون الحاجة لممارسة القوة، والطريف في الأمر أن الشعوب التي اعتنقت الاسلام من خلال المنطق والاستدلال والتواصل الثقافي كانت أكثر تمسكا بمبادئه ومفاهيمه حتى إن الإمبراطورية الفارسية والحضارة الإيرانية القديمة كانت قد تأثرت بالفكر الاسلامي ومنطقه السليم قبل ان يتم فتحها وهذا التأثر هو الذي مهد لفتح بلاد فارس.

> **ثقافة الإسلام الغنية وأسلوب الدعوة استقطبا الناس نحو الشريعة السمحاء**

انها لتجربة غنية وثمينة لكل سفراء الفكر والثقافة في البلاد الإسلامية لا سيما في عصر العولمة والقرية الكونية والمعلوماتية للاستفادة من الإمكانات المتاحة لنشر أفكار الدين الإسلامي السمحة من خلال توظيف التقنيات الحديثة، لأن العالم اليوم قد يئس من المدارس الإلحادية ويتعطش للمعنويات القادرة على إشباع خوائه ونسمه.

إن الدبلوماسية الثقافية كانت ولا تزال أفضل سبيل للتعريف بالدين الإسلامي ونشر أفكاره ومنطلقاته. ولا شك أن هناك تحديات وإعلاما مضادا يقف في وجه نشر مبادئ الإسلام إلا أن الخواء الذي تعانيه البشرية بعد تجربتها المريرة مع الفكر المادي وهيمنة القوى الكبرى المتجبرة وزيف ادعاءات الذين يتشدقون بنجاة الإنسانية قد مهد السبيل لبيان رؤى وأهداف الإسلام.

نستخلص أن الدبلوماسية الثقافية يمكن أن تلعب دورا حاسما في نشر الثقافة والفكر الإسلامي المبني على الوسطية والتعايش السلمي ومن خلال استراتيجية ثقافية مبنية على أسس إعلامية متينة ومبرمجة.

إننا كمسلمين نعتبر انفسنا سفراء لثقافة هذا الدين الحنيف ودعاة للمنطق، وثروتنا كتاب الله المجيد والسنة النبوية، وهذا ما يكفل نجاحنا في مسيرتنا وتواصلنا مع بقية الشعوب التي تتوق للحقيقة وتتعطش للعدالة والحرية، يقول الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وقال سبحانه ﴿ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون﴾ (التوبة: ٣٣).

● المستشار الثقافي الإيراني بدولة الكويت

الغرب والمشكلة المعرفية مع الإسلام

- الأسباب والتجليات -

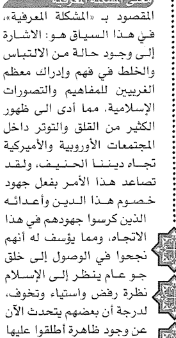
د.أمان عبدالمؤمن قحيف

من المعلوم للباحثين والدارسين ان هناك العديد من العوامل والأسباب التي تؤثر سلباً على سلامة النظرة الأوروبية، بل الغربية على السواء، للدين الإسلامي الحنيف، وهذه العوامل منها ما يتعلق ببعض الأوروبيين وطبيعة تعاملهم مع ما لدى امم الجنوب من عقائد وقيم وموروثات، ومنها ما يتعلق بسلوك بعض المسلمين ومنهجهم في فهم دينهم وعرض قضاياهم وقيمهم وأفكارهم، ولقد تسببت هذه العوامل مجتمعة في ايجاد ما يمكن تسميته «المشكلة المعرفية في فهم الغرب للإسلام» فماذا نقصد بالمشكلة المعرفية هنا؟ وما أسبابها؟ وما تجلياتها؟ تلك هي التساؤلات التي سنحاول الاجابة عليها في السطور التالية.

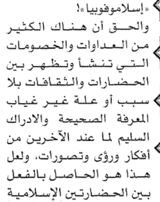


معنى المشكلة المعرفية

المقصود بـ «المشكلة المعرفية»، في هذا السياق هو: الاشارة إلى وجود حالة من الالتباس والخلط في فهم وإدراك معظم الغربيين للمفاهيم والتصورات الإسلامية، مما أدى الى ظهور الكثير من القلق والتوتر داخل المجتمعات الأوروبية والأميركية تجاه ديننا الحنيف، ولقد تصاعد هذا الأمر بفعل جهود خصوم هذا الدين وأعدائه الذين كرسوا جهودهم في هذا الاتجاه، ومما يؤسف له أنهم نجحوا في الوصول إلى خلق جو عام ينظر إلى الإسلام نظرة رفض واستياء وتخوف، لدرجة أن بعضهم يتحدث الآن عن وجود ظاهرة أطلقوا عليها «إسلاموفوبيا»!



والحق أن هناك الكثير من العداوات والخصومات التي تنشأ وتظهر بين الحضارات والثقافات بلا سبب أو علة غير غياب المعرفة الصحيحة والادراك السليم لما عند الآخرين من أفكار ورؤى وتصورات، ولعل هذا هو الحاصل بالفعل بين الحضارتين الإسلامية والغربية في اللحظة الراهنة.



أسباب المشكلة

ألمحنا في السطور الأولى إلى أن هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى وجود مشكلة معرفية في فهم بعض الغربيين للإسلام، وأشرنا إلى أن بعض هذه الأسباب يتعلق بالآخر الغربي، وبعضها يتعلق بالمسلمين أنفسهم، وسنحاول هنا وضع أيدينا على الاسباب والعوامل الأكثر تأثيرا في وجود هذه المشكلة المعرفية، ونرى أن نعرضها على النحو التالي:

أ- ندرة الدراسات الجادة والمحايدة: الغريب في الأمر أننا لم نبذل -تاريخياً- جهوداً علمية حقيقية في الغرب الأوروبي بالقدر الذي يسمح للإنسان الأوروبي العادي بفهم واستيعاب الأسس والقيم والمبادئ التي يدعو إليها الإسلام ويأمر المسلمين باتباعها والتزام منهجها، من هنا فقد لاحظ بعض الباحثين أن المسيحيين الأوروبيين، الذين فكروا في الإسلام، قد فعلوا ذلك وهم في حالة من الجهل، رغم أن القرآن كان متوافراً فعلا بترجمة لاتينية منذ بدايات القرن الثالث عشر.. كذلك كانت بعض المؤلفات الفلسفية باللغة العربية معروفة بفضل ترجمة بعض مؤلفات الفكر اليوناني، أما الفقه والشريعة والعقائد التي تتناول ما ورد في القرآن من نظام للفكر والممارسة، فإن معرفة المسيحيين بها كانت معرفة محدودة، وهناك استثناءات قليلة.. (١).

ويقتضي الحياد العلمي الإشارة إلى أن هناك من الفلاسفة والمفكرين الغربيين من تنبه إلى هذا الخطأ في فهم الإسلام، وحاول الأخذ بيد العقل الأوروبي باتجاه الفهم السليم والصحيح للمفاهيم والتشريعات الإسلامية، وتأتي الباحثة الالمانية الشهيرة «زيجريد هونكه»، والمفكر الألماني المسلم «مراد هوفمان»، والفيلسوف الفرنسي الكبير «روجيه جارودي» على رأس من ذهبوا هذا المذهب وساروا في هذا الاتجاه، بل إن هناك من المفكرين الغربيين من هاجم بعض صناع الثقافة الأوروبية لعدم تحريهم الدقة والأمانة العلمية عند الكتابة عن الإسلام أو التحدث عنه، يقول فولتير (١٦٩٤م - ١٧٧٨م) الذي انخدع فترة من الزمن وهاجم الإسلام خلالها ظلماً وزوراً - موجهاً خطابه إلى خصوم هذا الدين

الحنيف «أكرر لكم القول أيها الجهلة الأغبياء الذين خدعهم جلهة آخرون إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هي ليست شيئاً من ذلك، لقد خدعتم في هذا الموضوع، كما خدعتم في موضوعات أخرى كثيرة... وفي كلمة موجزة، فإن شريعته صالحة، وعقيدته تدعو إلى الإعجاب» (٢)

معنى هذا، أنه إذا كان هناك من الباحثين الغربيين من تجرد عن الموضوعية العلمية والحيادية الفكرية وانساق وراء نزعات الهوى ورغبات النفس فإن هناك العديد من الباحثين والمفكرين الجادين من تنزه عن العصبية والشوفونية وكتب في الإسلام بما يرضي ضميره الإنساني ويتماشى مع أخلاقيات العلماء.

ب- صعوبة التجربة الغربية مع الدين: لا يختلف المؤرخون على أن الحضارة الغربية عاشت تجربة مريرة مع الكنيسة ورجالها في العصور الوسطى، الأمر الذي جعل الحديث عن الدين يستدعي لدى العقل الغربي عدة أمور نذكر منها:

١- سيطرة رجال الدين على العمل.

٢- كبت حرية التفكير الإنساني.

٣- سيطرة المؤسسة الدينية على المناخ العام، وتشكيله وفقاً لمصالح رجال الدين.

٤- سيادة التفكير الغيبي والأسطوري الخرافي...الخ، من المعاني التي رسخت في الذهنية الأوروبية نتيجة لممارسات بعض رجال الدين المسيحي هناك إبان مرحلة العصور الوسطى.

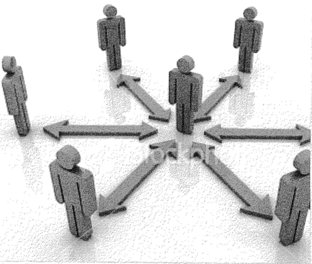
من هذا المنطلق تجد العقل الغربي يشعر بنوع من عدم الارتياح عندما يتعلق الأمر بالدين، خصوصا الدين الإسلامي الذي يوجد الكثير من اللبس والخلط في فهم الإنسان الأوروبي لتعاليمه وتشريعاته، الأمر الذي أشار إليه علي عزت بيجوفتش في كتابه «الإسلام والغرب» حيث كشف النقاب عن «ان عداء الغرب الحالي للإسلام ليس مجرد امتداد للعداء التقليدي والصدام الحضاري الذي وصل إلى حد الصدام العسكري بين الإسلام والغرب، منذ الحملات الصليبية حتى حروب الاستقلال، وانما يرجع هذا العداء إلى تجربة الغرب التاريخية مع الدين وإلى عجزه عن فهم طبيعة الإسلام المتميزة» (٣).

وإذا كان من المتفق عليه أن هناك حالة من اللبس والغموض مازالت تعتري فهم العقل الغربي للإسلام إلى الآن فإن التركيز في الخطاب الإسلامي المعاصر على ابراز الطبيعة المميزة للتعاليم الدينية الإسلامية يعد من أهم الواجبات المنوط بالمفكرين المسلمين تأديتها والاضطلاع بها في اللحظة الراهنة، ويتحقق من خلال الكشف عن عدم تصادم الإسلام مع العلم والاجتهاد البشري، بل إن الله تعالى لم يرفع من شأن أحد من الناس مثلما رفع من شأن العلماء، قال تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة:١١). وأن العالِمَ في الإسلام إذا اجتهد وأصاب يكون له أجران، أما إذا اجتهد وأخطأ فيكون له أجر واحد مقابل بذله للجهد، معنى هذا أن الإسلام يأمر بالبحث والتفكير والاجتهاد، ومن يمارس هذه الأوامر يثاب على عمله حتى وان لم ينجح في إدراك الحقيقة أو الوصول إلى الصواب، كما أن الإسلام لم يمنح أحدا سلطة كهنوتية يستطيع ممارسة الضغط من خلالها على غيره من الباحثين والمفكرين من أجل قهرهم على الالتزام ببعض الرؤى أو التقيد ببضع التصورات، خصوصاً في مجال العلم الطبيعي، بالاضافة الى عدم تعارض جوهر التشريعات الإسلامية مع قيم التقدم، بل إن الله تعالى أمر العباد بإعمار الأرض وبناء الحضارات، قال جل شأنه ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود:٦١).

هناك حالة من الالتباس والخلط في فهم وإدراك الغربيين للمفاهيم والتصورات الإسلامية

إن الكشف عن الطبيعة المميزة للدين الإسلامي يساهم إلى حد كبير في إزالة اللبس الموجود في الذهنية الغربية تجاه هذا الدين الحنيف، ويصحح المفاهيم المغلوطة التي رسخت في أذهانهم هناك نتيجة صعوبة التجربة المريرة التي مرت بها أمم الحضارات المعاصرة مع الكنيسة الغربية في العصور الوسطى.

ج -طغيان الجهود المناهضة لتوضيح صورة الإسلام الصحيح في الغرب: لا شك أن من أسباب وجود مشكلة معرفية بين الغرب والإسلام أن هناك من يحرص على تشويه صورة هذا الدين الحنيف في الغرب، ويتم بذل المزيد من الجهد وإنفاق الكثير من المال سواء داخل المجتمعات الغربية أو خارجها من أجل تحقيق هذا الغرض والوصول الى هذه النتيجة، الأمر الذي يفسر لنا وجود حالة من الغضب أو



الخوف من الإسلام بين الناس العاديين هناك، ومما يؤسف له أن أصوات المهاجمين للإسلام والمتطاولين عليه مازالت هي الأعلى بين بقية الأصوات التي تحاول دراسته وإلقاء الضوء عليه. وتتعالى اصوات هؤلاء المتطاولين اكثر واكثر اذا ما ارتكب بعض المسلمين فعلا ترفضه القيم الانسانية أو السلوكيات الحضارية.

ومما يؤسف له ان هناك من المسلمين من منح خصوم هذا الدين الفرصة للهجوم عليه، وذلك من خلال ارتكاب بعض الافعال والتصرفات التي تسيء الى هذا الدين الحنيف، سواء تمثلت هذه السلوكيات في التطرف والتشدد وممارسة العنف، او تمثلت في إنفاق الأموال ببذخ وإسراف على الملذات والشهوات العديمة القيمة والقليلة النفع.

تجليات المشكلة المعرفية

لقد عبرت المشكلة المعرفية عن دورها في التوتر الحاصل الآن بين المسلمين والغرب في العديد من المظاهر والتجليات التي نذكر بعضها على النحو التالي:

أولاً: اختزال العلاقة التاريخية بين الحضارتين في فترات الصراع دون التعاون، لابد من الإشارة الى انه ليس من العلم الصحيح أو المعرفة الدقيقة أن يتحدث بعض الباحثين أو الكتاب عن العلاقة بين الإسلام والغرب باعتبارها علاقة تنافر وتضاد على مدى التاريخ، من هنا يأتي خطأ الذين يحرصون طوال الوقت على إبراز نقاط التناقض وعوامل الاختلاف بين الحضارتين، والجدير بالذكر ان هذا الخطأ لم يكن من نصيب بعض الشرقيين فحسب، بل وقع فيه العديد من الغربيين كذلك، ومن الغريب أيضاً ألا يكتفي بعضهم بتشويه التاريخ والماضي فحسب، بل ذهب يتحدث عن توقع الصدام بين الحضارتين في المستقبل، وكان أعلى من تحدث في هذا الموضوع صوتاً في الآونة الأخيرة «صمويل هنتنجتون» المفكر الاستراتيجي الأميركي صاحب رؤية «صدام الحضارات». فقد حاول البرهنة والتدليل على أن الصدام بين الإسلام والغرب قادم لا محالة وستفرزه التناقضات الكبيرة بين مفاهيم وأفكار وتوجهات الثقافتين، وبدلاً من أن يدعو الى أهمية وضرورة العمل على رفع التناقضات وفض الاشتباك بين النقاط المتوترة في المنظومتين الحضاريتين - الإسلامية والغربية - ذهب يدعو إلى حتمية الاستعداد للمواجهة التي زعم انها قادمة لا محالة، لكن

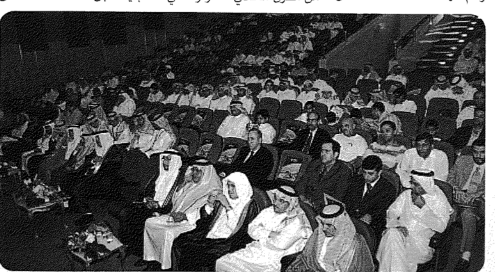
لابد من التعرف على الأسباب التي أدت إلى خصومة الغربيين للإسلام .. حتى نتمكن من التعامل معها بشكل حضاري ومنهجي

الله تعالى قيض للأمر جماعة من الباحثين والسياسيين والمثقفين من الشرق والغرب على السواء ليتبنوا الحديث عن التواصل والتعاون والتعايش، بل والتآخي بين الحضارات الإنسانية، الأمر الذي ساهم وبشكل كبير وفاعل في تنبيه العقلاء هنا وهناك الى ضرورة الدعوة الى الحوار والتفاهم، وصولا الى التعايش والتعاون بين الحضارات الانسانية بدلاً من الدخول في المشاحنات والتوترات أو الصدامات.

والحق ان قراءة التاريخ تكشف عن ان «العلاقة بين المسلمين والمسيحيين الاوروبيين لم تكن مجرد علاقة حرب مقدسة، بل كانت علاقة تجارة عبر البحر المتوسط، وكان ميزانها يتغير عبر مجرى الزمن، فوسعت المرافئ الايطالية تجارتها ابتداء من القرن الحادي عشر والثاني عشر، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر أخذت السفن المنطلقة من مرافئ شمال أوروبا تظهر في البحر المتوسط والمحيط الهندي، وكان هناك ايضا تبادل للأفكار يتجه من البلدان الإسلامية نحو البلدان المسيحية، فظهرت مؤلفات فلسفية باللغة العربية، وترجمت كتب العلوم والطب الى اللاتينية، وظلت، حتى القرن السادس عشر، كتابات عالم الطب الشهير ابن سينا تستخدم في مدارس الطب الأوروبية» (٤).

ثانياً: تناقض فهم الغربيين للإسلام ونعته بما ليس فيه

لقد تجلت المشكلة المعرفية لدى الغربيين في تباين رؤيتهم للإسلام واختلافهم حول مفاهيمه وتصوراته وبنيته العقدية، لدرجة أن تياراتهم الفكرية قد فسرت تفسيرات متباينة، بل متناقضة كأقصى



ما يكون التناقض، فلقد «أنكر الماديون الغربيون الإسلام باعتباره - في نظرهم - دين غيبيات (اتجاه يميني)، بينما أنكره المسيحيون الغربيون لأنهم يرون فيه حركة اجتماعية سياسية (اتجاه يساري)، وهكذا أنكر الغربيون الإسلام لسببين متناقضين» (٥).

ولا يخفى عن الأذهان أن هذه التفسيرات المتناقضة والمتعارضة للدين الإسلامي تكشف النقاب عن وجود مشكلة معرفية عميقة، كان من تجلياتها تحميل الإسلام ما ليس فيه من صفات وخصائص، الأمر الذي يقتضي ضرورة أن تتكاتف جهود الباحثين والمفكرين مع جهود المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية من أجل العمل على توضيح الصورة الحقيقية للإسلام في أذهان الأمم جميعاً خاصة الأمم الغربية.

ويتصور كاتب السطور أن اتضاح الصورة الحقيقية للإسلام أمام الإنسان الغربي سيحد - الى درجة كبيرة - من حملات الهجوم والتطاول على الإسلام التي تظهر بين الحين والآخر، وذلك لأن الانسان الغربي موضوعي في احكامه ومواقفه الى حد كبير، والحقيقة تفرض نفسها وتفرض احترامها على الجميع، ونظراً لأنه من المفترض أن العقلية الغربية قد بلغت مستوى من النضج يسمح لها بالانحياز نحو الحق والصواب حتى وان اختلف مع الهوى الشخصي والنزعات الذاتية، فإن المأمول ان ينحاز الناس هناك الى احترام الإسلام وتوقيره اذا ما اتضحت لهم حقائقه وتكشفت لهم أباطيل خصومه الذين يعملون على تزييف تعاليمه وإظهاره في صورة تتناقض جوهرياً مع روحه السمحة ورسالته العالمية.

ثالثاً: الخلط بين تعاليم الإسلام وسلوك بعض المسلمين

تتجلى المشكلة المعرفية في فهم الغربيين للإسلام عندما يقوم بعض الناس هناك بالاستشهاد على الإسلام بسلوك بعض المسلمين، اذ يبني جماعة منهم خصومتهم للإسلام ومقاطعتهم له على خصومتهم لبعض المسلمين او اختلافهم معهم في الرؤى والمواقف، يقول فولتير: «لقد ألصقنا بالقرآن ما لا نهاية له من السفاهات التي لم تكن به على الاطلاق، لقد كان هذا موجهاً بالدرجة الأولى ضد الترك الذين اصبحوا من اتباع محمد ﷺ، فكتب رهباننا الكثير من كتب المطاعن هذه، اذ لم تكن هناك وسيلة تمكنهم من مواجهة فاتحي القسطنطينية، خلاف ذلك» (٦).

ويقتضي الأمر ان ننبه في هذا السياق الى اهمية ان يضبط المسلمون في الغرب - وفي كل انحاء العالم - سلوكياتهم بما يتوافق مع تعاليم الشريعة الغراء، لأن من الشائع والمشهور في الغرب عندما تصدر بعض السلوكيات غير اللائقة من مسلم فإنه يتم الربط بين هذا السلوك وبين تعاليم الإسلام، ويتم الترويج للأمر باعتباره من تشريعات الإسلام وليس سلوكاً فردياً أو شخصياً، بهذا المعنى يتم تفسير سلوك المستهترين والمسرفين والمتطرفين والمتشددين على أنها تعاليم دينية إسلامية، الأمر الذي يضر بسمعة الإسلام ضرراً بليغاً، ويكشف النقاب - في نفس الوقت - عن وجود مشكلة في أسلوب بعض الغربيين في التعرف على الإسلام وتعاليمه وتشريعاته، حين يأخذ بعضهم الدين من سلوك الناس وليس من تعليمات الشريعة الغراء ذاتها

الخلاصة

ثمة مشكلة معرفية أدت دوراً كبيراً - ومازالت - في خصومة بعض الغربيين للإسلام، وكان لهذه المشكلة العديد من الأسباب، والعديد من التجليات والمظاهر التي ذكرناها وأشرنا إليها، وسيكون من الصواب أن نتعرف الى هذه الأسباب وتلك المظاهر حتى نتمكن من التعامل معها بشكل حضاري وأسلوب منهجي سليم، ونعتقد ان النتيجة عندها ستكون ايجابية وستتضاعف أعداد الغربيين الذين يقتنعون بالإسلام، أو يتراجع العديد منهم عن خصومته أو التطاول عليه كما حدث مع كثير من الأوروبيين الذين أعلنوا إسلامهم أو - على الأقل - احترامهم له عندما قرأوه قراءة واعية وعرفوه معرفة سليمة.

الهوامش

١- البرت حوراني، الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهلية للنشر والتوزيع: بيروت - ١٩٩٤م، ص٨١، ٩١.

٢- Dictionnaire Philosophique de Voltaire.Tome vll. PP.٤٦-٤٨.

٣- راجع، علي عزت بيجوفتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، ط٢، ١٩٩٧م، ص٢٩٣ وما بعدها.

٤- البرت حوراني، المصدر السابق ص ٧١-٨١.

٥- علي عزت بيجوفتش، المرجع السابق، ص٤١٣.

٦- فولتير، القاموس الفلسفي، المجلد السابع، مقالة «المحمديون».

مسلمو أوروبا والمشاركة السياسية..

ملامح الواقع وخيارات التطوير

د.رفيق حسن الحليمي

يبدأ هذا الكتاب بتقديم من المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في صفحة واحدة، ثم مقدمة وتوطئة وتسعة فصول وخاتمة، وصدر عن المجلس الأوروبي للإفتاء - دبلن ٢٠٠٧م، وطبع على نفقة هيئة آل مكتوم الخيرية.

موضوع الكتاب «معالجة قضية المشاركة السياسية لمسلمي أوروبا بالنظر الى واقعها والبحث في سبل تطويرها وآفاق النهوض بها» وفقاً لامتدادها على رقعة القارة الأوروبية بين الصعود والهبوط وبين مختلف التحديات التي تواجهها، وحجم الانعكاسات الايجابية والسلبية على الوجود المسلم، ويعد هذا الكتاب كما جاء في التقديم «الدراسة الوحيدة لواقع المسلمين في أوروبا من زاوية مشاركتهم السياسية في مجتمعاتهم الأوروبية».

المقدمة: تضمنت شرحاً موجزاً لقضية مشاركة مسلمي أوروبا في الحياة السياسية والاجتماعية، فقد اصبح الاهتمام بها يتنامى في السنوات الماضية فلم تعد «شاغلاً هامشياً»، بل اصبحت جزءاً من حياة المسلمين في أوروبا لتحقيق المصالح والمنافع ودفع المضار، على أساس «التفاعل بين الأطراف المجتمعية والسياسية»، وسعياً الى توثيق عرى الصلة والانتشار للمسلمين ضمن النسيج المجتمعي العام، وعلى قاعدة المواطنة الصالحة أملا في «أن تنحاز المجتمعات الأوروبية، إلى خيار تكافؤ الفرص للجميع».

الفصل الأول: المشاركة السياسية لمسلمي أوروبا، ويتناول مفهوم المشاركة السياسية وفقا لما تقرره مصادر العلوم السياسية، حيث يقوم النظام السياسي الديموقراطي على أساس مشاركة جميع أفراد الشعب أو الجمهور فيه بهدف «توفير جو اجتماعي، وحمايته والمحافظة عليه يستطيع فيه الأفراد أن يحققوا طموحاتهم الفردية والجماعية»، وينبغي ان «تكون هذه الطموحات منسجمة بقدر معقول مع خصوصيات البيئات السياسية الأوروبية، وغير متعارضة مع قيم الإسلام وتوجيهاته وتعاليمه، وبطبيعة الحال لا تسعى الى الهيمنة على الساحة على أساس التفاعل السليم مع شركاء المواطنة».



ورغم هذه التطمينات يرى أن الحضور اللائق ليس بالمطلب المتيسر، لما تعترضه من عقبات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمسلمين، فإن المرء يلحظ ذلك بشكل صارخ في التناول التحريضي ضد الوجود المسلم.

والى جانب المشاركة السياسية تقف المشاركة المجتمعية إذ «تبقى المشاركة السياسية جزءاً من المشاركة المجتمعية بمفهومها الشامل»، وتأتي اهميتها لتحقيق التغيير المطلوب ولتمكين «الأجانب» من حق المشاركة في الحياة السياسية.

الفصل الثاني: مسلمو أوروبا وصعوبات المشاركة السياسية، يرى الكاتب أن المشاركة بشقيها السياسي والمجتمعي تمثل أبرز تجليات الاندماج الإيجابي»، ورأى «أن المشاركة الفاعلة والإيجابية تعكس أعلى درجات الاندماج ومدى فعالية قيم التعايش الودي، وتكافؤ الفرص والمنسوب الديموقراطي في المجتمع العريض».

ومع هذا تجد المشاركة بشقيها السياسي والمجتمعي صعوبات جمة، منها صعوبات يعود بعضها الى النظام الديموقراطي (الديموقراطية التمثيلية المتعلقة بنظام الانتخابات) وما ينشأ عنها من فجوات بين النواب والناخبين ما يؤدي إلى «أزمة ثقة بين السياسي والناخب» الأمر الذي

دفع بعض الساسة الى القول بضرورة «إعادة النظر في الديموقراطية...لأنها دخلت في حقبة تحول تراجعي... ستفضي كما هو متوقع إلى نقيض لها» ولا بد من معالجة نواقض الديموقراطية التمثيلية بأشكال أكثر تشاركية، ومنها صعوبات خاصة تتعلق بالأقليات أو من يصنفون على أنهم أجانب وكونهم مسلمين، فالأقليات المسلمة مهما يكن حجمها ووزنها لا تتمتع بفرص مريحة إزاء ما يوصف بـ«مجتمع الأغلبية»، والأقليات المسلمة تطل منها أسماء توحي بالانتماء الديني «ولطالما واجهتهم أشكال التمييز والتفرقة» علاوة على الزي الإسلامي للمرأة (الحجاب) وما يستثيره من ردود «فالثابت ان المرأة تواجه في الساحة السياسية الأوروبية سقفاً زجاجياً يحد من قدرتها على الصعود الى المواقع المتقدمة» فهذه الأقليات المسلمة لا تسلم من حملات الاستهداف والتشويه التي تتجند لها مؤسسات وأقلام وأبواق إعلامية وأصوات سياسية ومجتمعية.

يضاف الى ذلك ان الاقليات المسلمة تعيش في حراكها الاجتماعي حالة من الازدواجية، ففي وجه منها تهيمن عليها ثقافة إسلامية محكومة بمرجعية دينية، وفي وجهها الآخر تتجاذبها ثقافة غربية غريبة عنها ومتعارضة معها، وبين هذه وتلك يظل المسلم حائراً بين ثقافتين، وهذا الأمر يختلف مع واقع المسلمين في اوروبا الشرقية باعتبارهم مواطنين أصليين، وصل اليهم الاسلام وهم في عقر دارهم، كما سيأتي في الفصل السادس.

خلاصة القول: إن مسلمي أوروبا «لا يتمتعون حتى الآن بفرص ذات شأن في الحضور الملموس ضمن دوائر النخب.. في الساحتين المجتمعية والسياسية، ويبقى حضورهم الضعيف للغاية لا يتناسب مع نسبهم العددية».

ويرى المؤلف أنه من المؤسف تحميل المسلمين وحدهم المسؤولية فلا «يمكن إعفاء المنظومة التشريعية من مسؤولية تحفيز المشاركة السياسية عندما تَحْرِمُ القوانين المعمول بها في معظم البلدان الأوروبية مَنْ يقيمون فيها مِنَ البشر مِنْ حق التصويت السلبي (الاقتراع دون الترشيح) في الانتخابات البلدية إضافة الى بعض العراقيل التي تضعها بعض الدول في حصول المقيمين على المواطنة (الجنسية)، الأمر الذي يؤثر سلباً في تفاعلهم مع الشأن السياسي، وحتى المجتمعي.

الحياة السياسية أصبحت جزءاً من حياة المسلمين في أوروبا لتحقيق المصالح والمنافع ودفع المضار

الفصل الثالث: مواقف مسلمي أوروبا من المشاركة السياسية، صنف المؤلف تلك المواقف في ثلاث فئات:

– فئات مؤيدة: تمثل الاتجاه العام «فالتيار الرئيس المسلم المعبر إجمالا عن الوجود المسلم يؤكد فكرة المشاركة السياسية بلا مواربة بل يرى أهميتها، وربما قال بعض قياداته بوجوبها أو فوق ذلك أي بفرضيتها، ويعزز هذا الرأي من يرون أن «المشاركة الفعالة وتحمل المسؤولية في كل مجالات الحياة هو مبدأ إسلامي أصيل يثري التعايش المشترك في عالم يقوم على التعددية».

– فئات مترددة: تتحاشى الخوض في الشأن السياسي وترى أنه «لا يقف على رأس الأولويات بالمقارنة مع اهتمامات أخرى»، وتخشى من مغبة زج المسلمين في المعترك السياسي، بما قد يثير حفيظة بعض الأطراف.

– فئات معارضة: مع تفاوت نوعي في درجة المعارضة تصل عند بعضهم درجة التحريم فمنهم من يمعن «في رفض المشاركة في شتى صورها» وخاصة فيما يتعلق بالانتخابات، أو بالانضواء ضمن الأحزاب والبرلمانات والحكومات، ويرى أن هذه المشاركة لا تجوز شرعاً وهي محرمة، ويقترح بدائل تحت ذريعة المشاركة غير المباشرة كالاتصال بالجمهور لنشر الدعوة وتوظيف رؤوس الأموال كقوة اقتصادية، وللتأثير في صناعة القرار السياسي انطلاقاً من أن النشاط في بلاد الغرب – من حيث الأصل – ليس محرماً في الإسلام، مع الحرص الدقيق على عدم الوقوع في المحرم من المعاملات كالربا.

والمشاركة في ميدان الاعلام، والاستفادة من القوة العددية للمسلمين ليصبحوا قوة ضغط.

الفصل الرابع: في توصيف المشاركة السياسية لمسلمي أوروبا، من أجل توصيف دقيق لهذه المشاركة مهد المؤلف عن وعي بمدخل تاريخي للعلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، ورأى من خلال المنظور التاريخي وما انتهى إليه العلماء أن هذه العلاقة غالباً ما تتموضع «في سياق مأزوم، مع إشارات الى ميراث ثقيل من وطأة تلك الاعباء التاريخية ينعكس على الحضور المسلم في أوروبا وآفاق مشاركته مجتمعياً وسياسياً». فالماضي يشكل جزءاً مهماً من ثقافة الحاضر لدى المسلمين ولدى الغرب أيضاً، تترك آثارها على العلاقة المشتركة بينهم وتعمل على إخراج معطيات تتحكم في مسيرة هذه المشاركة ومدى تقبلها والرضا عنها من قبل الغرب أو بعض شرائحه، فضلاً عما يأتي في سياق الحاضر من سلبيات (الكيل بمكيالين)، (وأحداث الحادي عشر من سبتمبر) ما يؤدي الى تصعيد في شقة الخلاف والى «أزمة ثقة» بينهم.

ويتطرق الى النمو العددي المتزايد في الوجود المسلم، وتمركز الأكثرية في العواصم والمدن الكبرى مما يثير حساسية من نوع معين، وهذا الوجود «لم يكن ظاهرة متوقعة سلفاً على هذا النحو»، ففي ألمانيا وحدها أكثر من مليونين وربع مليون نسمة من أصل تركي جاءوا كعمال ضيوف ثم أصبحوا «مواطنين» وقد افتتحوا قرابة ألفي مسجد ومصلى «وبرزت المظاهر الإسلامية بوضوح» وعادة ما يجري توظيف هذه الأعداد «من قبل الأطراف المتحفظة على الوجود المسلم

بطريقة تنزع الى اثارة الذعر والفزع في صفوف المواطنين الاصليين» لما يحدثه من خلل في تركيبة السكان، وقد تباينت الرؤى في التعامل مع هذه الظاهرة بين الإقصاء في حالات او المشاركة، وبين الإذابة والصهر الثقافي والاندماج.

وعلى اثر هذه التجاذبات برزت «الهوية الاسلامية» متخطية بذلك كثيراً من العقبات، وبدأ موضوع «الاندماج» يتصدر الواجهة فتبلورت اتفاقية اوروبية عام ١٩٩٢م (تم التوقيع عليها عام ٢٠٠٠م) بشأن مشاركة السكان الاجانب في الحياة العامة وحقهم في التعبير عن مصالحهم «وأخذ حضور المرأة المسلمة يبدو ملحوظاً أحياناً ضمن فضاء المشاركتين السياسية والمجتمعية».

الفصل الخامس: المشاركة السياسية في ظلال الأزمات، يعرض لما يواجه أفراد الجالية المسلمة من الأزمات المتلاحقة، وكيفية «التعبير الجماهيري» المسموح به، وهو في مجرد «التظاهر» الذي يعد حقاً ديموقراطياً كفلته المواثيق والقوانين، ويدعو المؤلف الى ضرورة تبلور «ثقافة الاعتراض السلمي» وهي ثقافة تنمو عبر مساحة حرية الرأي اساساً وتستمد وقودها من ارادة الجمهور، ووعيه بالواقع وبالتحديات التي ينطوي عليها، ويرى أن «الاعتراض السلمي»، «ينبغي ان يخضع لتقدير الدواعي والجدوى المرجوة ... ولا ينبغي أن يجنح الى التطرف أو التعصب».

الفصل السادس: مسلمو أوروبا الشرقية والمشاركة السياسية، يتناول واقع المشاركة وأبعادها المختلفة في أوروبا الشرقية في ظل التحولات التي طرأت أخيراً، فقد أعيد تشكل الساحة السياسية في دول شرق أوروبا بسبب عاملين: انهيار نظم الحكم الشيوعي، واعادة تشكيل الخارطة السياسية، وما لازم ذلك «من توترات وأزمات وحروب طاحنة كان المسلمون هم أبرز ضحاياها بلا منازع».

ويعقد مقارنة بين خصوصيات المشاركة لمسلمي اوروبا الشرقية وما تميزت به عن السياق الاوروبي العام باعتبار أن المسلمين في اوروبا الشرقية هم اصلا من السكان الأصليين، بخلاف واقع المسلمين في أوروبا الغربية فهم وافدون أو مهاجرون جدد، أما في شرق القارة فالمسلمون «يشكلون الأغلبية السكانية أو نسبة سكانية كبيرة في بعض البلدان أو ضمن أقاليم بعينها... ويعني ذلك ان المشاركة السياسية لها -من هذه الوجهة- من الأهمية والوزن والخصوصية ما لا يتوافر لنظيرتها بالنسبة لمسلمي أوروبا الغربية... وهو ما يجعل المشاركة السياسية تتعلق بمواطنين ضربت جذورهم في أعماق البيئة التي يعيشون بين اكنافها».

الفصل السابع: إشكالية المفاضلة بين المواقف السياسية عبر المجالات المختلفة، يمكن تلخيص هذا الفصل بعبارة واحدة تجري مجرى المثل وهي «الغريب أعمى» فالغريب الوافد على بلد ما أقرب ما يكون الى الاعمى الذي فقد القدرة على الرؤية الصحيحة التي تجنبه الوقوع في المطبات، وتنجيه من مهاوي الردى، أو هو كمن يفقد البوصلة في بحر لجي أو ليل مظلم بهيم، هذا هو حال المسلمين في أوروبا، كما يجسده هذا الفصل، فعندما يقتحم المسلمون حلبة المشاركة في العمل السياسي مع الأحزاب السياسية المختلفة يواجهون صعوبات جوهرية تتمثل «في افتقار عدد كبير من قطاعات المسلمين لادراك خارطة الواقع السياسي وعمقه في الساحة الأوروبية»، سواء أكان ذلك على مستوى العلاقات الداخلية أم الخارجية، إذ يتكون لديهم بعض «الانطباعات المشتتة عن سياسات بعض الحكومات والأحزاب»، ما يؤدي الى إرباكات عدة في صفوفهم تفقدهم كثيراً من مواقعهم ومصالحهم لأن هذا الحزب أو ذاك الذي حظي بأصوات الناخبين المسلمين قد يكون مقيداً بمعايير معينة يتبناها حزبه، ولا تمكنه من تحقيق طموحات الناخبين، وقد يكون هذا الحزب صاحب أيدلوجية تتعارض مع مصالح المسلمين وطموحاتهم، الأمر الذي قد يؤدي الى شكل من اشكال التهميش، «وربما يفضي الى إحباط مساعي الاندماج الإيجابي»، والأمر اكثر حساسية مع السياسات الخارجية، فهناك «فجوة ملموسة بين توقعات المسلمين والنتائج المحققة»، وقد يعزى ذلك الى ان بعض الشعارات «نادراً ما ترافقها تحولات عميقة في فضاء السياسات الخارجية».

الفصل الثامن: كيف تكون المشاركة؟ سؤال يتلمس منه المؤلف بعض المداخل لتطوير المشاركة، بكل الأشكال التي تتوافق مع خصوصيات الساحة الأوروبية وتستهدي بالتوجيهات الاسلامية اذ لا بد من معرفة المقاصد العامة للمشاركة وهي الاسهام الحسن في التأثير الايجابي على السياسات وصناعة القرار وتحديد اهداف المشاركة ووسائلها وأدواتها، ثم يقترح مواصفات لحضور اكثر فاعلية.

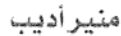
الفصل التاسع: مسائل واشكاليات في العمل السياسي للمسلمين، غالباً ما تثار بعض الشكوك بشأن ولاء السياسي المسلم، أهو للاقلية المسلمة التي انتخبته؟ ام هو للحزب الذي رشحه وينضوي في اطاره؟ وينتهي بعد مناقشة مستفيضة لهذه القضية الحساسة الى ان إمكانية «تأثير السياسي المسلم ضمن نطاقه السياسي أو الحزبي تبقى محكومة بعوامل عدة... فالسياسيون المسلمون في الأحزاب القائمة هم مجرد افراد من حيث المبدأ يعملون ضمن اطار عام مما يجعل فرصهم في التأثير محدودة».

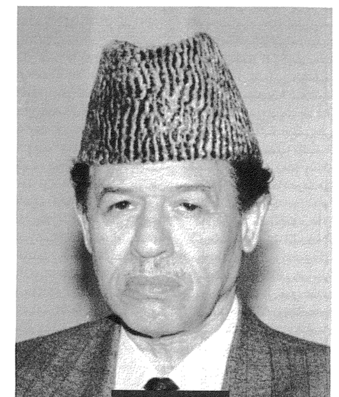
الخاتمة: تضمنت خمسين فكرة، هي عبارة عن استخلاصات واستنتاجات لمضمون الكتاب، وقد ترجمها المؤلف الى اللغة الانجليزية، ليقف على مضمون الكتاب من لا يجيد اللغة العربية من غير العرب من ابناء الجاليات المسلمة.

في الختام: من يقرأ الكتاب يدرك للوهلة الأولى الجهد المبذول فيه، والعناء الذي تجشمه مؤلفه في جمع مادته العلمية وترتيبها وتسلسلها، ثم كتابتها بأسلوب عصري ممتع سليم يرقى الى مصاف كبار الكتاب، أتمنى لمؤلف الكتاب كل سعادة وتوفيق ونجاح والى مزيد من العطاء المثمر.

د. عبد الحليم خفاجي رئيس المركز الإسلامي بميونخ في حوار خاص يؤكد على :

ضرورة خلق جزر من التواصل بيننا وبين الغرب من خلال تفسير القرآن الكريم


منير أديب


د. عبدالحليم خفاجي

د.عبد الحليم خفاجي، أحد رموز العمل الإسلامي في العالم الإسلامي ساعد في خدمة المركز الإسلامي بميونخ، وكان له دور في تفسير القرآن الكريم لغير الناطقين باللغة العربية.

د.خفاجي، تاريخ كبير وقديم للعمل للإسلام من خلال كتب أفرد بعضها لخلق حوار مع الغرب وبعضها الآخر تناول تفسير آيات الذكر الحكيم، « الوعي الإسلامي» تحاول التعرض لتاريخ د. خفاجي وما قدم للإسلام، علاوة على تقييمه للعمل الدعوي في أوروبا، وإليكم نص الحوار:

■ **في البداية نحب أن نتعرف على أهم إصداراتكم أو ما شاركتم في تقديمه للمكتبة الإسلامية؟**

- من أهم الكتب التي قمنا بتأليفها: رياض الصالحين، الحلال والحرام في الإسلام، المرأة في الإسلام، وعود الإسلام، أختي المؤمنة، محمد في الإنجيل، الإنجيل والقرآن، أمهات المؤمنين، كتاب الله ليس كذلك، شبهات حول الإسلام، يوميات ألماني مسلم، الإسلام بين الشرق والغرب، الإسلام كبديل، الله ليس كذلك، زفرات البوسنة، بين شتّى الجبهات، الإسلام في عيون السويسريين، روض الرياحين، كواكب حول الرسول، دور أوروبا في مستقبل العمل الإسلامي.

■ **وماذا عن القرآن الكريم.. هل كانت لديك فكرة واضحة عن وضع ترجمة ليس بها ما في غيرها من التراجم؟**

- كان هذا هو الهاجس المسيطر علينا لأننا اكتشفنا اهتمام الألمان منذ زمن بالقرآن الكريم أكثر من أي شعب آخر، والكارثة أننا وجدنا ٤٣ ترجمة للقرآن وللأسف لم تكن في المستوى المطلوب.. بل قال أحدهم - ممن أسلم - إنها ترجمات شيطانية لأنّ الذين قاموا بها كان هدفهم تحريف القرآن، وقد روي عن القس «مارتن لوثر» حين شكا بعض رجال الكنيسة إقبال الألمان على الإسلام فنصحهم بترجمة القرآن ترجمة محرّفة حتى ينصرفوا عنه.. فشرعت المذاهب وأصحاب الديانات المختلفة في ترجمة القرآن، مثل الكنيسة، والمستشرقين، والبهائيين، والأحمديين، والقاديانيين، وكل الديانات، الكل أراد أن يترجم القرآن على هواه، وكذلك المذاهب المنحرفة شمرت عن ساعديها لهدم هذا البنيان العظيم، فكان هذا حافزاً لوضع ترجمة للقرآن الكريم اجتنبت عيوب الترجمات القصيرة.

■ **ما مميزات الترجمة التي قدمتها؟**

- أولا من ناحية خطة العمل.. هذه الترجمة عملٌ جماعي توثيقي قام به عشرة من الباحثين المتخصصين، خمسة من العرب وخمسة من الألمان، ووفرت لهم إحدى المراكز البحثية كل الإمكانات مع كل المراجع الخاصة بالتفسير والسيرة والحديث وأسباب النزول باللغات المختلفة، وعلى رأسها لغة القرآن الكريم، وأخرجناها جزءاً جزءاً، وأنا كنت واحدا من هؤلاء ليس

أكثر.

وعلى كل استبشر بها الكثيرون لأنها أول ترجمة تفسيرية بلغة أوروبية تجنبت أخطاء الترجمات الأخرى وتجاوزتها، واستمر العمل على قدم وساق وبدأب لثلاث عشرة سنة متصلة، ولاقت الترجمة قبولاً من المسلمين الناطقين بالألمانية، ومن غير الناطقين بها.

كان لا بد من وضع ترجمة غير تقليدية لتكون بديلا ملائما لتتغلب على ضعف الترجمة الحرفية، وتعتمد المصادر الإسلامية من تفسير وحديث وأسباب النزول واختيار أوثق الآراء في تفسير آيات كتاب الله، فضلا عن الاعتماد على المصادر في اللغات الأخرى.

لقد وضعوا أيديهم على ما يعاني منه المسلمون الناطقون بالألمانية والمسلمون الجدد عامة، وأدركوا خطورة عدم توافر ترجمة ألمانية صحيحة لمعاني القرآن الكريم، مما يفتح المجال واسعاً أمام طعنات الحاقدين.

ومن خلال مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام في مدينة ميونخ برز إلى الوجود المشروع العملاق لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية التي أخذت على عاتقها تصحيح الصورة المشوهة للإسلام، وإنجاز ترجمة صحيحة ووافية لمعاني القرآن تمهيدا لوصول رسالة الإسلام إلى الناس كافة.

لقد قام فريق العمل المكون من العرب والألمان المتخصصين بهذا الإنجاز على خير وجه، وكلف د. أحمد تونوتنجي - بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي في أميركا - كلف فريقا لمراجعة العمل العملاق في مراحله المختلفة.

■ ما أهم المصادر التي اعتمد عليها تفسير القرآن باللغة الألمانية من كمّ المصادر الكبير الذي ذكرت؟

- كان الهدف ترجمة سهلة التناول والاستيعاب، حيث تم اختيار المصادر التي رجعنا إليها في هذا التفسير، وبعد جهد شاق خرجت الترجمة التفسيرية إلى النور في ثلاثة آلاف صفحة، ونالت القبول من الناطقين بالألمانية، فلم يقرأها أحد من غير المسلمين إلا دخل الإسلام، فضلا عن التزكيات العلمية التي صاحبت صدورها سواء في مصر (الأزهر الشريف)، أو في المملكة العربية السعودية (رابطة العالم الإسلامي)، أو من شخصيات لها اعتبارها لتكون الترجمة المعتمدة لدى المسلمين الألمان، وتحل محل العديد من الترجمات التي تحمل التشويه والمغالطات.

والترجمة موثقة وتورد النص القرآني باللغة العربية بجوار الترجمة الألمانية، كما أدلى مدير إدارة القرآن الكريم برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، برأيه فيها، وتم عرض العمل بعد اكتماله على مؤتمر جامعة آل البيت في الأردن، وتم اختيارها كأحسن مصدر لفهم القرآن الكريم لغير العرب معلنين انتهاء عهد الترجمات القصيرة.

■ هل قرأ غير الألمان هذه الترجمة ووجدوا فيها ما يريدون؟

- نعم، كانت البداية من قبل الروس المسلمين في السفارة السوفييتية قبل سقوط الاتحاد السوفييتي، حيث جاء أعضاء السلك الدبلوماسي لزيارتي وذكروا أنهم أعجبوا بالترجمة الألمانية وأنهم لأول مرة يفهمون القرآن الكريم دون عوائق وبطريقة صحيحة، ولم تكن الترجمة الألمانية قد اكتملت، وطلبوا مني نقل ما أنجز - حتى ذلك الحين - إلى اللغة الروسية على أن تتحمل مؤسسة «بافاريا» التكلفة، فعلمت أنها إرادة الله، وأن الله قد كتب للعمل القبول بإذنه وحده، وافقت على الفور رغم ما تحملته من عناء الإنفاق على هذه الإنجازات.

■ معنى ذلك أنهم هم الذين أقبلوا على مشروع الترجمة الروسية.. نأمل التوضيح؟

- لقد عبروا عن تقديرهم للترجمة الألمانية المفسرة التي فهموا عن طريقها - ولأول مرة كما قلت لكم - معاني القرآن الكريم، الأمر الذي لم يحظوا به من خلال الاطلاع على التراجم الروسية القصيرة أو الألمانية القصيرة، حيث يسّرت الترجمة المفسرة الفهم وأزالت الغموض الذي كان يقابلهم كلما قرأوا التراجم القصيرة، لذلك رأوها خير وسيلة لفتح أبواب الشعوب الروسية على العالم الإسلامي، كما عرضوا استعدادهم لتوثيق الترجمة من جميع الجهات المعتمدة في العالم الإسلامي، ونزولا على رغبتهم وإصرارهم تمت الموافقة على نقل الترجمة الألمانية الأم إلى اللغة الروسية.

استغرق العمل في الترجمة الروسية تسع سنوات من العمل المتواصل المضني، واكتملت الترجمة، وسرعان ما عرفنا الطريق إلى موسكو لمراجعتها على أيدي نفر من المسلمين المختصين الروس، حيث يستفيد من هذه الترجمة حوالي ٨٠ مليون مسلم يقطنون إحدى عشرة ولاية، فضلا عن إطلاع غير المسلمين عليها وإتاحتها في المنتديات والمكتبات، والمراكز الثقافية إضافة للمساجد والمراكز الإسلامية لعل الله أن يهدي الجميع إلى الإسلام.

قام على هذا العمل العملاق عدد من المراكز المعتمدة مثل مكتب «هوتسة» للترجمة بميونخ، ومكتب شؤون القانون الدولي في البوسنة بإشراف البروفيسور «رامو أتاجيك» عميد كلية الحقوق في سراييفو، وتمت المراجعة على أيدي عدد من المسلمين الروس الثقات، ثم كانت المراجعة النهائية على يد كل من: د.عبدالسلام المنسي، ود.سمية عفيفي في القاهرة، والروسية المسلمة بالينا في موسكو، وهم جميعا من الخبرات التي لها قدرها في تخصصاتهم.

■ نأمل تسليط الضوء على الترجمة التي تلت الترجمة الروسية، وهي البوسنوية؟

- أوجدت الحرب في البوسنة والهرسك اهتماما غير عادي لدى الشعوب الأوروبية عامة والشعب الألماني خاصة بالإسلام، ويظهر ذلك جليا في الصحف والمجلات التي تتكلم كل يوم عن الإسلام والعالم الإسلامي ومستقبل العالم، كما يظهر ذلك من موجة الإقبال على السؤال الدائم عن كثير من القضايا ورؤية الإسلام لها حيث لا توجد فيها مصادر معتمدة.

جاء دور الترجمة البوسنية المفسّرة على غرار ما سبقها من تراجم مفسرة، ولا يملك الإنسان إلا أن يسجد شكرا أمام كرم الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا.. كان بين أيدي البوسنيين نسخة قديمة لمعاني القرآن الكريم منذ

عهد الخلافة العثمانية.. وهي ترجمة الحاج على رضا كارابج، قمنا بطبعها مصغرة قبل اندلاع حرب البوسنة والهرسك.. زارنا اثنان من أهل البوسنة د. رامو أتاجيك عميد كلية الحقوق بجامعة سرايفو وزميل له، وأعربا عن رغبتهما في نقل الترجمة الألمانية المفسرة إلى اللغة البوسنية لأنهم فهموا القرآن الكريم، ولأول مرة، على الوجه الصحيح من خلال الترجمة الألمانية المفسرة نظرا لإجادتهما اللغة الألمانية إذ كانا يعيشان في ألمانيا قبل حرب الاستقلال، وافقنا على ذلك فللقرآن رب يحميه.. وبعد سبع سنوات اكتملت الترجمة البوسنية المفسرة بحمد الله فكانت فتحا جديدا من الله.

■ ما آخر الترجمات التي أصدرتها مؤسسة بافاريا؟

- آخر الترجمات هي الترجمة الإسبانية فقد قيض الله لنا جنديا من أرض الحجاز أخذ على عاتقه تحمل نفقات الترجمة المفسرة إلى اللغة الأسبانية لحاجة المسلمين في إسبانيا وأميركا الوسطى والجنوبية إلى مثل هذا العمل، ولكون اللغة الأسبانية هي الثانية في العالم من حيث عدد الناطقين بها بعد الإنجليزية، فهي لغة عريقة ورثت من العربية الشيء الكثير، يتكلم بها اليوم ما يربو على ٤٠٠ مليون نسمة، وهي من اللغات اللاتينية الأساسية التي من الممكن أن تكون أساساً للترجمة إلى الفرنسية والبرتغالية والإيطالية.. كانت مهمة اختيار لجنة الترجمة على عاتق أخينا د.بهيج ملا حويش لكونه قضى في أسبانيا ما يربو على الثلاثين عاما، ولكونه عضوا في عدد من المؤسسات الدعوية الإسلامية العالمية، وقام بجهد متواصل ليكون حلقة الوصل بين بافاريا والمجلس الإسلامي الأسباني الأعلى للبحوث العلمية CESIC ليقوم بتوثيق الترجمة المفسرة لمعاني القرآن الكريم في اللغة الأسبانية، وقد تحقق كل ذلك بفضل الله ورعايته على الوجه الأفضل.

نقدم القرآن الكريم مفسرا بلغة سهلة وميسرة لجميع لغات العالم حتى تصل الدعوة للجميع

و نشير إلى أن أمر الإشراف على الطباعة اسند إلى شركة (ديداكو - DIDACO) الأسبانية لما لها من إنتاج متميز يشهد به أهل الاختصاص في الغرب، ليكون في متناول القارئ الناطق بالأسبانية تحت اسم «الترجمة المفسرة لمعاني القرآن الكريم باللغة الأسبانية».

■ ولكنك توقفت فجأة منذ إصدار الترجمة الأسبانية، وكنت عازما على الترجمة الإنجليزية في أسرع وقت.. ما أسباب هذا التأخير؟

- حقيقة هي استراحة محارب، فقد حاولنا أن نعيد ترتيب البيت من الداخل، ووجدنا أن جهدنا لثلاثة عقود أو يزيد كان خارج بلادنا، فسعينا للتواجد في البيئة العربية كموقع وسط، واخترنا دبي في الإمارات لنقيم شركة هناك «بافاريا دبي» تهتم أكثر بالتسويق للمشروع وهي الآن في مراحلها الأخيرة، ونسعى لإكمال المراحل الأخيرة من الترجمة الإنجليزية التي ستعد من أقوى الترجمات وأكثرها فعالية، وبإذن الله من خلالها سينطلق العمل إلى الإيطالية والفرنسية، ثم اليابانية والصينية ولا نستبق الأحداث.

■ وماذا عن المشروعات المستقبلية؟

- الله أعاننا على هذا العمل بتوفيقه، فقد عقدت العزم أن ننطلق في مشروع حضاري عملاق أطلقت عليه «الفتوح العشر» وهي فتوح ربانية لنقل القرآن مفسرا إلى اللغات الحية، وانتهينا من اللغة الإنجليزية كفتح جديد متميز، وتمت المراجعة النهائية، وبصدد تأمين تكاليف الطباعة والمراجعة والله هو الموفق، بالإضافة للعمل الثقافي لنقل أفضل الكتب التي لها اهتمام بالإسلام، أو الكتب المؤثرة التي توضح لغير العرب الصورة المشرقة للإسلام إلى اللغات الأخرى.

وتوجد لدينا الترجمة المفسرة للقرآن الكريم باللغة البولندية جاهزة للمراجعة الآن، ولكن مؤجلة قليلا لأهمية مشروع آخر.

د. خفاجي في سطور

- رئيس مجلس إدارة مؤسسة بافاريا للإعلام والنشر.
- مصري الجنسية.
- ولد في قرية مرصفة - محافظة القليوبية في ٦ فبراير ١٩٢٣.
- تخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة ١٩٥٤.
- عمل في الكويت منذ مطلع السبعينيات باحثا قانونيا في ديوان وزارة العدل الكويتية.
- هاجر إلى ألمانيا عام ١٩٧٩.
- عمل في المركز الإسلامي في مدينة ميونيخ ١٩٨٠.
- ثم أسس مدرسة تدرّس المنهجين العربي والألماني ١٩٨١.
- أسس معهدًا لتعليم اللغة العربية للألمان ١٩٨٢.
- تفرغ لتأسيس مؤسسة بافاريا للإعلام والنشر كرافد ثقافي يعرّف الأوروبيين بالإسلام ورسالته بمنهج وسطي بلا غلو ولا تفريط حيث لم يكن يوجد منذ ربع قرن الكتاب الإسلامي بالفهم الصحيح ١٩٨٣، ومنذ ذلك الحين يعمل في المجال نفسه.

كان يلفت نظره حرص الألمان على القراءة والسعي للتعرف على الإسلام، فملأ ذلك الفراغ بالعديد من الكتب الإسلامية، وكان شغله الشاغل هو القيام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية بفريق عمل من الألمان والعرب، فتم ذلك في ثلاث عشرة سنة، ومن هنا انطلق إلى اللغات الأخرى.

مؤلفاته

- حوار مع الشيوعيين
- عندما غابت الشمس
- كواكب حول الرسول
- دور أوروبا في مستقبل العمل الإسلامي



منهج الإسلام في تحقيق السلام العالمي

محمود سلامة الهايشة

نحن بصدد استعراض الكتاب الذي صدر حديثا بعنوان «منهج الإسلام في تحقيق السلام العالمي»، عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، ضمن سلسلة دراسات إسلامية، التي تصدر في منتصف كل شهر هجري، العدد (١٦٣)، المحرم ١٤٣٠هـ/يناير ٢٠٠٩م، والكتاب من تأليف د.محمد الشحات الجندي، ويقع الكتاب في ١٦٠ صفحة من القطع الصغير.

بداية، تناول الكتاب مفهوم الحرب ومدى مشروعيتها وأسبابها وأنواعها، والمراد بالحرب والقتال بين فئتين من الناس، ونورد فيما يلي الفرق بين الجهاد والحرب كما بينه المؤلف في الكتاب.

فالجهاد في الإسلام هو دفاع عن مبدأ، وشُرع لإعلاء كلمة الله وإنقاذ الإنسان من ظلم أخيه الإنسان، وسيادة قواعد الحق والعدل بين البشر.

أما الحرب. فكلمة تطلق على القتال مطلقاً أيا كانت بواعثه، مشروعة أو غير مشروعة.

أسباب الحرب كما حددها ابن خلدون

١- غيرة أو منافسة بين القبائل المتجاورة.
٢- حرب عدوان، وتحدث بين الأمم الوحشية (الساكنين في الأماكن النائية)
٣- غضب لله ولدينه، وهذا يسمى جهادا.
٤- غضب للملك.

أنواع الحرب: حرب دولية، حرب داخلية.

الحرب وسيلة غير مرغوب فيها لما فيها من سلب الأرواح والأموال، ومع ذلك فهي وسيلة سلكها البشر ولم ينجوا من أهوالها، فهي مظهر من مظاهر حب البقاء وتنازع الأهواء وصراع الحق مع الباطل (١).

ولكن إذا كانت الحرب مشروعة في الإسلام، فإن هذا باعتبارها الملجأ الأخير وليس معناه أنها شرعت بصفة مطلقة دون قيد أو ضابط، فإن الإسلام لا يخرج عن علاقة السلم إلا إذا امتدت إليه يد العدوان، هنا فقط يؤذن لأهله أن يردوا العدوان بالعدوان.

ومن هذا المنطلق يؤكد الكاتب أن إقرار السلام العالمي غاية ومقصد من مقاصد التعايش البشري في الإسلام، يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

ونظراً لمكانة السلام في الإسلام كانت تحية المسلمين هي السلام، وذلك تقديراً لشأنه وإعلاء لكلمته، وقد نسبت إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمة تعتبر رمزاً عالياً لتعلق السلف بالسلام، إذ يروى أنه كتب إلى الأشتر النخعي يقول «لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك، ولله فيه رضاء، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل (يأخذك على غفلة)، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن (يعني لا تركن لحسن الظن)».



ومن الأدلة التي تثبت أن السلم هو الأساس في علاقة المسلمين بغيرهم، قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)، ومن السنة النبوية المطهرة: قول رسول الله ﷺ «أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» (صحيح البخاري) إن الحروب التي خاضها النبي ﷺ ما كانت إلا دفاعاً مشروعاً عن الدين والوطن الإسلامي، وعلى سبيل المثال، حروبه مع أهل مكة لأنهم وقفوا موقفاً عدائياً للدعوة وتآمروا على قتله، وحروبه مع اليهود لأنهم نقضوا عهودهم معه.. وهكذا. وقد رسم النبي الكريم ﷺ لأصحابه المنهج في حروبه مع أعدائه، وهو أن يخيروا من يحاربونهم بين أمور ثلاثة: الإسلام (أو المعاهدة التي تبيح نشر الدعوة)، عقد الصلح الدائم، وإما القتال.

لذلك نؤكد أن الحرب إذا قامت فلا بد أن تكون دفاعية تحت نطاق الضرورة، أي تكون شرعية وليست لأهداف مادية، ومن الضروري أن نؤكد أيضاً على أصل التضامن والتكافل في رد العدوان بين الوحدات الإسلامية كافة.

ولتحقيق السلام يجب على الأمة الاحترام المتبادل بين الدول، والتسوية

السلمية للمنازعات...كالتسوية التي أجراها أبوعبيدة مع أهل الشام، وكما جاء في الآية الكريمة ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦١).

أنواع الصلح

الصلح المؤقت (الهدنة): وهو عقد موادعة ومهادنة مع العدو لمدة معلومة.

الصلح الدائم: وهو يعتمد على خضوع أهل الذمة لأحكام الإسلام، وكف شرهم إلى الأبد مقابل جزية كل عام.

والصلح المؤقت يكون بين زعيمين: مسلم وكافر، أو بين نائبيهما، أو بين أحدهما ونائب الآخر.

أما إجراء الصلح الدائم فيكون بين طرفين: الجانب الإسلامي، ويمثله الامام أو نائبه، أما الطرف الآخر فيكون دون تخصيص أو تمييز ما دام المخالف يعقل هذا الصلح ويلتزم بمقتضياته ومؤداه، والالتزام بإعطاء الجزية، والالتزام بأحكام الإسلام.

الأسس اللازمة لإجراء الصلح المؤقت

(١) توافر المصلحة: لا بد لعقد الصلح المؤقت أن تكون هناك مصلحة، مثل: قلة المال - ضعف- حقن الدماء...إلخ.

(٢) خلو الصلح من الشروط الفاسدة، بمعنى أن أي شرط يرفضه الإسلام أو لا يتفق مع أحكام القرآن والسنة لا يجوز أن نقيم عليه صلحا، ومن أمثلة الشروط الفاسدة: منع فك أسرى المسلمين- رد امرأة مسلمة إليهم- احتلال أجزاء من الأراضي الإسلامية.

(٣) تحديد المدة: معلومية المدة بداية ونهاية.

شروط الصلح الدائم

(١) الالتزام بأحكام الإسلام فيما يتعلق بحقوق الآدميين.

(٢) الالتزام بدفع الجزية كل سنة.

آثار الصلح المؤقت

(١) وقف الحرب وأعمال القتال، يتقرر الأمن والسلام طيلة مدة الصلح إلا إذا نقضه العدو.

(٢) عصمة أنفس المجاهدين وأموالهم، يكتسب أصحاب العقد عصمة (صيانة) أنفسهم وأموالهم مما يبرز تعميق حق الحياة، ويحل السلم والوئام، ويفرض الوضع الجديد الحرص على ترسيخ ثقافة السلام.

إن الهدنة كما ذكر الماوردي (٢) موجبة لثلاثة أمور: الموادعة في الظاهر، وترك الخيانة في الباطن، والمجاملة في الأقوال والأفعال.

آثار الصلح الدائم

(١) إنهاء الحرب وعودة العلاقات السلمية بين المسلمين وغيرهم.

(٢) التزام المسلمين بالدفاع عنهم وحمايتهم، مثل موقف الإمام ابن تيمية حينما تغلب التتار على الشام فذهب ليكلمهم بشأن أسرى المسلمين ورفض إطلاق سراح أهل الذمة، فأبى الإمام ابن تيمية وقال: لا نرضى إلا بانفكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً منا أو منهم فاستجاب لطلبه.

(٣) التزام أهل الذمة بأحكام الإسلام.

(٤) حرية العقيدة وممارسة شعائر الأديان.

(٥) المساواة مع المسلمين في الحقوق والواجبات.

التحقيق والوساطة أو المساعي الحميدة التحقيق في الشريعة الإسلامية

يأمرنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قائلاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)، لقد دعانا ديننا الإسلامي إلى وجوب التحقق قبل الحرب أو إزهاق الأرواح.

ان التحقيق نوع من بيان الحقيقة وإظهارها، لذلك أمرنا الإسلام عند مجيء فاسق بنبأ عظيم له نتائج عظيمة فلا تقبلوه بادئ الأمر بل توقفوا فيه وتثبتوا، حتى تأمنوا العاقبة، كما يجب أن يراعى في لجان التحقيق الحيدة والعدالة المطلقة والتنزه عن الهوى حتى مع الأعداء، كما اخبرنا الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

حقائق مهمة

(١) إن الشريعة الإسلامية تركز على الغاية من وسائل التسوية السلمية.

(٢) إن المفاوضات وسيلة مقبولة كإجراء لتسوية المنازعات.

(٣) إن الشريعة أجازت موادعة الأعداء وعقد معاهدة سلام مع غير المسلمين.

(٤) «لا ضرر ولا ضرار» هذا هو هدف المفاوضات الإسلامية.

(٥) إن الشريعة مفتوحة العقل والقلب، فلم تحدد إجراءات معينة وإنما تركتها لاعتبارات الزمان والمكان.

(٦) إن الصلح بنوعيه لا يكون بالضرورة نتيجة لحرب وإنما يمكن أن يكون في أية منازعة.

(٧) يجب الاستجابة لتسوية المنازعات إذا كانت بمبادرة من الأعداء.

(٨) الصلح مع العدو في الإسلام جائز مطلقاً من غير تحديد مدة ولا فرض جزية.

الوساطة أو المساعي الحميدة

وهي مساعي الإصلاح والتوسط لإزالة الخلافات تماماً، ليس بالضرورة أن المساعي أو الوساطة تنجح في كل الأحوال، كإرسال السلطان الغوري إلى لويس الثاني عشر ليقوم بالوساطة لدى رئيس الفرسان، لإبرام معاهدة تقرر حرية التجارة للتجار الفرنسيين في مواني مصر، وفتح الكنيسة والسماح للحجاج بزيارة الأراضي المقدسة، ووجد لويس الثاني عشر هذا العرض فرصة طيبة وأرسل اندريه لوردي سفيراً لدى الغوري.

التحكيم في الشريعة الإسلامية

تعريف التحكيم: هو أداة للفصل في المنازعات الداخلية والخارجية السلمية والحربية، أي انه يستخدم على حد سواء في العلاقات الدولية والشؤون الداخلية.

إن التحكيم يستخدم كوسيلة لفض المنازعات، ويكون اللجوء إلى التحكيم بناء على رغبة طرفي المنازعة، وعلى المحكم أن يطبق حكم الشرع ويلتزم بأحكام الإسلام، كما جاء في القرآن الكريم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء: ٦٥).

الهوامش

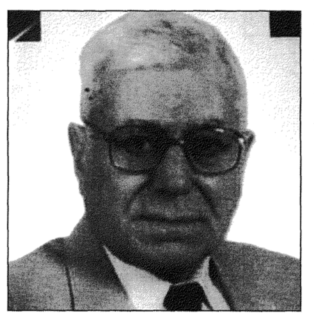
١- منهج الإسلام في تحقيق السلام العالمي، ص ٣١.

٢- انظر: مخطوطة شرح الحاوي، ج٤، ص ٥٣.

د.محمد شوقي الفنجري رائد الوقف الإسلامي:

مؤسستا الزكاة والوقف .. هدية الإسلام للبشرية

أحمد أبوزيد



د.محمد شوقي الفنجري أستاذ الاقتصاد الإسلامي ورئيس الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، يعد من رواد الوقف الإسلامي في هذا العصر، فهو صاحب أوقاف خيرية تعمل لخدمة الدعوة والفقه الإسلامي، والبحث العلمي وطلبة العلم، وأبناء الأقليات الإسلامية، والمجالات الخيرية الأخرى، وتبلغ قيمتها اليوم ما يزيد على أربعة ملايين جنيه، ويرأس اليوم أكبر جمعية خيرية في تاريخ مصر، وهي الجمعية الخيرية الإسلامية، التي أحيا نشاطها من جديد، وجعلها معقلاً من معاقل العمل الخيري في مصر والعالم الإسلامي، وأدخل فيها المواسم الثقافية السنوية التي يحاضر فيها مجموعة من كبار العلماء والمفكرين في مصر مثل د.زغلول النجار ود.محمد عمارة والمستشار طارق البشري ود.جعفر عبدالسلام، وتعالج فيها قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، كما أدخل الندوات التي تناقش العديد من القضايا الإسلامية، مثل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والوقف والسبيل إلى إصلاحه وتفعيل دوره، والعمل الخيري بين الواقع والمأمول، واللغة العربية وسبل النهوض بها، إلى جانب الاحتفاليات السنوية التي تنظم تخليدا لذكرى رواد الجمعية الخيرية من العلماء، وآخرها احتفالية الشيخ مصطفى عبدالرازق أحد شيوخ الأزهر السابقين.

« الوعي الإسلامي » حاورت الفنجري حول العديد من القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه الأمة في هذا العصر... واليكم نص الحوار:





■ **من المشهور عنكم اهتمامكم الكبير بقضايا الوقف، ودخولكم في هذا المجال بثقل كبير، فما هو دور الوقف في تنمية المجتمع الإسلامي ومعالجة مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية؟**

من الثابت أن الإسلام قد أهدى للبشرية منذ خمسة عشر قرنا مؤسستين أساسيتين، هما مؤسسة الزكاة ومؤسسة الوقف، والغريب أن هاتين المؤسستين مغيبتان اليوم في العالم الإسلامي أو معطلتان عن أداء دورهما الكبير في خدمة المجتمع، وتحقيق المصلحة العامة لأفراده، باستثناء بعض الدول الإسلامية التي تنظم جمع الزكاة وتضع لها قانونا مثل المملكة العربية السعودية، وتعطيل هاتين المؤسستين يعد أهم أسباب تخلف العالم الإسلامي المعاصر، بينما أخذ العالم المتقدم في أوروبا وأميركا بهاتين المؤسستين تلقائيا، مما أسهم في تقدمه إسهاما كبيرا، فمن المعروف أن كل أسرة أوروبية أو أمريكية تخصص بانتظام أكثر من ٢ في المائة من دخلها للجمعيات الخيرية والمنظمات غير الحكومية، وهذا مقابل للزكاة في الإسلام وهي فريضة معطلة، كما أن رجال الأعمال في الغرب يوقفون تلقائيا بعض ما يملكون من عقار أو أوراق مالية لصالح الجمعيات الخيرية أو الجامعات والمستشفيات وغيرها من أوجه البر، وهذا هو الوقف الإسلامي بعينه، فجائزة نوبل وغيرها ليست إلا تطبيقا للوقف الإسلامي.. وهذا هو سر تقدم الغرب، فليس هناك أحد مضيع، وهذا مبدأ إسلامي أصيل، ألا يكون في المجتمع جائع واحد أو مضيع واحد، ولكن مع الأسف فإن هذه المؤسسات مغيبة في العالم الإسلامي بسبب العدوان على أوقاف المسلمين، والاستيلاء عليها من قبل بعض الحكومات، مما جعل الناس يزهدون في الوقف، ولم يعودوا يوقفون أملاكهم أو أموالهم خشية أن يأخذها الحكام، بعكس الغرب الذي يحترم هذه المؤسسات ويشجعها، ولذلك نقول: إذا أردنا للعالم الإسلامي تنمية حقيقية علينا أن نعيد الاعتبار لمؤسستي الزكاة والوقف حتى تؤديا أدوارهما في خدمة المجتمع وتنميته وتقدمه.

مقياس الفقر

■ **وما مقياس الفقر في المجتمع طبقا لمنهج الاقتصاد الإسلامي؟**

- الفقراء هم الذين لا يستطيعون بحسب قدراتهم ومواردهم أن يوفروا لأنفسهم المستوى اللائق للمعيشة، وهو حد الكفاية لا

الكفاف، فيعطون من الزكاة القدر الذي يصل بهم إلى حد الكفاية، أي أن الهدف من الزكاة هو تحقيق مستوى لائق لمعيشة الفقير بوصفه إنسانا كرمه الله واستخلفه في الأرض، ومن ثم كانت الزكاة معونة دائمة منتظمة حتى يزول الفقر بالغنى، وتزول البطالة بالكسب.



والفقراء ثلاث طوائف، نوع يستطيع أن يعمل ويكسب ويكفي نفسه بنفسه ولكن ينقصه رأس المال للتجارة أو أدوات الصنعة، فهذا يعطى من الزكاة بقدر ما يمكنه من العمل والكسب واكتساب كفاية العمر وعدم الاحتياج إلى الزكاة مرة أخرى، ونوع ثان يستطيع أن يعمل ويكفي حاجته ولكنه متفرغ للعبادة، فلا يعطى من الزكاة، بخلاف الفقير المتفرغ للعلم، إذا تعذر عليه الجمع بين الكسب وطلب العلم فإنه يعطى من الزكاة بقدر ما يعينه علي أداء مهمته، والنوع الثالث عاجز عن الكسب كالمريض المقعد والشيخ الهرم والأبله والطفل اليتيم فهذا يعطى من الزكاة راتبا دوريا يكفي حاجته الأصلية حتى يزول سبب العجز.

الضرائب والزكاة

■ **البعض يخلط في الفهم بين الضرائب والزكاة، ويتقاعس عن إخراج الزكاة بعلة أنه يدفع ضرائب للدولة عن مشروعاته الاقتصادية، فهل تغني الضرائب عن الزكاة؟**

- الزكاة تختلف عن الضرائب، فالزكاة فريضة دينية وركن من أركان الإسلام، ولها أنصبة ومصارف محددة تنفق فيها، ولا نستطيع أن نصرف منها على الجهاز الإداري للدولة، ومن هنا يبيح الإسلام للدول أن تفرض ضرائب على المواطنين للصرف منها على المرافق مقابل الخدمات التي يحصل عليها الأفراد كالتعليم والصحة والمرافق المختلفة والمصالح الخدمية في الدولة، ومن هنا فإن الزكاة لا تغني عن الضرائب، وكذلك الضرائب لا تغني عن الزكاة. ومن الأشياء التي تميز الضرائب عن الزكاة، أن الزكاة يجب إخراجها سواء احتاج إليها المجتمع أو لا، بخلاف الضرائب فلا يجوز أن تفرض ضرائب إلا بقدر احتياج المجتمع.. ولذلك في أيام العز بن عبدالسلام، طلب منه الظاهر بيبرس المملوكي أن يفتي له بفرض ضرائب ليقوي بها الجيش الذي يحارب التتار، فقال له العز: سأفتي لك بهذا بعد أن تبيعوا كل ما تحلون به سيوفكم وملابسكم من ذهب، وعندها سنجمع لك بقدر ما تحتاج من أموال للانتصار في الحرب لأنك تدافع عن ديار الإسلام.

الإسلام والتوازن الاقتصادي

■ **ضوابط الملكية في الإسلام تختلف عما هو سائد في الأنظمة الوضعية، فما الأسس التي وضعها الإسلام في هذا الشأن لتحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع الإسلامي؟**

- الفقهاء المسلمون القدامى والمعاصرون لخصوا طبيعة الملكية في الإسلام، سواء كانت ملكية خاصة أم عامة بقولهم «المال مال الله والبشر مستخلفون فيه» فحيازة أو ملكية الفرد أو الدولة للمال في الإسلام ليست امتلاكا بالمعنى المطلق، وإنما هي وديعة أو وظيفة شرعية، أو هي ملكية مجازية، أي ملكية في الظاهر بالنسبة للآخرين، إذ المالك الحقيقي لكل الأموال هو الله تعالى، وانه سبحانه سيحاسب المكتسب للمال أو الحائز المتصرف فيه، من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

وقد ترتب على تكييف الإسلام للملكية، خاصة كانت أم عامة، أن أصبحت أمانة واستخلافا ومسؤولية، ويجب الالتزام في شأنها بتعاليم الإسلام.. وحرية الملكية الخاصة في الإسلام مشروطة بأن يتوفر حد الكفاف، أي الحد الأدنى اللازم للمعيشة للآخرين.. والمستوى اللائق للمعيشة يقدر حسب ظروف الزمان والمكان، والواجب توفيره لكل من يتواجد في المجتمع الإسلامي أيا كانت ديانته أو جنسيته، وهو ما يوفره لنفسه بجهده وعمله. فان عجز عن ذلك بسبب خارج عن إرادته كمرض أو شيخوخة انتقلت مسؤولية ذلك إلى بيت المال أو خزانة الدولة.

والإسلام يسمح بالثروة والغنى مع وجوب محاربة الفقر والعوز، لقول الله تعالى ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ (الإسراء: ٢٦)، فلا بأس بالغنى لمن اتقى في ظل الاقتصاد الإسلامي، على أن يكون الغني ملتزما بالشرع الإسلامي، فالغني لا يسمح له مثلا أن يكنز أمواله أو يحبسها عن التداول والإنتاج، ولا يملك أن يصرف ماله على غير مقتضى العقل وإلا عد سفيها، وجاز الحجر عليه، وهو مطالب دائما بإنفاق الفائض عن حاجته في سبيل الله، سواء في صورة إنفاق مباشر على المحتاجين أو استثمار يعود نفعه على المجتمع، كما أن على الحاكم أو الدولة التدخل لمنع استئثار أقلية بخيرات المجتمع، إعمالا لقول الله تعالى ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ (الحشر: ٧).

مواجهة العولمة

■ **التكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية أصبح اليوم ضرورة حتمية حتى تستطيع فرض وجودها على الساحة العالمية والتصدي للعولمة التي تهددها بقوة، فما السبيل لتحقيق هذا التكامل المنشود؟**

- التكامل الاقتصادي من أهم صور التكافل والذي يؤدي في النهاية إلى أن نكون أمة واحدة.. وشاء الله أن يتحقق هذا التكامل بين الأمة العربية والإسلامية مجتمعة رغم أنه مفقود في كل دولة على حدة، لكن رغم وجوده في هذه الدول فإنه ينقصه التنفيذ، بمعنى أن هناك أربعة عناصر للإنتاج، وهي رأس المال والعمل والموارد الطبيعية والعنصر



المنظم.

فعلى سبيل المثال يوجد في السودان ٢٠٠ مليون فدان صالحة للزراعة لكنها تحتاج لرأس المال لكي تتم زراعتها، وإذا وجد رأس المال سوف تكون السودان سلة العالم العربي كله، وفي مصر ٥ ملايين فدان لم تزد منذ أيام محمد علي، وكلما توسعت المساحة تأتي الزيادة السكانية والمباني لتتصدى لعملية التوسعة، بالإضافة إلى أننا ينقصنا أيضا رأس المال رغم وجود العمالة، عكس دول الخليج التي لديها الإمكانيات المادية لكن ينقصها العمالة، وهذا التفاوت في عناصر الإنتاج وتوزيعها بين الدول الإسلامية جاء لحكمة جليلة، وهي ضرورة تحقيق التكامل والوحدة بين هذه الدول لتكون امة واحدة، فكل الإمكانيات متاحة أمام العرب والمسلمين لإثبات الوجود لكن لم تستغل هذه الإمكانيات وتنقصها سرعة التنفيذ، ولتحقيق هذا التكامل الاقتصادي فعلى الدول العربية والإسلامية الاستفادة من بعضها البعض والتعاون فيما بينها عملا بقول الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: ٢) وقول النبي ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (البخاري).

المسلمون مقربون إلى الله بقدر تعميرهم للدنيا وأخذهم بأسباب التنمية الاقتصادية

الإسلام ورعاية المسنين

■ الجمعية الخيرية الإسلامية التي تتولون رئاستها من الجمعيات التي لها تاريخ عريق في رعاية المسنين منذ إنشائها في عام ١٨٩٢م، فما الدور الذي تقوم به في هذا الصدد، خاصة أن عدد المسنين في مصر قد وصل إلى ما يقرب من ٧ ملايين مسن؟

– من بين أهداف الجمعية الخيرية الإسلامية تقديم الرعاية الاجتماعية للفقراء العاجزين سواء في صورة عون مادي أو علاج مجاني أو إيواء اليتامى ورعاية المسنين، والجمعية ترد لها طلبات عديدة من الأسر الفقيرة لمساعدتها وتقوم بتكليف موظفيها من الإخصائيين الاجتماعيين ببحث الطلبات وتقديم تقرير بشأنها ثم يتم صرف المساعدات اللازمة سواء كانت عارضة كحالات المرض أو الوفاة أم دائمة كحالات الشيخوخة والعجز الكلي عن العمل، والجمعية في عام ١٩٤٤ حولت تكية المولوية إلى ملجأ للمسنين العاجزين، وألحقت به عيادة وصيدلية لتوفير الرعاية الصحية المجانية للنزلاء ثم تم نقل دار المسنين إلى مقر الجمعية بحي السيدة زينب، وتوفر الجمعية للنزلاء الإعاشة الكاملة من إيواء وغذاء وكساء ورعاية صحية واجتماعية مجانا، وفي عام ١٩٨٣ أنشأت الجمعية دارا أخرى للمسنين تشغل أربع وحدات سكنية تقدم خدماتها مقابل أسعار مخفضة، ثم أنشأت دارا ثالثة لرعاية المسنين في مقابل دفع التكلفة الفعلية للخدمة فقط، ونحن بصدد إنشاء دار كبيرة لرعاية المسنين والمسنات في مقرها الجديد بضاحية المعادي، ولا شك أن احتياجات المسنين المتزايدة تتطلب التنسيق بين الحكومة والجمعيات والمؤسسات المعنية لتوفير الرعاية الملائمة للمسنين لأن الجمعيات الخيرية وحدها لا تستطيع القيام بتلك المهمة العسيرة، ومن أجل ذلك فإننا نقترح تخصيص جزء من أموال الزكاة لرعاية المسنين المحتاجين، وأن تقوم المستشفيات الحكومية بندب أطباء زائرين لدور المسنين، وأن تمنح وزارة الشؤون الاجتماعية معاشات خاصة للذين يقيمون في دور المسنين المجانية، وإنشاء المزيد من تلك الدور لاستيعاب المسنين الراغبين في الاستفادة من خدماتها.

وقفيات د.شوقي الفنجري

بلغت وقفيات د.محمد شوقي الفنجري التي بدأها منذ ما يزيد على ربع قرن وحتى اليوم سبع وقفيات، تجاوزت قيمتها أربعة ملايين جنيه، تدر عائدا سنويا شبه ثابت يقدر بنحو ٤٠٠ ألف جنيه، أي نحو ٣٥ ألف جنيه شهريا تصرف بانتظام على أوجه الخير المحددة في نص الوقفيات، وتشمل خدمة الدعوة والفقه الإسلامي وأبحاث الإعجاز العلمي في القرآن، ومساعدات لطلبة الأقليات الإسلامية الدارسين في الأزهر، وكذلك لطلبة الأزهر المصريين وطلبة جامعة القاهرة، والأنشطة الخيرية بالجمعية الخيرية الإسلامية، وهي على الوجه التالي:

١- وقفية للطلاب المحتاجين بجامعة القاهرة قيمتها ٧٥٠ ألف جنيه في صورة شهادات استثمار، وعائدها سبعة آلاف جنيه شهريا، توزع على ٢٨٠ طالبا في سبع كليات، وبعد أن يتخرج الطالب يحل محله طالب جديد.

٢- وقفية مسابقة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي، وقيمتها ٦٥٠ ألف جنيه، وبعد وفاة الواقف سيضاف إليها نصف مليون جنيه أخرى، وهي لتشجيع الأبحاث العلمية في مجالات الدعوة والفقه الإسلامي.

٣- وقفية الأجهزة التعويضية للطلاب المعاقين بالمعاهد الأزهرية، وقيمتها ٥٠٠ ألف جنيه، وعائدها السنوي ١٠٠ ألف جنيه مدعومة من قبل بنك فيصل الإسلامي.

٤- وقفية الطلاب الوافدين للدراسة بجامعة الأزهر من غير القادرين، وقيمتها ٣٧٥ ألف جنيه، وعائدها الشهري خمسة آلاف جنيه، توزع على خمسين طالبا بواقع مائة جنيه لكل طالب حتى يتخرج.

٥- وقفية المساعدات الاجتماعية لغير القادرين من طلاب جامعة الأزهر المصريين في سبع كليات، ويبلغ عائدها سبعة آلاف جنيه شهريا، وهذه الوقفيات بجامعة الأزهر يساهم فيها بنك فيصل الإسلامي.

٦- وقفية تشجيع أبحاث الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية، قيمتها ٤٠٠ ألف جنيه، ويبلغ عائدها السنوي ٧٥ ألف جنيه بالاشتراك مع بنك فيصل الإسلامي أيضا.

٧- وقفية لصالح الأنشطة الخيرية الخاصة بالجمعية الخيرية الإسلامية، قيمتها ٣٠٠ ألف جنيه، تدر عائدا سنويا قدره ٤٠ ألف جنيه.



لغة وأدب

أدب البشارة

لأن الإنسان خلق هلوعاً -بالأصالة - فقد كانت أولى تعبيراته التي تستقبله بها الحياة الصراخ والبكاء، وربما كانت مجمل انفعالاته وتعابيره طوال حياته هي صور مكبرة لذلك الهلع وتلك الصرخة، حتى إنك لتعجب من أناس يعتصرون من شهد الأفراح مرارة العلقم، فيحيلون صباحات الأمل إلى عتمات قاتمة.

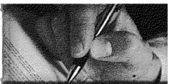
وما أكثر ما تجد هذا في عالم الأدب والأدباء، أياً كانت اتجاهاتهم أو مدارسهم، وعلى امتداد الزمان وانفساح المكان سيطر الأدب المتشائم على رقعة واسعة من النتاج الأدبي، ونال الأدب الإسلامي من ذلك نصيب ليس بالقليل.

وعلى الرغم من أن اسباباً موضوعية في -أحايين ووقائع كثيرة- تصنع مثل هذه الأعمال البئيسة فإنه مما لامراء فيه أن هناك في المقابل ما يستفز معجم الأمل والبشارة، إن واقعاً وإن ذخراً عقدياً وتاريخياً وإنسانياً.

فعلى بقاع شتى من هذه المعمورة تمتد خيوط بيضاء، مبشرة بميلاد فجر مؤمن، وعلى مستوى العقيدة لا وجود في دين المحجة البيضاء لبيئة تستزرع الأحزان والأنين والتشكي، ومثلهما ما يعظنا به التاريخ العام للإنسانية من أن الكآبة لا تدفع أذى ولا تجلب منفعة.

كل هذه المعطيات نتوجه بها إلى أدبائنا الإسلاميين الأفاضل ليلملموا منها حزم ضوء ينقدح في تضاعيف أعمالهم كالذي انقدح بين يدي رسول الله ﷺ في أحلك لحظة مبشراً بفتح قصور عواصم الحضارة العالمية حينها.

المحرر



التفجع على القدس في الشعر العربي المعاصر

محمد أسد

عرف أدبنا العربي الكثير من قصائد التفجع والبكائيات التي عبر الشعراء فيها عن حزنهم وآلام أمتهم وشعوبهم للمصاب العظيم الذي حل بالمدينة أو الأسرة أو العائلة، وتذكر كتب الأدب والتاريخ قصائد قيلت في البصرة لابن الرومي وفي بغداد نتيجة غزو المغول والتتر والقاهرة ودمشق والأندلس وفلسطين.

وهذه القصائد تشكل ملاحم يمتزج فيها الدمع بالدم، والغضب بالاستسلام، والتأمل والتدبر مع التقريع والتنديد، قصائد لا تخفي شيئا، تنطلق بعفوية، يحملها على جناحيه هول الحديث وشدة وقعه على النفس، قصائد مفرداتها البكاء والعويل والدموع السجام والثياب الممزقة والمآذن المهدمة والمنازل المندثرة والصوامع النائحة والأشجار الباكية المنكسرة نفوسها، وهذا النوع من الشعر ضمته كتب المختارات ودواوين الشعراء، والذي يعنينا في بحثنا مدينة القدس الشريف وما يحاق بها في العصر الحديث، القدس التي عرج منها الرسول محمد ﷺ الى السماء، وإليها أسرى به، وإلى مسجدها الأقصى توجه في الصلاة فكانت أولى القبلتين، القدس أم المدائن ومهد المسيح ومحجة الأديان والشعوب تعاني ما تشيب له الولدان، وتبكي عليه الجدران، القدس تتعرض لممارسات لا أخلاقية لا تقبلها العقـ... وترفضها الأديا... وهي ممارسا... تستهدف... طمس هويتها وإزالتها مـن سفـ... الحضار... البشرية...

لارضاع واشباع رغبات الصهيونية العالية التي تعادي الشرائع والحق والسلام، لأنها تبنى وترتكز على أسس عنصرية تعادي الآخرين وتسعى لتدميرهم.

والشعراء وهبهم الله ملكة التعبير ورقة الإحساس، فكانت قصائدهم خير شاهد للجرائم وخير ناقل وواصف لما يجري، فانطلقت القصائد قوية تصفع الآذان وتطرق جدار الوجدان الأصم.

وتسعى لإيقاظ القلوب الغافلة والعيون الحسيرة، فكانت منذرة بالخطر، وملامسة ... حرارة ...

... الفجائع، ومستخدمة شتى الأساليب التعبيرية مع اختلاف مستويات الفن فيها.

فالشاعر نزار قباني لا يخفي بكاءه وحزنه، ويبوح بآهات وأنات نفسه وهو يرى القدس تتلوع وتداس طهارتها في قصيدته «القدس»:

بكيت حتى انتهت الدموع
صلّيتُ حتى ذابت الشموع
ركعت حتى ملّني الركوع
سألت عن محمد فيك.. وعن يسوع
ياقدس يا مدينة تفوح أنبياء
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء

وللشاعر المصري صالح جودت وقفة معبرة عند القدس تختلج لأجلها الحروف وترتعد الضمائر، وعساها تصحو من ظلام خوفها وبؤسها، وقد بنى حزنه وتفجعه على إثارة الجانب الديني:

من ساحة الإسراء في المسجد
من حرم القدس الطهور الندي
أسمع في ركن الأسى حريماً
تهتف بالنجدة.. للسيد
وأشهد الأعداء قد أحرقوا
ركنا مشت فيه خطى أحمد
وأبصر الأحجار محزونة
تقول: واقدساه يا معتدي

فالشاعر يتوجع ويتألم لما جرى للقدس عندما أحرق الصهاينة المسجد ودنسوا الحرمات.

وللقدس شرف اتفاق الشعراء حول مصيرها، وقد تجاوزوا خلافات السياسيين والمنظرين، فكانت قبلتهم لأشعارهم كما كانت قبلة المسلمين الأولى.

والشاعر فاروق جويدة يشعر بقسوة الواقع الراهن، ويتساءل بقلق:

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء
من أي تاريخ سنبدأ
بعد أن ضاقت بنا الأيام
وانطفأ الرجاء
يا ليلة الإسراء عودي بالضياء

وللشاعر السوري عدنان برازي قصيدة أخذت عنوان «ياقدس كلنا سواء» فيها تفجع المكابر الصنديد، لا يستسلم رغم البكاء، ولا يلين رغم تساؤلاته:

سأبكي ولكن بغير دموع
فقلبي يتوق ليوم الرجوع
دموعي ستغرق هذي البقاع
فتملأ بالشوق كل الربوع
ننام على الدمع، والدمع جمر
وتشرب.. ملء الكؤوس الضلوع
ونصحو على الآه.. والآه نار
تلظي القلوب، تزيد الخنوع

والشاعر محمد أبو دية وقد وضع عنوانا لقصيدته التي وردت في مجلة الحرس الوطني بعنوان «مذبحة جديدة»، المطلع يبعث الإنسان عن غفلته وجموده، ويطرق أذنيه موخزاً ومقرعاً، وهذا أمر يليق بالشعر في هذا المقام الذي تعرض فيه المسجد الأقصى للحرق والتهديم وعلى مرأى من العالم والمسلمين:

كم قتيل عند ساحات الحرم
كم شهيد كفنّوه بالعلمْ
صارخ القدس ينادي أهله
وينادي كل حرّ في الأمم
كم وليد وسدوه في التراب
مزجت أحبابه دمعا بدم

دلالة (كم) الخبرية في هذه الأبيات يوحي بما انتاب الشاعر، وتشتد وطأة الفجيعة على الشاعر الفلسطيني سميح القاسم في قصيدته «مزامير» وقد وردت في ديوان «الوطن المحتل» جمع ودراسة الشاعر يوسف الخطيب:

مزمور بقايا الفلسطينيين من هنا
من مطهر الأحزان في ليل الجريمة
أيها العالم، تدعوك العصافير اليتيمة
من هنا، من غزة الموت ومن جنين، والقدس القديمة
أيـهـا الـعـالـم تـدعـوك
فردُ الغاز، والنابالم، والأيدي الأثيمة

إنها فاجعة إنسانية يتحمل مسؤوليتها العالم الرحب الذي أغمض عينيه، وسدَّ أذنيه عن سماع الأطفال الذين كانوا عصافير تحلق وتطير ولها فضاؤها، فها هو يصادرها ويحاصرها.

وهذا شاعر عربي من موريتانيا فاضل أمين وقد نشرت قصيدته «صبرا لكاع» في كتاب في جريدة الصادر عن صحيفة تشرين نيسان ٢٠٠٨ وفيها يؤجج لهيب النفوس ويشعل الضمائر الخامدة:

الـقـدس لـيـسـت خـيـمـة عـربـيـة
ضـاعـت فـرردد شـاعـر أنـفـاسـهـا
الـقـدس لـيـسـت قـصـة وهـمـيـة
تـذرو الـريـاح الـذاريـات كـلامـهـا
الـقـدس تـولـد مـن هـنـا شـمـسـهـا
ومـن الـروابـي يـحـتـسـين ضـرامـهـا
ومـن الـعـقـول وقـد تـبـلـج نـورهـا
ومـن الـحـضـارة ركـزت أعـلامـهـا
قـولا لـمـن بـاع الـتـدخـيـل ترابـهـا
وأهـان حـرمـتـهـا وعـق ذمـامـهـا
صـبـرا (لـكـاع) فـكـم عـمـيـل خـائـن
وضـعـت بـمـفـرقـه الـشـعـوب حـسـامـهـا

والشاعر يوسف العظم في قصيدته «القدس» مجلة الحج والعمرة (السعودية) العدد السابع ١٤٢٨هـ، يضيء جوانب المأساة، ويكشف أبعادها:

يا قدس، يا محراب، يا منبر
يا نور، يا إيمان، يا عنبر
من لوث الصخرة تلك التي
كانت بمسرى أحمد تفخر
وامطر القدس بأحقاده
فاحترق اليابس والأخضر
والبغي مهما طال عدوانه
فالله من عدوانه أكبر

تعداد النداء وذكر الأماكن ولها قدسيتها ودلالتها يوحي بالأسى والمرارة التي تفتك بصدر الشاعر فقد صور وحشية الأعداء وما أقدموا عليه دون تمييز ولكنه لم ينس مشيئة الله وقدرته على سحق البغي والعدوان.

ولنا أن نتوقف عند أبيات الشاعر «خالد العدساني» وقد وردت في كتاب العربي (قوافي الحب والشجن) العدد ٤٢ ت ٢٠٠١ وعنوانها «عيسى» فالشاعر يخاطب نبي الله عيسى، ومهده في القدس، ويخبره عن فظائع الصهاينة الذين لا يعرفون شيئا عن الرحمة والإنسانية، فرأى في هذه الأعمال ما يقلق ويؤلم:

والقدس مهدك ماذا دبروا وأتوا
فيه من الويل والتقتيل والنقم
قد سلطوا في بلاد الله شرذمة
يدنسون رحاب الحل والحرم
ما للسلام تباهوا يرجعون به
هل أدركوا الحق أم فاؤوا على ندم

وامتد أثر الحزن والفجيعة الى مختلف الشعراء ومن كل الديانات، فقد وردت قصيدة في كتاب «شعراء النصارى العرب والإسلام» من منشورات مؤسسة البابطين للشاعر نبيه سلامة «مولد النبي العربي» فالشاعر يعتقد جازما أن مصاب فلسطين مصاب الأمة:

ليست فلسطين الشهيدة وحدها
كل الجزيرة في المصاب شهيد
صبرا بلاد الأنبياء على الأذى
كيد البغاة لنحرهم مردود
يا من يرون القدس في أحلامهم
وطنا يهيمن فوقه التلمود
لا تستفيقوا، فالحقيقة مرة
بين الحقيقة والمنام حديد

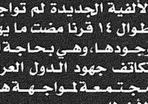
هذا غيض من فيض وقليل من الشعر الكثير الذي التحم مع الوجع الفلسطيني، اخترت بعض النماذج المتنوعة وآثرت تقديم مجموعة من النماذج لشعراء من مختلف الأقطار العربية، هذه القصائد يجمعها المصاب وهول الفجيعة، ويربطها الإحساس الصادق بمعاناة القدس، جميعهم أيقن بدورها الديني ومكانتها، فلم يكتموا إحساسهم وفرط لوعتهم، قدموا عصارة آلامهم، وكانوا مثالا في ارتباط الشعراء بقضايا أمتهم المصيرية.

عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الفلسفة الإسلامية د.عبدالحميد مدكور:

العولمة الثقافية تسعى لفرض لغة واحدة على العالم



مجاهد مليجي



أكد رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم وعضو مجمع اللغة العربية دعبدالحميد مدكور أن اللغة العربية تواجه تحديات في الألفية الجديدة لم تواجهها طوال ١٤ قرنا مضت ما يهدد وجودها، وهي بحاجة إلى تكاتف جهود الدول العربية مجتمعة لمواجهة هذه الأخطار.

وحذر في حوار لـ «الوعي الإسلامي» من ضعف جودة طرق تعليم اللغة العربية في مدارسنا وجامعاتنا لأنها لا تساعد على النهوض باللغة أو جذب الطلاب إليها بقدر ما تبعدهم عنها... وإليكم نص الحوار:

■ **بداية ما طبيعة إسهاماتكم في أنشطة مجمع اللغة العربية؟**

- العمل في مجمع اللغة العربية عمل مؤسسي لا يتم بصورة فردية، ولكن يتم عن طريق لجان مشتركة يتعاون افرادها على تحقيق الاهداف والاعمال المطلوبة من كل لجنة من هذه اللجان، وبناء على ذلك فإنني اعمل في المجمع في عدد من اللجان منها لجنة الفلسفة الاسلامية، ولجنة الشريعة الإسلامية، ولجنة الفيزياء، ولجنة المعجم الكبير، ولجنة إحياء التراث، ولجنة اللغة العربية في وسائل الإعلام، والعمل في كل هذه اللجان يستغرق وقتاً طويلاً وجهدا كبيرا، ويحتاج إلى مثابرة من أجل الوفاء بهذه الأعمال.

وكان آخر شيء فردي قمت به في المجمع هو مراجعة عمل علمي في نطاق التحقيق قُدمَ إلى المجمع لطباعته ونشره ضمن اعمال المجمع، وكان عملي في المراجعة هو أن اتأكد من تحقيق الشروط العلمية التى يتطلبها هذا التحقيق، من حيث توثيق النص الأصلي للكتاب، وشرح الغريب من الألفاظ الواردة فيه، والتعريف بالأعلام الذين وردت اسماؤهم فيه، والتعريف بمواضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومعرفة التأثر العلمي للكتب التى جاءت بعد هذا الكتاب.

اللغة العربية باتت لا تضمن وظيفة جيدة ولم تعد لغة العلم والبحث العلمي وتراجع استعمالها أمام العامية في الإعلام وفي مجالات الحياة كافة ... فيما الإنجليزية لغة الصناعة والسياسة والتكنولوجيا

■ **كيف ترون مستقبل اللغة العربيه في بلادنا العربية؟**

- اللغة العربية في العصر الحاضر تواجه صعوبات كبيرة لعلها لم تواجه مثيلا لها من قبل على امتداد تاريخها الطويل بوصفها واحدة من اقدم اللغات المستعملة بين لغات البشرية المعاصرة، هذه الصعوبات منها ما هو خارجي يرتبط بالعولمة الثقافية التي تسعى إلى فرض لغة واحدة على العالم تكون هي المستعملة في سائر مجالات الحياة، وهي اللغة الانجليزية، لغة الصناعة والسياسة والاقتصاد والأجهزة الحديثة من إنترنت وكمبيوتر، ولغة الإعلام الموجهة للعالم الإسلامي، ولغة المؤلفات العلمية الحديثة لسائر العلوم وتسعى لاكتساح الساحة المحلية والاقليمية مما سيؤدي في النهاية إلى انقراض بعض اللغات، إذا لم يقم اصحابها ببذل جهد اضافي للحفاظ عليها، ويثبت مكانتها، كما أن اللغة العربية في هذا المجال مهددة بعوامل كثيرة إذا لم نجعلها في الحسبان ستؤدي إلى ضياع اللغة العربية؛ وهناك عوامل داخلية من مدارس اجنبية منتشرة هنا وهناك، ومن طبقة تعلمت في هذه المدارس وأصبحت لا تتحدث اللغة العربية ما يمثل خطورة على مستقبلها.

■ **وما نوعية هذه التحديات التي تواجه اللغة العربية؟**

- لاشك أن العولمة تسعى لفرض لغة واحدة على العالم، وتحاول أن تذيب جميع اللغات المحلية؛ ولكن الأمر ليس مقصورا على هذا الخطر القادم من الخارج، ولكن هناك تحديات الداخل التي ترجع إلى عوامل كثيرة، منها انتشار المدارس الاجنبية التي تدرس مناهجها للتلاميذ بلغات مختلفة، وهي تركز على هذه اللغات الاجنبية وتبذل في تعليمها جهودا كبيرة، في حين تعامل اللغة العربية معاملة لغة غريبة عن الجو العلمي والثقافي الموجود في هذه المدارس، ما يجعل المتخرجين فيها بعيدين عن اللغة العربية.. بل ربما وصل بهم الأمر إلى حد احتقار اللغة العربية، والاستحياء من استعمالها، ما يؤدي إلى

تراجع حجم استعمال اللغة العربية بين هؤلاء، اضافة إلى انتشار اللغة العامية التي تستعمل بكثرة في وسائل الإعلام؛ حتى في البرامج الحوارية التي تسرف في استخدام العامية بدلا من ان تستخدم لغة عربية فصحى ميسرة، لا يكون فيها تقعر ولا صعوبة في مفرداتها، كما أن الجامعات بصفة عامة لا تتضمن اي دروس عن اللغة العربية، فيما عدا الأقسام المتخصصة في دراسة اللغة العربية، وعلى سبيل المثال نجد الطالب الذي يدرس في كلية الطب والهندسة والصيدلة والعلوم لا يتلقى أي قدر من الاتصال باللغة العربية التي هي لغة قوميته وشعبه وتراثه، وإنما يستعمل إما اللغة الانجليزية أو العامية، فيكون غريبا أيضا عن اللغة العربية، ومن المفارقات ان الذين يتجهون الى الدراسات العليا في الكليات المختلفة يتم الزامهم بتحقيق مستوى عال في اللغة الانجليزية، على حين انهم لا يكلفون بمثل هذا المستوى العالي ولا بغيره فيما يتعلق باللغة العربية، كما ان لغة التعليم والبحث العلمي في الكليات العلمية بصفة عامة يغلب عليها استعمال اللغة الانجليزية وليست العربية، مع انها لغة الشعوب العربية كما تنص على ذلك الدساتير في هذه البلاد!

فاذا لم تكن اللغة العربية لغة علم أو تعليم أو اعلام فان ذلك كله يؤدي إلى غربتها وضعفها على لسان المتحدثين بها؛ بل غربة المتحدثين بها، ويضاف إلى ذلك عامل في غاية الأهمية وهو أن اللغة العربية لا تضمن لمن يعرفها وحدها وظيفة ذات شأن في سوق العمل، بل يجب عليه تعلم لغات أخرى ليتمكن من التعامل مع الإنترنت وغيره من أدوات التكنولوجيا، وليس معنى ما ذلك اننا ضد تعلم اللغات الاجنبية، بل يجب علينا أن نحسن تعلمها، والتفوق فيها لاننا نعيش في قلب العالم ولا نستطيع أن نعزل انفسنا عنه، ولكننا لا نريد أن يكون التعلم باللغات الاجنبية.

■ هذا يدعونا الى طرح تساؤل عن مستقبل تعريب العلوم في الكليات العملية؟

ينبغي أن يكون تعريب العلوم مهمة قومية

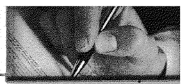
تعريب العلوم مهمة قومية تشمل البلاد العربية كلها .. فلغتنا قادرة على النهوض والنمو والوفاء

تشمل البلاد العربية كلها، فتوضع خطط طويلة المدى ولو استغرقت ٥٠ عاما، بحيث تكون النتيجة النهائية هي ان يتم تعريب العلوم، وكتابة ملخصات وافية للابحاث التي تجري في مصر والعالم العربي، لانه بدون أن يتم تعريب العلوم ستظل اللغة عاجزة وفقيرة عن مواكبة حركة العلم العالمية، ونحن نشير إلى أن اللغة العربية قد اتسعت في العصور الأولى للاسلام للترجمة من عدد غير قليل من اللغات كالفارسية واليونانية واللاتينية والاغريقية والعبرية والهندية السنسكريتية والسريانية، واتسعت اللغة العربية لها جميعا، ولم تعجز عن الوفاء بمتطلبات العلم في تلك الازمان التي مر عليها الآن أكثر من ألف ومائتي عام، فاللغة العربية ليست فقيرة في ذاتها، وإنما تفتقر بسبب أهلها الذين يقومون باقصائها عن المجالات الحيوية التي تؤدي الى تجددها وثرائها في التعليم، والاعلام والبحث العلمي، وسائر أنشطة الحياة المختلفة التي تمد اللغة بالطاقة والحيوية والنماء.

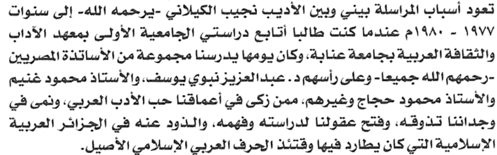
فضلا عما سبق فان اللغة العربية ليست اقل من اللغة العبرية التي كانت لغة ميتة فعلا، ولا تكاد تستخدم إلا على ألسنة عدد قليل من الحاخامات والمهتمين بالشؤون الدينية فقط، ولكن الذين فكروا في قيام إسرائيل وجمع اليهود من ربوع العالم تنبهوا الى ان من اهم الشروط التي تساعد على جمعهم من الشتات هو وحدة اللغة؛ ولذلك كانت من أول القرارات التي اتخذت في مؤتمر بازل في سويسرا عام ١٨٩٨: «العناية باللغة العبرية والادب الشعبي اليهودي» لأن هذا هو الذي يؤدي إلى وحدة هؤلاء الذين كانوا متناثرين في شتى انحاء العالم حسب لغات البلاد التي عاشوا فيها.. وعليه فاللغة العربية غزيرة المفردات متنوعة الدلالات قادرة على النهوض والنمو والوفاء بكل ما تقوم به اللغات، ولكن بشرط أن نعطيها حقها من العناية والاهتمام والتوقير تدريسا، وتعليما، وبحثا، واستعمالا، وبهذا يتحقق الأمل المرجو في مقاومة كل هذه التحديات وتنهض اللغة العربية لتحتل مكانها العالي والرفيع بين اللغات بوصفها من أعرق اللغات الحية المستعملة في العالم في هذه الأيام.

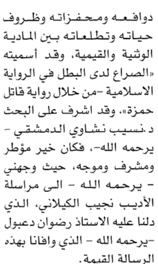
■ ما تقييمكم لطريقة تعليم اللغة العربية في مدارسنا في المراحل المختلفة؟

الشكوى من هذا الأمر معلومة ومعروفة، ولها ما يبررها وأنا لا استطيع ان ألقي العبء دائما على الآخرين، ولكن يجب أن يكون الذين يضعون مناهج اللغة العربية على وعي بان يحببوا الطلاب في اللغة العربية عن طريق حُسن اختيار النصوص، وأن تكون نصوصا ملائمة في موضوعاتها وفي مفرداتها وفي المعاني التي تدل عليها للمستوى الدراسي الذي تقدم اللغة إليه، وأن نتعلم من أصحاب اللغات الأخرى كيف يتفننون في حسن تقديم لغتهم إلى انفسهم وإلى الآخرين، وينبغي كذلك الأختيار الدقيق للمناهج.. فمثلا إذا كان الذين يضعون المناهج يتحدثون عن العصر الجاهلي فان امامهم بعض النماذج الشعرية والنثرية الجاهلية، فعليهم أن يدققوا في اختيار أيسرها وأسهلها، ولا يستخدمون نصوصا تتحدث عن بيئة لم يعشها الطلاب، وهناك من الشعر الجاهلي ما إذا قرأه الطالب اليوم شعر بانه يقرأ شعراً معاصراً.. وهذا ما ينبغي علينا مراعاته حتى نحبب الطلاب في لغتهم، وهناك أمر مهم جدا بعد حسن اختيار المناهج وتيسير تقديمها، وهي أن يحرص مدرسو اللغة العربية على أن يتسخدموا اللغة العربية الفصحى في الشرح ولا يشرحوا بالعامية حتى لا يكون ذلك فشلا ذريعاً يحكم على كل جهد بعد ذلك بالاخفاق.. وهو للأسف شائع الآن..



فن الرسالة عند الأديب نجيب الكيلاني


تعود أسباب المراسلة بيني وبين الأديب نجيب الكيلاني -يرحمه الله- إلى سنوات ١٩٧٧ - ١٩٨٠م عندما كنت طالبا أتابع دراستي الجامعية الأولى بمعهد الآداب والثقافة العربية بجامعة عنابة، وكان يومها يدرسنا مجموعة من الأساتذة المصريين -رحمهم الله جميعا- وعلى رأسهم د. عبدالعزيز نبوي يوسف، والأستاذ محمود غنيم والأستاذ محمود حجاج وغيرهم، ممن زكى في أعماقنا حب الأدب العربي، ونمى في وجداننا تذوقه، وفتح عقولنا لدراسته وفهمه، والذود عنه في الجزائر العربية الإسلامية التي كان يطارد فيها وقتئذ الحرف العربي الإسلامي الأصيل.


د.أحمد عيساوي

وكان هؤلاء الأساتذة قد لمسوا فينا الحماس الديني الفياض، من خلال نشاطاتنا المسجدية والدينية في رحاب الجامعة الجزائرية البائسة، المليئة بفلول الشيوعيين والاشتراكيين والملحدين والعلمانيين والفرنكوفونيين والانتفاعيين.. سعى أولئك الأساتذة الفضلاء لتوجيهنا بلطف وبتلميح عابر الى ضرورة البحث عن الجانب الأدبي والفني لدى الأديب سيد قطب، حيث كانت تستهوينا كتاباته الدعوية والفكرية والحركية والتنظيرية، وللأسف الشديد فإننا لم نكن نحفل باكتشاف الجانب الأدبي والفني لديه، بمقدار احتفالنا بالجانب الحركي والتوعوي، ومن هنا تفتقت اعيننا على مفاهيم الأدب الإسلامي الأصيل، وصادف ان عرّفنا د. عبدالعزيز نبوي يوسف الأستاذ بجامعة عين شمس، على بعض قصائد سيد قطب عندما كان يتخذها مادة شهية لتدريس البلاغة والعروض والشعر الحديث والمعاصر وشعر التفعيلة وغيره، ثم انتقل ليعرفنا بقصائد الشاعر الإسلامي هاشم الرفاعي، ولما لمس منا الاستعداد الأكيد، وحب الاستزادة والاطلاع على الأدب الإسلامي عرج بنا -رحمه الله- على الأديب المرحوم نجيب الكيلاني، فقرأنا له «الإسلامية والمذاهب الأدبية»، ومنها قررت أن يكون بحث تخرجي الصفي لنيل اجازة الليسانس في اللغة والأدب العربي حول جزئية من جزئيات الأدب الإسلامي، على الرغم من احتفاء الكثير من أساتذة القسم بأن نذير ظهورنا لمثل هذه الدراسات الإسلامية التي -حسب زعمهم- مازالت في بداياتها الأولى، وأنها غير مستقرة بعد في عالم الأدب والنقد والدراسات الأدبية، وأنها ستجلب لنا الكثير من المشاكل.

وكان قصدهم الخفي في ذلك صرفنا -حسب زعمهم- عن الغرقة في الأصولية الأدبية، فوق أصوليتنا الدينية، حيث نجحوا في توجيه الكثير من زملائنا في دفعة التخرج - ممن اختيروا بعدها حسب مقاس الايديولوجيا الشيوعية والاشتراكية والعلمانية كمعيدين ولتحضير شهادتي الماجستير والدكتوراة في القسم- لإنجاز مذكرات تخرجهم الصفية في المواضيع التالية:

١- الحانة في روايات الأديب الجزائري الطاهر وطار.

٢- المرأة في رواية «ريح الجنوب» للأديب الجزائري عبدالحميد بن هدوقة.

٣- لون الخمرة في شعر أبي نواس.

٤- الرجل الثوري في رواية «اللاز» للطاهر وطار.

٥- صورة المرأة في رواية «عرس بغل» للطاهر وطار.

ومثيلاتها من المواضيع المتهافتة التي تساقطت بتساقط خرافة انهيار جدار برلين وفلسفة الايديولوجيا الشيوعية، وتداعي الالحاد الوثني والرأسمالي.

وكنت قرأت يومها رواية «دم لفطير صهيون»، و«عذراء جاكرتا»، و«نور الله»، وتأثرت بها أيما تأثر، وبخاصة رواية دم لفطير صهيون، وقررت يومها أن يكون بحثي الصفي للتخرج عن جزئية فيها، ولكن حالت دون ذلك أمور ثم وجدت رواية «قاتل حمزة» فاقتنيتها من السوق، وقرأتها فأعجبت بها، وقررت ان يكون بحثي الصفي دراسة لشخصية البطل في الرواية الاسلامية، من خلال تطور شخصية بطل رواية «قاتل حمزة» وحشي، ودراسة دوافعه ومحفزاته وظروف حياته وتطلعاته بين المادية الوثنية والقيمية، وقد أسميته «الصراع لدى البطل في الرواية الاسلامية -من خلال رواية قاتل حمزة»، وقد اشرف على البحث د.نسيب نشاوي الدمشقي -يرحمه الله-، فكان خير مؤطر ومشرف وموجه، حيث وجهني - يرحمه الله - الى مراسلة الأديب نجيب الكيلاني، الذي دلنا عليه الاستاذ رضوان دعبول -يرحمه الله - الذي وافانا بهذه الرسالة القيمة.

الرسالة شكلها وهيكلها

رسالة الأديب المرحوم نجيب الكيلاني التي ارسلها إليّ تتكون من ثلاث صفحات كبيرة، من نوع صفحات الرسالة العادية، حيث حوت الصفحة الأولى والثانية ثلاثا وثلاثين سطرا، والصفحة الثالثة حوت ثمانية عشر سطرا، بمعدل اثنتي عشرة كلمة في السطر الواحد، وهي مكتوبة بخط مشرقي صغير، وهي مذيلة بتوقيع الكاتب -يرحمه الله -، وبعنوانه الشخصي في دولة الامارات العربية المتحدة بدبي، وبتاريخ كتابتها، وقبل تحليل جزئياتها نحب ان نقدم لمحة عن فن المراسلة في الأدب

العربي.

فن المراسلة في الأدب العربي

عرف عرب الجاهلية فن الرسالة كنوع أدبي قبيل مجيء الإسلام، واستخدموه في بعض شؤونهم الحياتية على نطاق ضيق، وقد غلب عليه الأسلوب الشفهي والشعري معا اكثر من غلبة الأسلوب النثري المدون، نظرا لشيوع الأمية فيهم، وقلة القادرين على الكتابة والتدوين، ولندرة وسائل التدوين أيضاً (١).

وقد ازدهر فن الرسالة كنوع أدبي في العصر الإسلامي عندما نزل القرآن الكريم من أول يوم ممجدا الكتابة والتدوين والقراءة في الكليات العقدية، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١)، وحاثا على الكتابة والتدوين في الكثير من فروع المعاملات الشرعية، من ذلك مثلا قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل...﴾(٢).

أهمية الرسالة

يمكن إجمال أهمية هذه الرسالة في العوامل التالية:

١- كونها مرسلة من طرف الأديب المرحوم نجيب الكيلاني، أحد رواد الأدب الإسلامي في العصر الحديث (٣).

٢- كونها مدونة بخط يده، وغير مرقونة على أي جهاز كتابة (آلة كاتبة، جهاز إعلام آلي).

٣- مضى عليها أكثر من عقدين من الزمان.

٤- قيمة المعلومات التي حوتها.

٥- كونها إحدى الوثائق التاريخية عن الأديب نجيب الكيلاني يرحمه الله.

٦- الخشية من ضياعها أو اندثارها أو كتمانها في مكتبة نائية لأحد الباحثين الإسلاميين بمدينة تبسة بالجزائر، وعدم استفادة المسلمين منها، والفوائد المرجوة من تعريف المثقفين المسلمين بها(٤).

٧- قيمة دوافع وغايات كاتبها -يرحمه الله - الذي كانت تحركه الفكرة الإسلامية فقط دون النظر لمنابت وأصل الأفراد المنتمين إليها، واهتمامه بالجناح الغربي لوطنه الإسلامي المتعطش -يوما- للأدب الإسلامي.

٨- الخشية من أن أحشر مع كاتمي العلم يوم القيامة عملا بقوله تعالى، الذي يعيب على أحبار وعلماء يهود كتمانهم للعلم، ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ (البقرة: ١٥٨) (٥).

محتويات الرسالة

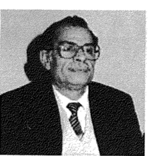
كتب الأستاذ نجيب الكيلاني - يرحمه الله - رسالته الي بأدب إسلامي جم، وبأسلوبه الرقيق السلس العذب الجذاب، وقد فاضت سطورها لتكشف عن انسان متواضع خلوق رفيق مؤمن، متضمنة المسائل التالية:

١- الديباجة الأدبية للرسالة الإسلامية وتضمنت: «البسملة، النداء والمخاطبة بألقاب الاحترام، التحية الإسلامية: (السلام)، عبارة فصل الخطاب: وبعد».

٢- توضيحات حول رسالة الأخ الناشر (رضوان دعبول) إليه، مع الشكر والثناء، وحسن الظن به وبأدبه.

٣- وعد منه بتزويدي بما يستطيعه من معلومات أو نتاجات مستقبلا.

٤- البدء بتناول ووصف رواية «قاتل حمزة» المكتوبة سنة



١٩٦٩م، والتي نالت جائزة مجمع اللغة العربية المصري سنة ١٩٧٢م.

٥- التعرض لخلفيتها التنظيرية، حيث كتبها مستندا الى مفهوم الأدب الإسلامي، الذي اصدر فيه سلسلة تنظيرية، تدعم توجهاته الابداعية.

٦ - لمحة موجزة عن حياته.

٧- تخرجه طبيبا من كلية طب القصر العيني سنة ١٩٦٠م.

٨- سفره الى دولة الامارات العربية المتحدة سنة ١٩٦٨م وعمله بها كطبيب، ثم كمدير للثقافة الصحية الى تاريخ كتابة الرسالة سنة ١٩٨٤م، ووظائفه المهنية فيها كطبيب، ثم كمدير للثقافة الصحية في وزارة الصحة.

٩- كتابته لأول عمل نثري في السجن سنة ١٩٥٦م، الذي دشنه برواية «الطريق الطويل» التي نالت جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٧م، ثم قررت لتدرس على طلاب المرحلة الثانوية في الصف الثاني الثانوي عام ١٩٥٩م.

١٠- كتابته لرواية «اليوم الموعود» سنة ١٩٦٠م، التي نالت جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر في العام نفسه، ثم رواية «في الظلام» التي نالت الجائزة في العام التالي ١٩٦١م.

١١- تعداد مؤلفاته الأخرى، وهي: المجتمع المرضي، الإسلام والقوى المضادة، الطريق الى اتحاد إسلامي، لمحات من حياتي سيرة ذاتية، شوقي في ركب الخالدين، في رحاب الطب النبوي (١٠).

عبرة..

وبرحيل الأديب نجيب الكيلاني عن عالمنا الأرضي.. تبقى روحه وآثاره خالدة بخلود القيم الفاضلة، وبخلود الإسلام مادامت السماوات والأرض، وصدق رسولنا الكريم محمد ﷺ حين قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله، إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له» (رواه مسلم).

الهوامش

١- انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ١، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، دون تاريخ، ص ٨٥١ .. و٨٩٣.

٢- ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعارف، بيروت، دون طبعة، ١٠٢هـ ١٨٢م، ج٣، ص٤٩٤.. ومحمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ٧٦.

٣- يشكل الأديب نجيب الكيلاني حلقة في سلسلة الأدباء والكتاب الاسلاميين في القرن العشرين، امثال المرحوم: سيد قطب، ومحمد علي قطب، ومحمد عبدالحليم عبدالله، وأحمد علي باكثير، وهاشم الرفاعي.

٤- الرسالة محفوظة عندي من يوم ان وصلتني يوم ٢٠ حزيران ١٩٨٤م، وأخشى أن تضيع لأن المؤمّن لا يملك من نفسه شيئا.

٥- وبالر غم من حرصي على ظهورها وعدم كتمانها، وسعيي الحثيث لدى الكثير من اصحاب المطابع والمكتبات ودور النشر، فإن البحث مازال مخطوطا منذ سنة ١٩٨٤م، وهو في بضع وستين صفحة مكتوب بالآلة الكاتبة.

الرحلة الكويتية والنحلة المكية

الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن الكوهجي ●

برب الورى خلاقنا الواحد العلي
أقول مقالاً منبئاً عن ترحلي
تنقلت من أرض الكويت لأربع
وعشرين من ذي قعدة متفضل
بثامن عام بعد ستين أتبعت
ثلاث مئين بعد ألف مكمل
فمذ سار ركبي بالكرام تنسمت
على الروح روحي ريح طيب مفضل
جرت عبرات القلب مني صبابة
إلى الحرم المكي مثوى الفضائل
أتانا نسيم الوصل مذ سار ركبنا
بحجاج بيت الله جمع الأفاضل
نسير ويطوي البيد مركبنا الهني
أشد مروراً من جنوب وشمأل
أتينا من البلدان جرية مركز
به خفقان للخؤون المغفل
فلا بارك الرحمن في خائن الورى
اذا كان صوالا على الناس معتلي
أتينا بحمد الله مع كل راحة
على ارتواز قد تسمى بمعقل
مكثنا وقيلنا لأنس وراحة
فقمنا مساء للسرى والترحل
قطعنا الفيافي ساعة بعد ساعة
إلى أن أنخنا بالرماح المسهل
بأرحابها سود الخيام تراكمت
على بئرها عيس كظبية أشهل
رأيت أناساً كالخطاطيف لونهم
ركوباً على عيس ببيداء جول
ترحلت منها ضحوة في سكينة
إلى أن نزلنا وسط سمر مسلسل
أكلت غداء ثم صليت جامعاً
مع الصحب والاخوان في خير محفل
فقمنا بكل الشوق نحو رياضهم
لنا زجل بالذكر حين التنقل
رأينا رياضاً روضها قد تنضرت
فكيف وفيها خير ملك مبجل

له عزمات في الورى قد تفوقت
شجاع لدى الهيجاء يسطو ويعتلي
وأشباله الغر الميامين كلهم
على سيره في كل أمر منزل
له نسب من آل شمر قد بنوا
من المجد صرحاً فوق أس مكلل
فتلك قصور بالمربع نورها
يلوح كنجم في السموات يجتلي
فاكرم بها من بلدة نسبت إلى
امام سما في مجده المتكمل
ومنها ارتحلنا راكبين عشية
على أحوذيي طائر متقلقل
فعرس كل في رويض مراتهم
بيوت حوت سوقا كنخل مظلل
كميت بها وهو الدليل لضائع
اذا حاد عن نهج الطريق المعدل
فأصبحت في خير وقيلت ساعة
فقمت وصليت الفريضة في عل
تعوذت من شيطان رمل نفودهم
برب الورى في كل خفض ومعتل
فلما اتيناه وجدنا رماله
كرملة احقاف وذا شر موئل
لذا لم يبارك حيث بارك أرضهم
محمد أكرم بالرسول المظلل
ولكن قطعناها بغاية سرعة
بجواب أرض قط لم يتملل
فدمنا على التسيار نحو دوادم
بها الحصن للملك الهمام الحلاحل
فبتنا وأصبحنا بخير ونعمة
وسرنا بحمد الله في خير محفل
إلى قرية تسمى بقاعية لهم
بويتات مثوى كل آت ومقبل
بأبيارها ماء ولكن تخاله
امر على الشراب من ماء حنظل
عفيف له دون المنازل ميزة
غدا فاصلا عن نجدهم أي فاصل

● عالم من علماء بلدة كوهج الواقعة في بر فارس وكان يتردد على الكويت للدعوة والارشاد

مررنا بارحاب الدفينة لم نقف
بها وقفة نأوي إلى ظل منزل

فتلك بويتات صغار كأنها
بيوت يرابيع بنتها لوابل

مويه وذا مر مذاقة مائه
محاط باطلال لديه وأجبل

تراه كسور حول قصر مربع
محكم أس سالما عن تزلزل

فقمنا مساء قاصدين عشيرة
بجمع خلوا عن خدعة وتملل

نزلنا بها ثم ارتحلنا بسرعة
إلى سيلهم أكرم بسيل ومغسل

غسلنا بماء الدمع قلبا مدنسا
بلوث ذنوب في مضي المراحل

فلما غسلنا واغتسلنا لحجنا
نوينا ولبينا ارتجاء التفضل

فلما بدت انوار مكة غطني
سرور على نيل المراد المؤمل

فقلت وحمد الله ديدن مذودي
سلام على أهل البلاد المفضل

فطفت ببيت الله طوفة شاكر
وصليت في خير المقام المكلل

فقبلت حجراً أسعداً بعد مسه
وجئت الى صوب السقاية في عل

تضلعت منها ثم سرت إلى الصفا
صعدت على معراجه المتكمل

فكملته سبعا وحلقت سرعة
وألقيت إحرامي بعيد التحلل

وفي ثامن أحرمت بالحج قاصدا
إلى عرفات خير أرض وموئل

فصليت ظهراً ثم عصراً ومغربا
بها آيبا منها إلى خير منزل

وفي ليلة الجمع ازدلفنا ازدلافة
فبتنا وأصبحنا وجئنا كأعجل

إلى جمرة في منتهى ساحة المنى
بسبع رميناها كحب البواقل

فطفنا طواف الركن والسعي أجمعا
حلقنا وقد حزنا جميع التحلل

ليالي منى قضيتها ورميت في
نهار جماراً رتبت حين تنجلي

بقرا ذبحنا حيث تذبح نعجة
نوينا امتثال الأمر للخالق العلي

فنلنا بحمد الله خيرا ونعمة
بإتمام حج إثر ذنب مثقل

فقمت أسلي النفس أني فرغت من
شعائر كنا نرتجيها لاول

فقالت بقي ان الرحال تشد
للمدينة مثوى خير رسل مفضل

فوجهت عزمي والفؤاد متيم
إلى سيد الرسل الكرام المبجل

إلى سيد كان البراق ركوبه
من الحجر للاقصى مشرف منزل

فصلى بجمع الانبياء لأنه
هو السيد المقدام في كل محفل

ومنه عروج للسموات انه
له الشرف الاوفى على كل مرسل

نبي دنا من ربه حيث يسمع
مكالمة الأملاك فيما سينجلي

فلما بدت أنوار طيبة تهت في
مطالعة الأنوار غطت مخيلي

دخلت وصليت وزرت محمداً
ببعثته الكفر ابتدا في تزلزل

كأني لدى ما كنت تلقاء وجهه
اشاهد نوراً من سماء التجمل

فقمت الى رضوان روضة تائها
شبيه غريق في بحار التذلل

ارى القبة الخضراء يزداد نورها
على نور نجم في العلا متكمل

فطورا أرى الشباك بالنور ساطعاً
وطوراً ارى نور النبي المظلل

عليه صلاة الله ثم سلامه
ومن بعده للصاحبين تقلقلي

وزرت بقيعا والقباء ومسجداً
له قبلتان منذ يوم التحول

وزرت الأحد يوم الأحد شهدائهم
لدى الله احياء على خير منزل

الهي بفضل منك ثم بقرب من
شهدت له بالفضل والخلق العلي

تجاوز عن الذنب الذي اقترفته
فانك غفار اليك تبتلي

انا الكوهجي عبد الاله مقصر
ببابك يا رحمن حق تذللي

ولي فاغفرن والوالدين وكل من
له نسبة مني بفضلك يا علي

بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية

أحمد زايدة

في وقت يتواصل فيه السعي، ويبذل الباحثون فيه قُصارى جهدهم، وغاية طاقتهم لتفعيل هذا العلم (علم مقاصد الشريعة)، الذي يُعد من أرقى علومها، والذي أسسه علماؤنا الأفاضل قديما، أمثال العلامة الإمام الشاطبي فى كتابه الرائع الموافقات، والإمام ابن القيم فى كتابه إعلام الموقعين، والإمام الطاهر بن عاشور، وكذلك الإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم، يأتي هذا الكتاب للدكتور يوسف القرضاوي في إطار مشاركته في الندوة التأسيسية لمركز مقاصد الشريعة بلندن، في صيف عام 2004م في مدينة لندن، والذي يترأسه الشيخ أحمد زكي يماني، ويُديره الدكتور جاسر عودة.

والكتاب يبدأ فى أوله بمقدمة تتضمن فصلين، أولهما: يتحدث فيه عن اهتمامه بمقاصد الشريعة في بحوثه وقراءاته وكتاباته، وكيف بدأ وإلى أي نتائج انتهى ووصل، وثانيهما: عن مدلول جملة «فقه مقاصد الشريعة».

ثم ينتقل بعد ذلك إلى المبحث الثاني تحت عنوان «دراسة في فقه مقاصد الشريعة بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية»، حيث يذكر أنه بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية توجد ثلاث مدارس.

أولها: المدرسة التي تعنى بالنصوص الجزئية أو تتشبث بها وتفهمها فهماً حرفياً بمعزل عما قصد الشرع من ورائها، وقد سماها فضيلته مدرسة «الظاهرية الجُدد»، وثانيها: المدرسة المقابلة لهؤلاء، وهي التي تزعم أنها تُعنى بمقاصد الشريعة، وروح الدين، مُعطلة النصوص الجزئية للقرآن العزيز، والسنة الصحيحة، مُدعية أن الدين جوهر لا شكل، وحقيقة لا صورة، وقد سماهم فضيلته بمدرسة «المُعطلة الجُدد»، وثالث هذه المدارس: المدرسة الوسطية التي لا تغفل النصوص الجزئية من كتاب الله تعالى، ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ، ولكنها لا تفقه هذه النصوص الجزئية بمعزل عن المقاصد الكلية، بل تفهمها في إطارها وفي ضوئها، فهي ترد الفروع إلى أصولها، والجزئيات إلى كُلياتها، والمتغيرات إلى ثوابتها، والمتشابهات إلى محكماتها، معتصمة بالنصوص القطعية في ثبوتها ودلالتها، فالاستمساك بها استمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومتشبثة كذلك بما أجمعت عليه الأمة إجماعاً يقينياً حقيقياً، بحيث غدا يمثل سبيل المؤمنين الذي لا يجوز الانحراف أو الصد عنه، وسماها فضيلته «المدرسة الوسطية» (الربط بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية).

المدرسة الوسطية .. سبيل المؤمنون في التصدي للانحراف والتشبث بإجماع الأمة

المدرسة الظاهرية

ثم بدأ شرحاً عاماً مُجملاً موضحاً فيه المدرسة الأولى، مدرسة الظاهرية الجُدد، ثم بدأ يوضح سمات هذه المدرسة الظاهرية وخصائصها، في ست نقاط

١- حرفية الفهم والتفسير.

٢- الجنوح إلى التشدد والتعسير.

٣- الاعتداد برأيهم إلى حد الغرور.

٤- الإنكار بشدة على المُخالفين.

٥- التجريح لمخالفيهم في الرأي إلى حد التكفير.

٦- عدم المبالاة بإثارة الفتن الدينية والمذهبية وغيرها.

وذكر بعد ذلك مُرتكزات هذه المدرسة، وهي أربعة مرتكزات

الأول: الأخذ بظواهر النصوص، دون التأمل في معانيها وعللها ومقاصدها.

الثاني: أنهم ينكرون «تعليل الأحكام» بعقول الناس واجتهادهم.

الثالث: أنهم يتهمون الرأي، بل يدينونه ولا يرون استخدامه في فهم النصوص وتعليلها.

المرتكز الرابع: أن المدرسة الحرفية تنهج- بصفة عامة- نهج التشدد في الأحكام.

وشرح كُل مرتكز شرحاً مُفصلاً، مع التمثيل لكل مُرتكز، وتوضيحه بمثال عملي.

ثم ختم فضيلته الحديث عن هذه المدرسة بذكر بعض النتائج والمواقف لفقه هذه المدرسة، والآراء التي توصلت إليها منهجيتهم في الفهم والبحث، وذكر منها أربعة مواقف: إسقاط الثمنية عن النقود الورقية، وإسقاط الزكاة عن أموال التجارة، الإصرار على إخراج زكاة الفطر من الأطعمة، تحريم التصوير الفوتوغرافي والتلفزيوني.

المعطلة الجدد

أما المدرسة الثانية، فهي مدرسة «المعطلة الجُدد» (تعطيل النصوص باسم المصالح والمقاصد)، وقد ذكر فضيلته نبذة مجملة عنها، ثم أخذ يذكر سماتها وخصائصها، وهي ثلاث خصائص: الجهل بالشريعة، الجرأة على القول بغير علم، والتبعية للغرب.

وعدد مرتكزات هذه المدرسة، وهي مُرتكزات أربع: إعلاء منطق العقل على منطق الوحي، ادعاء أن عمر رضي الله عنه عطل النصوص باسم المصالح، مقولة نجم الدين الطوفي، مقولة «حيث توجد المصلحة فثم شرع الله».

وقد فند هذه المرتكزات بل

الشبهات والمُغالطات، ودحضها بالأدلة والبراهين، وشرح حقيقتها شرحاً بيناً، ثم ختم فضيلته الحديث عن هذه المدرسة بذكر نتائج ومواقف فقه أصحابها المنتمين إليها، وهي ثلاث نتائج: الهرب من النصوص القطعية والتشبث بالمتشابهات، معارضة أركان الإسلام والحدود باسم المصالح، شبهة لأحد أساتذة القانون.

المدرسة الوسطية

وبدأ في شرحها شرحاً مُجملاً ذكر في أوله تعريفها قائلاً «وثالثة المدارس، وهي التي تسير على النهج الوسط للأمة الوسط، فهي وسط بين المدرستين السابقتين، فلا تغلو مع الغالين، ولا تُفرط مع المفرطين، إنها مدرسة «الصراط المستقيم» التي ترفض التطرف والتسيب كليهما، وتؤمن بالتوازن والاعتدال، وتعمل بموجب قول الله تعالى ﴿ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ (الرحمن: ٨-٩).

فهذه هي الوسطية القُرآنية، لا طغيان في الميزان، ولا إخسار فيه. ثم ذكر ست سمات لهذه المدرسة:

الإيمان بحكمة الشريعة وتضمنها لمصالح الخلق، ربط نصوص الشريعة وأحكامها بعضها ببعض، النظرة المعتدلة لكل أمور الدين والدنيا، وصل النصوص بواقع الحياة وواقع العصر، تبني خط التيسير والأخذ بالأيسر على الناس، الانفتاح على العالم والحوار والتسامح معه.

ثم ذكر فضيلته مرتكزات خمسة لهذه المدرسة: البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم، وفهم النص في ضوء أسبابه وملابساته، التمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة، الملاءمة بين الثوابت والمتغيرات، التمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات.

١- البحث عن مقصد النص قبل إصدار الحكم: فإن هذه المدرسة تجتهد في البحث عن مقصد النص الشرعي وهدفه، قبل أن تسارع بإصدار الحكم من مجرد لفظه، وذلك لا يكون إلا بطول البحث والتدبر للنصوص الواردة، والسعي لمعرفة مقصد الشارع فيما أمر به أو فيما نهى عنه، حتى يكون الحكم على المسألة حكماً صحيحاً.

٢- فهم النص في ضوء أسبابه وملابساته: فهي تقرأ النص في ضوء سياقه وأسباب نزوله إن كان قُرآناً، أو أسباب وروده إن كان حديثاً، ومعرفة الظروف والملابسات التي سيق فيها الحديث، حتى لا يُخطىء الدارس فهم المقصود منه، فيأخذ من النص حُكماً لا يقصد إليه وليس مرادا منه.

٣- التمييز بين المقاصد الثابتة والوسائل المتغيرة (تقرير المقصد الشرعي دون تعيين وسيلة)، فإن المتأمل في أحكام الشريعة وأوامرها ونواهيها يتبين له أن منها ما يقرر المبدأ المطلوب، وهو المقصود للشارع، ولا يعين له وسيلة لتحقيقه، لأن وسائله قابلة للتغير والاختلاف، باختلاف الأزمنة والأمكنة والأعراف، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لذلك فإن الشارع قد ترك للمكلفين الحرية في اختيار الوسائل الملائمة، ولم يقيدهم بوسيلة معينة لعصر البعثة، فيتشبث بها بعضهم ويجمد نفسه عندها، ويظنها بعضهم أمراً تعبدياً يلزم كل مسلم التقيد به، ولا يجوز له مجرد التفكير فى الفكاك منه، فكان الأولى أن يترك الوسيلة للعقل المسلم ليختارها وفق ظروفه وأحواله.

وأبرز مرتكزات هذه المدرسة:

١- الملاءمة بين الثوابت والمتغيرات، فهي تُلائم بين ثوابت الشرع ومتغيرات الزمان والمكان والحال.

فأما الثوابت، فلا يمكن المساس بها بحال، وهي الدائرة المغلقة، التي لا يدخلها الاجتهاد ولا التجديد ولا التطور، بل هي المحور أو قطب الرحى الذي يدور حوله المجتهدون والمجددون والمطورون، فكل ما حوله يتحرك وهو ثابت.

وهُناك المتغيرات (الأحكام الفرعية والجزئية)، وما ثبت من نصوص ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة، أو ظنيتهما معاً، وهذه الدائرة رحبة تدخل فيها معظم أحكام الشريعة، وهي قابلة للاجتهاد والتجديد والتطوير.

٢- التمييز في الالتفات إلى المعاني بين العبادات والمعاملات، فمن مرتكزات المدرسة الوسطية أنها تتبنى هذه القاعدة المهمة التي نبه عليها الإمام الشاطبي- يرحمه الله- وهي التفريق بين العبادات والمعاملات، من ناحية الالتفات إلى المعاني والعلل والمقاصد من وراء التكليف لكل منهما، وتدليله على ذلك، فقد ذكر في كتابه الأصولي الفريد «الموافقات» هذه القاعدة، في المسألة الثالثة عشرة من مقاصد وضع الشريعة للامتثال، وهي أن الأصل في العبادات بالنسبة إلى المكلف التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وأصل العادات (المعاملات) الالتفات إلى المعاني، فالأصل في العبادات التعبد والتزام النص (مع ما في العبادات من حكم وأسرار أيضاً)، وأن الأصل في العادات والمعاملات الالتفات إلى المعاني والمقاصد.

اجتهادات علماء الوسطية

وختم فضيلة الشيخ كتابه القيم بذكر فتاوى من اجتهادات المدرسة الوسطية توثيقاً لهذا المنهج، وإبرازا للنتائج المنبثقة عنها، والتي تُجسد منهجيتها الوسطية في الحُكم على الأمور والافتاء فيها، وهي عشر فتاوى، أولها: فتوى لفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا- يرحمه الله- عن «الدستور والدين الإسلامي» وذلك في إجابة من فضيلته عن سؤال وجه إليه، ما هو الدستور؟ وما حقيقته؟ وهل هو موافق للدين الإسلامي تمام الموافقة؟ وما الدليل عليه من الكتاب والسنة؟.

أما الفتوى الثانية، فهي للشيخ السعدي، وهي إجابة عن سؤال وجه إليه، هل يجوز شق بطن الميتة لإخراج الحمل الحي؟، أما الفتوى الثالثة، وهي أيضاً للشيخ السعدي إجابة عن سؤال، هل يجوز أخذ جزء من جسد الإنسان وتركيبه في إنسان آخر مضطر إليه، برضا من أخذ منه؟.

الفتوى الرابعة لفضيلة الإمام محمود شلتوت- يرحمه الله- وهي عن الغناء والموسيقى، والخامسة أيضاً لفضيلته عن قضية الوصول إلى القمر، الفتوى السادسة، وهي من فتاوى الشيخ الزرقا حول تحديد أجور العقارات قانونا، وجواز الاستفادة منه شرعاً؟ والسابعة أيضاً للشيخ الزرقا وهي عن حُكم استيلاء البلدية على المقابر الدوارس؟.

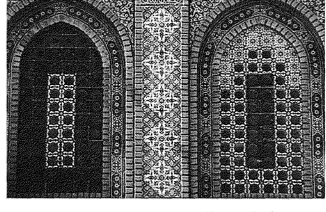
أما الفتوى الثامنة، فهي لفضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، وهي عن الرمي قبل الزوال، الفتوى التاسعة للشيخ القرضاوي، عن تهنئة أهل الكتاب بأعيادهم، والفتوى العاشرة والأخيرة لفضيلته أيضاً عن ميراث المسلم من غير المسلم.

الفن و الزخرفة في الإسلام

سليمان حسن

إذا ما تعرضنا للحديث عن حضارة من الحضارات وما الذي قدمته تلك الحضارة للبشرية فإنه لابد لنا من أن ندعم آراءنا بما يؤكد صحتها من المصادر المتاحة لدينا.ويجب أن يكون الاستدلال بمصادر مادية لا تدع مجالاً للشك في صحة وجودها، ولاخلاف انه إذا استطعنا أن ننظر بعين الحكمة إلى آثار عصر ما، فإنه لابد أن نستشف منها جوهر هذه الحضارة ونحكم حينئذ انها مثل انعكاسات حقيقيا لجوهر وروح عصرها . وخير مثال على ذلك قلعة حلب وقلعة صلاح الدين الواقعتين في الجمهورية العربية السورية، والآثار الموجودة انعكاس للحضارات القديمة، حيث نجد أن آثار فترات القوة التي عاشتها الحضارات خلفت وراءها آثارا تعبر عن قوة واضحة، بينما في فترات الضعف التي عاشتها الحضارات نجدها تعبر عن وهن وضعف.

وقد أشار القرآن الكريم الى ما تركه الأقدمون من بعدهم في مثل قوله تعالى ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾(الحج:٤٥)، ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾(الأنعام: ٦). ومن الإنصاف أن نقول، بل الحق يقال إن بعض الآثار القائمة الآن قد لا نعرف كيف بنيت وشيدت مثل أهرامات الفراعنة في مصر، وبعض الظواهر قد لا نجد لها تفسيراً كسر التحنيط وسر تعامد الشمس على وجه رمسيس في يوم ميلاده ويوم جلوسه على العرش، فإذا ما تحدثنا عن الآثار الاسلامية فسنجد ان كل ما سبق ذكره ينطبق تماما عليها من حيث تعبيرها عن روح وجوهر حضارتها، والجمال الكائن فيها الى جانب تعبيرها الواضح عن فترات القوة والوهن الحضاري الذي تعرضت له الحضارة الاسلامية، بل وكذلك عن مدى تأثير الدين الاسلامي في العمارة والفنون السائدة في الأزمنة الماضية.



اثر الدين على العمارة والفنون

- القضاء على كل التماثيل التي تصور الأشخاص بصورتهم الطبيعية او التي كانت تعبد في تلك العصور.
- الابتعاد عن الرسوم العارية والتزام البنائين بالبساطة والجمال والأشكال الهندسية، ورسم الأوراق والنباتات بصورة إبداعية.
- إبداع الفنانين في الخطوط العربية المختلفة والمخطوطات المصورة.
- التوحيد الفني بين ريشة الفنانين وأنامل البنائين.
- النهي عن دفن الممتلكات مع الميت وعدم تزيين القبور (١).
- الاهتمام ببناء المساجد وزخرفتها وكذلك بناء السبيل الذي تفردت به الحضارة الإسلامية، فالسبيل هو بناء معماري يقوم على بئر كبيرة بها ماء يقدم للمارة وعابري السبيل دون مقابل وحينذاك استفادوا من هذا المبنى في التعليم.

الزخرفة الاسلامية

إن مصطلح الزخرفة يعود إلى المفردة اللاتينية decus التي تعني التزيين والتحلية فالخطوط والألوان والإيقاعات تشكل وحدات فنية تثير فينا حساً زخرفياً ساراً وفن الزخرفة يدخل في شتى مظاهر حياتنا اليومية، الأبنية وقطع الأثاث والأواني والأزياء والأنسجة وقطع الحلي وفي كل فن تزييني، فكل وحدة جمالية هي في حد ذاتها عالم متميز في الحياة ومن المؤكد ان مجمل حضارات العالم قد عرفت الزخرفة عبر فنونها المختلفة.

وظيفة الزخرفة

لقد بدأت الزخرفة في تنمية خصائصها المعروفة مثل التغطية الشاملة للحشوات وكثافة الجزئيات وتحوير الأشكال النباتية والتأليف بين التكوينات الهندسية والنباتية وكثافة المظهر السطحي لها دون أحجام بارزة لتتلاءم مع وظيفتها الأساسية المتمثلة في التغطية (٢).

ب- مكونات الزخرفة: بالنسبة للعناصر الخاصة بفن العمارة الاسلامية فهي: المآذن - الأعمدة وتيجانها - الأقواس - القباب -المقرنصات (المتدليات) - النقوش ودقائق الزخارف - الزخارف الملونة - الكتابة العربية - الرقش العربي (الأرابيسك). ومن المؤكد أن هذا الموضوع يحتاج الى جهد كبير ودراسة مستفيضة ولكننا سنحاول أن نلقي الضوء على هذه المكونات.

المآذن

كانت المآذن لرفع الأذان، وهي مصممة على أشكال مختلفة.

- الأعمدة: ومثال عليها ما هو قائم الآن في قاعة الأسود بقصر الحمراء.

- الأقواس: وكانت مصممة على شكل حدوة الحصان أو مدببة من الأعلى او من ذوات الفصوص.

- القباب: وكانت مصممة على أشكال مختلفة.

المقرنصات

وكانت مصممة على شكل خلايا النحل في واجهات المساجد او تيجان الأعمدة او في الأسقف أو في المآذن أو في زخرفة جلود المساجد، يقول غستاف لوبون: لقد انفرد العرب في المقرنصات ولم توجد هذه الزخرفة عند امة من الأمم.

النقوش

وكانت مصممة على شكل رسوم هندسية ممزوجة بالخط العربي الذي كان له شأن كبير في الزخرفة وقد كانت تنقش في الحجر او تصب في قوالب خاصة.

- الزخارف الملونة: كانت الجدران الداخلية والخارجية للمساجد ملونة بازهى ألوان الزخرفة (٣).

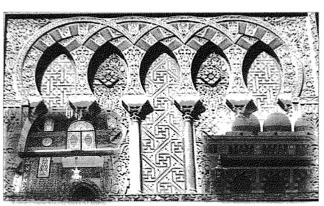
الكتابة العربية

إن الخط العربي يعد من أهم ما برز فيه العرب في مجال الفنون الزخرفية والمعمارية، فقد سما به الفنان الى أعلى درجة من الإجادة بحيث لا يكاد يخلو اثر من الآثار الاسلامية من هذا الخط.

الرقش العربي

وهو اصطلاح يستعمل للدلالة على الفنون الزخرفية وقد استعمل في مجال الموسيقى، أما كلمة ارابيسك فكلمة عربية وتعني الفن العربي الزخرفي المعماري الذي انتشر في جميع أنحاء العالم وأصبح مرجعا ونموذجا لسائر الفنون الزخرفية التجريدية المتطورة التي تحفل بها المساجد والأبنية والأسواق بل إن الفنان يمزج فيه بين الخط العربي والأشكال والتكوينات الهندسية او الأشكال النباتية، وكلها تمثل تكوينا فنيا متكاملا (٥).

ج- خصائص الزخرفة: يمكن إيجاز أهم خصائص الزخرفة في السمات التالية: الإيحاء بالحركة، شغل الفراغ، التجريد والرمز، التكرار، التنوع، الوحدة.



- الإيحاء بالحركة: فعندما نتأمل الوحدة وفي اللحظة التي يخيل إليك أنها انتهت تفاجأ عند نقطة معينة في الفراغ أن الوحدة التالية تبدأ ويمكن أن لحظ في الزخرفة الأشكال الساكنة والأشكال المتحركة.

- شغل الفراغ: بحيث تعطى الأولوية في الرؤية إلى مجموع المساحة المزخرفة والظاهرة للعين، ومثال على ذلك واجهة جامع المؤيد بالقرب من زويلة بالقاهرة وجامع اولو في ديفريجي بالأناضول الوسطى.

التجريد والرمز

وذلك ما هو موجود في بعض المباني القديمة الدينية فهي تتوهج بنبض شاعري فالتجريد فن مطلق لانهائي غير مقيد بأبعاد الرؤية البصرية للموضوعات الطبيعية كما انه ليس تجريدا عبثيا.

- التكرار: إن التكرار في العمل الفني بشكل عام فيه خطورة بينما نجد ان الفنان المسلم قد قام به دون أن يشعرنا بالملل وذلك نتيجة لطريقة توظيفه فهو تجسيد مثالي، والقرآن الكريم علمنا التكرار، قال تعالى ﴿فبأي الاء ربكما تكذبان﴾(الرحمن: ١٣-٥٥).

- التنوع: تتصف الزخرفة بالاتساق إضافة إلى التنوع والضخامة وتحاشي تكرار الصيغة الزخرفية وخير مثال على ذلك الزخرفة الموجودة في جامع احمد بن طولون بالقاهرة.

- الوحدة: تتكامل عناصر الزخرفة مثلما يتكامل أعضاء الجسد الواحد بنسبة ثابتة لتحقيق التكوين المتكامل والتعبير عن الكل (٤).

عمارة المساجد

لقد انشأ المسلمون في المدن التي شيدوها المساجد والمدارس والقصور وغيرها من المباني الفخمة المتعددة، وذلك وفق طرز متميزة تسمى عادة العمارة الاسلامية ويجدر بنا أن نذكر بعض المساجد القديمة قبل أن اختم بحثي هذا: المسجد الحرام بمكة المكرمة، المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، قبة الصخرة والمسجد الأقصى بالقدس، الجامع الأموي الكبير بدمشق، مسجد السنة بالرباط وجامع القرويين بفاس، مسجد عقبة بالقيروان، جامع قرطبة بالأندلس، جامع احمد بن طولون بالقاهرة، مسجد باداشاهي في لاهور، هذا ما استطعت تقريبه إلى الأذهان من هذا النوع من الفن الاسلامي الرائع.

المراجع

١- مجلة السياحة الاسلامية ع (٧) ٢٠٠٣م
٢- مجلة القافلة ع يناير ١٩٩٦م
٣- من كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية
٤- مجلة القافلة ع يناير ١٩٩٦م
٥- مجلة القافلة ع يناير ١٩٩٦م
٦- من كتاب تاريخ الحضارة الاسلامية

الفصام التربوي

عبادة السيد نوح
nooh22@hotmail.com

يخاطب الإمام الشافعي ﷺ أولاد هارون الرشيد فيقول «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعنّتهم معقودة بيدك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح عندهم ما تركته»، ومن الجميل قول أحدهم «كونوا عبّادًا قبل أن تكونوا قوّادًا؛ تصل بكم العبادة إلى أحسن قيادة».
هذا مختصر لتشخيص حال المسلمين اليوم الذين لو عملوا بقدر كلامهم لتغيرت مسيرتهم وصاروا – حقا– شهداء الله في الأرض.

فمن الملاحظ انتشار ظاهرة ازدواجية السلوك أو التناقض السلوكي بين المسلمين، حتى بات الغرب يتهم الإسلام بالتخلف والرجعية والجمود والنفاق، والحقيقة أن بعض المسلمين هم الأزمة الحقيقية، والإسلام بريء مما يرتكبه أبناء شريعته.

ولكن الغريب استفحال هذه الآفة الخبيثة في أوساط المجتمع الدعوي المتدين والملتزم بالمنهج الصحيح، فالتدين أساسه تطهير النفس من موبقات الحياة الدنيا، وسعي دءوب لاكتشافها والتخلص منها، من اجل الحفاظ على طاعة الله في الفكر والممارسة.

والتناقض التربوي خارج نطاق التدين يمكن التعامل معه بقدر من التفهم باعتباره عيباً في الشخصية، ولكنه لا يضع الفرد في دائرة التنقيص من التزامه أو تدينه. أما أوامر الله ونواهيه فلا تقبل الاجتهاد الملتبس أو الغامض، الأمر الذي يثير الناس العاديين باعتبار أن المتدين يفسر النص القرآني، والحديث الشريف بطريقة تخدم مصالحه ورغباته!

فلننظر إلى رسول الله ﷺ كيف أوصى معاذاً ﷺ قبل أن يرسله لدعوة الناس، حين حدّد له ما يجب أن تكون عليه شخصيته، فأوصاه بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، ونهاه عن أن يسب حكيمًا، أو يكذب صادقًا، أو يطيع آثمًا، أو يعصي إمامًا عادلاً، أو يفسد أرضًا، وأوصاه باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر. لقد أوصاهُ ﷺ كما أوصى غيره من دعاة الخير ورُسل العقيدة بكل معاني تربية النفس، ومعالم تهذيبها، والارتقاء بها.

ويرجع التربويون والنفسيون أسباب هذه الظاهرة (الفصام بين القول والعمل) إلى أنها قد تكون عادة متأصلة في عدد من الناس ناتجة عن طبيعة هذا الشخص أو ذاك، والبيئة تلعب دوراً أساسياً في بعض العادات الاجتماعية سلبا أو إيجابا، بالإضافة إلى أنها قد تكون نتاج مصالح مادية أو انتهازية.

فصاحب المبادئ والقيم والقواعد لا مبرر له أبداً للإقدام على مثل هذه السلوكيات الفاسدة التي تقلل من شأن الإسلام وشريعته الغراء، مع العلم بأن كل إنسان خطاء ولكن ليس على حساب المصالح الكلية.

ومصالح السلوك المزدوج المادية بمختلف أشكالها مؤقتة وزائلة، بينما السلوك القويم والأثر الطيب يظل راسخا في عقول وقلوب الناس. ومن يعتقد أن السلوك السلبي يمكن أن يزول من ذاكرة الناس بالتقادم فهو مخطئ لأن الإنسان يحفظ تاريخ الولادة والنجاح والكوارث وأعوام الجوع.. فازدواجية السلوك لا تقدم لصاحبها سوى ازدراء الناس وكرههم له، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ «تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (رواه البخاري ومسلم).

يقول أحد المفكرين: إن مثلاً واحداً أنفع للناس من عشرة مجلدات، لأن الأحياء لا تصدق إلا المثل الحي، لهذا كان النبي الواحد بمثله الخلقي الحي وجهاده أهدى للبشرية من آلاف الكتّاب الذين ملأوا بالفضائل والحكم بطون المجلدات، وإن أكثر الناس يستطيعون الكلام عن المثل العليا، ولكنهم لا يعيشونها، فالإسلام لا يحييه إلا المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، والسلوك المستقيم، والانضباط الذاتي، والعفة عن المطامع والمحارم، والعمل الصالح، والتضحية والإيثار.

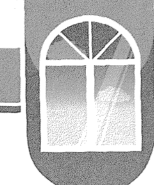
أخيرا يؤكد الداعية السعودي د.علي بادحدح أن نجاح الداعية مرتبط بقدرته التأثيرية في المدعوين، ولا شك أن التأثير لا يأتي عفواً ولا عرضاً، كما أنه قطعاً لا يفرض فرضاً، بل هو مرتبط بمؤهلات ومواصفات لا بد للداعية منها لتكون له شخصيته المؤثرة من التميز الإيماني والتفوق الروحاني والزاد العلمي والرصيد الثقافي، ورجاحة العقل، وحسن التدبير، ورحابة الصدر، وسعة الخلق، والله ولي التوفيق .

لفتة

- أثار أحد كتاب الصحف اليومية قضية المؤتمرات والندوات الفاخرة التي لا تسمن ولا تغني من جوع..هذه القضية تحتاج إلى وقفة جادة مع الجهات المنظمة لتراجع نفسها عن النتائج الحقيقية لمثل هذه التجمعات.
- نبارك للأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو جائزة (كويري) الفرنسية للتميز تقديراً لكتابه عن تاريخ العلوم خلال العهد العثماني .
- انزواء العلماء الربانيين في مجالسهم وابتعادهم عن حقل الدعوة يثير الدهشة، لاسيما أن الأمة في أمس الحاجة لتوجيهاتهم وإرشاداتهم ولعلمهم.. فهل من مجيب؟

أسرتي

- «وازواجه أمهاتهم»
- صناعة الجمال
- الطفل الموهوب .. كيف نكتشفه؟




شهر العسل!

د.حلمي محمد القاعود

يحرص الإسلام على أن يكون المسلم في أصفى حالات الرضا والسعادة، وأن يستمتع بالطبيعة والجمال وفقا لما أمر الله ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف:٣٢).

وكلما اقترب المسلم من المنهج الإسلامي في الحياة والسلوك، ازداد طمأنينة ورضا وسكينة، لأن الإسلام يضع منهجه موافقا للفطرة الإنسانية ومقتضياتها، ويستجيب لمطالبها وطبيعتها، فلا يهبط معها إلى حضيض الانفلات والتردي، ولا يقذف بها إلى عالم الحرمان والتزمت، وغالبا ما تكون الشخصية الإسلامية الطبيعية سوية ومستقيمة وناضجة، والبعد عن المنهج الإسلامي في الحياة والسلوك يوقع في مشكلات كثيرة منها غضب الله، وبؤس الحياة، ولو كان من يعيشها أغنى الأغنياء وأشهر الناس.

دعونا نقص هذه الحكاية التي نشرتها الأهرام في ٢٠٠٩/٢/٢٧م، فقد تم عقد قران «محمود» ابن واحد من كبار رجال الأعمال والصناعة، وتم زفافه في أبسط حفل، حضرته أسرتا العروسين في عشاء بسيط، وأصر العريس على التبرع بتكلفة «الفرح» للفقراء، ولأنه الابن الوحيد على خمس بنات كان والده يصر على إقامة فرح كبير، يدعو فيه الكبار والمشاهير، ويقدم لهم ما لذ وطاب وغلا من الأطعمة والمشروبات ووسائل الترفيه والسرور.. إلا أن الشاب لقن أباه درسا هادئا مؤدبا حين جلس يشرح له أنه في ظل الأزمة الاقتصادية التي تمر بالبلاد والعباد لا يجوز أن يقام مثل هذا الفرح الذي يريده الأب الحاني، بل إن فرحة محمود وعروسه ستتضاعف لو أنه تم التبرع بتكلفة العرس للفقراء.

استجاب الأب لرغبة ابنه الشاب، وسلمه قيمة تكاليف العرس ليتصدق بها كما أراد، وعلى عكس ما يحدث من سفر العروسين لقضاء شهر العسل على شواطئ ماليزيا وهاواي وتايلاند ومنتجعات إسبانيا، فإن العريس (محمود) وعروسه أصرا على قضاء شهر العسل في المدينة المنورة لبدء حياة زوجية مباركة ومستقرة بمشيئة الله.

ورأى محرر الجريدة أن هذا النموذج الصالح قليل في زمن عزت فيه القدوة والنماذج الطيبة وشاعت فيه النماذج المشوهة التي تعدي جيلا بأكمله.

ولاشك أن النفس الإنسانية مفطورة على حب الخير بمعناه الشامل، وليس المال وحده، وشعوبنا الإسلامية لديها الرغبة في العمل الصالح، والاستجابة لداعي التراحم والتعاون، ومع ما يغشى المجتمعات الإسلامية من تقاليد لا أساس لها في التشريع الإسلامي، وترفضها الفطرة السليمة والقلوب النقية، فإن أبناء الأمة لا يترددون في المبادرة إلى المعروف والسلوك الطيب والقول الطيب أيضا إذا وجدت القدوة الصالحة والأسوة الحسنة داخل المجتمعات الإسلامية.

لقد كانت هنالك تجارب طيبة في عقد القران للعرسان الجدد في المساجد توفيرا للنفقات على الفقراء وتلافيا للمظاهر التي تجافي القيم الإسلامية، وترسيخا لحب المساجد والارتباط بها وبما تمثله من إشعاع يهدي إلى الحق والخير والنور والجمال، وللأسف فإن هذه التجارب تعرضت لغارات شرسة من جهات تفكر بذراعها ولا تفكر بعقلها، فقضت على هذه التجارب، ولم يبق منها إلا ما يكلف أهل العروسين فوق الطاقة، في قاعات محدودة تتقاضى مبالغ كبيرة، ويحضرها بعض العلماء الرسميين!

وللأسف، فإن شيوع التقاليد الغريبة في المجتمعات الإسلامية أخذ يحفر مجرى عميقا في واقع الحياة الاجتماعية، ويأخذ شكلا أكثر إسرافا وبذخا وشناعة، مع أن الغربيين في مجملهم يقيمون أفراحهم داخل الكنائس في احتفالات بسيطة، ودون تكاليف باهظة.

بعض القوم عندنا ممن يحبون المظاهر، وخاصة في الطبقات التي تفرض على المجتمعات الإسلامية عبر الإعلام وشاشات التلفزة من أهل الفن والكرة والأعمال وأشباههم، أخذوا ينحرفون باحتفالات الزواج عن أغراضها،



وراحوا ينشرون قيما غير طيبة، من خلال سلوكيات يرفضها الدين، وترفضها الفطرة السليمة المستقيمة.

وأخيرا سمع الناس ورأوا نماذج من المغالاة في إقامة الأفراح يأباها أصحاب الضمائر الحية، أو الذين حصلوا أموالهم بالجهد والعرق والحلال، ولم تعد هذه النماذج من المغالاة قاصرة على الفنادق الفخمة ولا الأطعمة الغالية، ولا المشروبات المحرمة، ولا الراقصات والمطربات الكاسيات العاريات وما يقدمنه من خلاعة وابتذال وسلوك فج وكلمات بذيئة، بل امتد الأمر إلى العروسين، ليقوما بالرقص معا أمام الجمهور بطريقة سوقية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل امتد إلى ما هو أكثر من ذلك غرابة وشذوذا.

والأدهى من ذلك هو قيام بعض الفضائيات العربية بنقل هذه الأفراح وما يجرى فيها من تجاوزات وسلوكيات شاذة بعيدة عن قيمنا وأعرافنا على الهواء، وأمام الملايين لتقنن أوضاعا يأباها كل حر، وصاحب غيرة ونخوة، والمفارقة أن من يشيعون هذه التجاوزات، يشكون من التحرش الجنسي في الشوارع والأماكن العامة!

إن الأعراس حين تقام وفقا لمنهج الإسلام وروحه، ستحقق أهدافا إنسانية واجتماعية عديدة تعود بالخير على المجتمع كله، وقصة الشاب محمود الذي أصر أن يقضي مع عروسه شهر العسل في المدينة المنورة تقدم لنا نموذجا، يجب أن يشيع في المجتمع الذي تسلطت عليه شياطين الإنس وأساطين الشر، بقصد نشر الرذائل، وقتل الحياء في النفوس والضمائر، وإحياء قيم الشكلية والمظهرية والتفاخر الأجوف.

لماذا نبحث عن الأفراح في الصورة والشكل ولا نبحث عنها في أعماق القلوب والنفوس؟ يجب أن نضيء أرواحنا من الداخل بالأمل والأمن والرضا والقناعة، وقبل ذلك بالإيمان واليقين بالخالق سبحانه.. هذا هو الفرح الحقيقي في داخلنا، وليس في المظاهر الخارجية الوقتية التي تزول سريعا وتخلف وراءها في الغالب كدرا وهما وغما وفشلا ذريعا.

إن شهر العسل الحقيقي، يتمثل في مرضاة الله وطاعته، وليس في الخروج عن تعاليمه والدخول في زمرة السفهاء والمبذرين إخوان الشياطين ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾ (الإسراء:٢٧).

مكانة المرأة في الإسلام

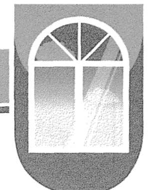
لينة أحمد جلبط

كرم الإسلام المرأة تكريماً عظيماً وأعطاها سائر الحقوق المشروعة، وقد سوى بينها وبين الرجل في العبادات، والتكليف، والثواب، والعقاب، فالأصل في الأدلة الشرعية التكليفية التسوية بين الجنسين، وعدم التفريق بينهما، ولكنهما مختلفان في الدور والوظيفة كل حسب طبيعته الجسمانية والنفسية، واختلاف امكاناته الفطرية التي فطره الله عليها، وجعل من حق المرأة أن تطلب العلم كما قال رسول الله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (صحيح ابن ماجة)، حتى يتسنى لها تصحيح عقيدتها، وضبط سلوكها، لتقف عند حدود الله في الحلال والحرام، والحقوق والواجبات.

ويعتبرها أما، فقد أكد الوصية بها وجعلها تالية للوصية بتوحيد الله وعبادته، وجعل عقوقها والإساءة إليها مقرونا بالشرك بالله والفساد في الأرض قال تعالى ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾ (لقمان: ١٣-١٤)، وإذا كان للأم كل هذه العناية، فإن عليها واجب في الاهتمام بتربية أبنائها لصناعة أجيال الغد، وغرس الفضائل في نفوسهم، والبعد عن الرذائل، وحب الطاعة لله عز وجل، والتشجيع على نصرة الحق ورفع راية الإسلام.

ويعتبرها بنتا، والجنة جزاء كل أب يحسن صحبة بناته، ويحسن تأديبهن، ويرعى حق الله فيهن، حتى يبلغن أو يموت عنهن، وجعل منزلته بجوار الحبيب محمد ﷺ في الجنة، وهذا ما رواه ابن عباس عن الرسول ﷺ حيث قال «ما من رجل تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة» (صحيح ابن ماجة)، كما أوجب الإسلام على أبيها النفقة عليها حتى تتزوج، وليس للأب حق تزويج ابنته البالغة ممن تكرهه ولا ترضاه، فعن ابن عباس «أن جارية بكرا أتت رسول الله ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي ﷺ» (صحيح أبي داود)، فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل، فتخرج لتبحث عن المسكن والطعام على حساب كرامتها ونبيل أخلاقها؟.

ويعتبرها زوجة، بل جعل الإسلام الزوجة الصالحة للرجل أفضل ثروة يكتنزها من دنياه قال عليه الصلاة والسلام «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» (رواه مسلم)، وقرر الإسلام للزوجة حقوقها على زوجها، ولم يجعلها مجرد حبر على ورق، وأول هذه الحقوق الصداق الذي أوجبه الإسلام للمرأة على الرجل، وثاني هذه الحقوق هو النفقة فالرجل مكلف بتوفير المأكل والملبس والمسكن والعلاج لامرأته قال تعالى ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ (الطلاق:٧)، وثالث الحقوق المعاشرة بالمعروف من حيث حسن الخلق، ولين الجانب، وطيب الكلام فالرسول ﷺ قال «إن من أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله» (رواه الترمذي).




صناعة الجمال

إيمان القدوسي

الوجه الحسن هو أفضل بطاقة تعارف تقدم صاحبه للناس، وحب الجمال من البديهيات المركوزة في نفوس البشر، وعندما ذكر رسول الله ﷺ الأسباب التي تدعو لاختيار الزوجة ذكر في مقدمتها «جمالها».

جمال المرأة تحديدا من المحاور الرئيسية الدافعة لسلوك البشر، تغنى به الشعراء، ورسمته ريشة الفنان، وقامت بسببه صراعات ونزاعات وحروب، والمرأة تعرف ذلك جيدا وتقدره، وأشد ما يسعدها أن يقال عنها حسناء ولو كان خداعا!!

يقول أمير الشعراء:

خدعوها بقولهم حسناء

والغواني يغرهن الثناء

ومنذ القدم فطن التجار لأهمية الجمال والتجميل بالنسبة للمرأة التي وصفها المولى عز وجل بقوله ﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ (الزخرف: ١٨)، وقامت صناعات كثيرة لاستثمار هذا الاهتمام، منها صناعة مساحيق التجميل والازياء وتصفيف الشعر وغيرها، وتعبر رسوم الفراعنة عن ولع المرأة بذلك منذ تلك العصور القديمة.

ولكن صناعة الجمال في العصر الحديث تخطت كل الحدود وفاقت كل التصورات، فلم يعد الامر قاصرا على ارتداء الحلي والملابس وبعض الزينة، ولكنها صارت صناعة حقيقية، تجعل القبيحة جميلة وتعيد العجوز صبية، فقد تطورت جراحات التجميل بشكل مذهل، وصار بامكانها اعادة تصميم الوجه الانساني واضفاء درجة عالية من التناسق والجاذبية عليها، وهكذا امتلأت الدنيا بالنجمات فائقات الجمال، حيث تبدو الواحدة منهن أجمل من رسم الفنان وأفضل من خيال الشاعر وأكثر شبابا وحيوية من أحفادها!

قد يكون هذا الأمر ليس من شأننا ولا يدخل في صميم اهتمامنا، ولكن الحقيقة أنه في عصر الاعلام الفضائي الذي جعل الدنيا كلها قرية صغيرة، لم يعد ممكنا أن نقول: هذا لا يعنينا، لأن كل ظاهرة لها تداعيات مباشرة وغير مباشرة وان بعدت بيننا وبينها المسافات.

فمن تداعيات ظاهرة «صناعة الجمال» ان ارتفع سقف ومعيار الجمال واصبحت غالبية النساء دونه، بالنسبة للفتيات يقلل ذلك فرصتهن للزواج، وبالنسبة للمتزوجات يكون هذا النموذج حائلا دون الانسجام الحقيقي بين الزوجين، فالرجل يريد نفس النموذج الذي يراه، ولذلك نلاحظ تزايد الإصرار على شرط الجمال بين الشباب وبين الرجال الذين يريدون الزواج مرة ثانية.

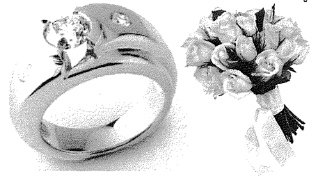
نلاحظ ايضا بالنسبة للمرأة انها صارت اكثر اقبالا على التجميل والتجمل بشكل غير مسبوق لانها تريد أن تحرز مكانا مناسبا في هذا السباق المحموم، بل ان النساء الثريات يسرن على خطى نجوم الاعلام في اجراء جراحات التجميل وتغيير خلق الله والبحث عن استعادة الشباب الضائع.

اتسع المجال امام التجار بأحلام البسطاء، فلا تكف الاعلانات عن الكريم الذي يجعل السمراء شقراء، والصابون الذي يحول الشعر الخشن الى نعومة الحرير وغير ذلك مما لا حصر له من برامج واعلانات ومجلات تحاصر الفتاة البسيطة والمرأة الكادحة وتستنزف قروشها القليلة جريا وراء وهم الحصول على الجمال الزائف.

قال أحد الشباب الذي تزوج شمطاء متصابية شهيرة: غرني شكلها الخارجي الرائع ولكن حين عشت معها وجدتها أولا وأخيرا امرأة عجوز. وهذا بديهي فلو صبغنا الشعر والوجه وأخفينا آثار السنين فكيف يمكن أن نعيد للمفاصل والعظام والقلب والأحشاء شبابها؟ وكيف يمكن أن نعيد للعين لمعتها؟ وللروح دهشتها الأولى؟ وللنفس براءتها وغفلتها وشغفها بالجديد؟

ليس الشباب فقط هو الذي لا يعوض ولكن ايضا الإحساس بالتفرد، التفرد أن يكون لي شكلي الخاص بي وحدي ولا يشبه أحدا، ولي شخصيتي التي أبنيها وفقا لعقيدتي، ولي اسلوبي الناجح في ادارة حياتي بشكل يجذب اهتمام شريكي لاعجابه بكل تلك المقومات وليس بالشكل فقط، وفي هذا الصدد يمكننا ان نزعم ان كل النساء جميلات بشكل ما.

أجمل الوجوه هو وجه امرأة نقية الفطرة، صادقة في التعبير عن نفسها، واثقة في تميزها وتفردها بما حباها الله من أسرار الجمال الطبيعي التي لا تمنح إلا لمثلها من البسطاء، والتي تغيب تماما عن تلك الوجوه المصبوغة المصنوعة، وجه حقيقي لا يشبه وجوه التماثيل ولا يفتقد اللمسة الإنسانية، ويمكنك بسهولة أن تتواصل معه وتحبه وكأنك تنظر في المرآة.





«وأزواجه أمهاتهم»



هدى الكاشف

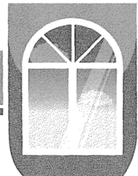
الأم عصب الحياة وعطاؤها ليس له حدود، فهي رمانة الميزان، فمن صلحت امه صلح حاله، والبائس من لا يحظى بهذه الأم الصالحة، وربما كان ذلك سبباً رئيسياً في ضلال وجهل الطريق المستقيم، فهؤلاء عليهم ألا ييأسوا لأن امهات الاجساد تفنى أما أمهات الأرواح فباقية بقاء الحياة حتى بعد فنائنا نحن منها، وعز من قال ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ (الأحزاب:٦) فقد جعل العزيز الوهاب لكل منا أماً بالجسد، حظه منها ما كتب الله له، وأما بالروح في زوجات النبي ﷺ، وحظ المسلمين جميعهم منهن شريف وواحد، حتى لا يفقد أحد منا الحنان، ولايضل الطريق اذا قست عليه الحياة فابتلي في أدفأ حضن يهديه من ضلال، وينير له الظلام.

فعلينا التعرف عليهن لحقهن علينا وحاجتنا الشديدة اليهن، فمعلوم لدينا من سيرة نبينا ﷺ أنه تزوج السيدة «خديجة بنت خويلد» الشريفة خير نساء العالمين وكانت في الاربعين من عمرها، ونبينا محمد ﷺ في الخامسة والعشرين، وظل معها وحدها حتى تجاوزت الخامسة والستين لا يضم اليها اخرى، وماتت وهو فوق الخمسين.

وبعد وفاة السيدة خديجة رأى الصحابة وحدته ﷺ، فودوا لو تزوج من تؤنس وحدته وترعى له بناته وبيته، فتزوج السيدة «سودة بنت زمعة» وكانت لها ظروفها التي جعلت الرسول ﷺ يمد إليها يد الرحمة، فكانت -رضي الله عنها- كبيرة في السن مهاجرة أرملة تعزف عن الرجال، فقامت برعاية بيت النبوة، وبعد ذلك كان الباعث الأول في زيجاته ﷺ الرحمة بظروف كل زوجة أوفرض تشريع جديد، وحرصه على الارتباط بالرجال الذين آزروه في دعوته، فتزوج «عائشة بنت أبي بكر» رغم صغر سنها، و«حفصة بنت عمر بن الخطاب» على قلة جمالها، ثم تزوج «أم سلمة» أرملة قائده الذي أكرم بالشهادة وكانت مهاجرة معه الى الحبشة ثم الى المدينة، وبعد ذلك امره الله تعالى بالزواج من «زينب بنت جحش» بنت عمته لإبطال تقليد شائع عند العرب وهو نظام التبني، وقد اقدم رسول الله ﷺ على هذا الزواج بحرج شديد، ولكنه استجاب لأمر الله، لأنه قد سبق وأمر زينب بالزواج من زيد بن حارثة الذي كان يتبناه سيدنا محمد ﷺ وكان عبداً فأكرمه رسول الله وألحقه بنسبه قبل الغاء التبني، وكانت زينب من اشراف قريش ولكنها أطاعت أمر النبي ﷺ الذي اراد تحطيم الاعتزاز بالأنساب، ولكنها كانت مصروفة الفؤاد عن زيد، فشكى لرسول الله ﷺ فأوحى الله لنبيه أن يطلقها زيد رضي الله عنه ويتزوجها رسول الله، أما باقي نساء النبي فكن يعتبرن بنات ملوك، وكان لكل منهن ظروفها، «فأم حبيبة» بنت أبي سفيان بن حرب سيد من أسياد قريش، قاد الحرب ضد الإسلام أكثر من عشرين عاماً، فأسلمت وتركت أهلها ومكة حيث يسود أبوها وهاجرت مع زوجها للحبشة، فلما مات ضمها رسول الله ﷺ لزوجاته إعزازاً وتقديراً لشأنها وصنيعها، وأما «صفية بنت حيي» فكان أبوها ملك اليهود، وأثناء الحروب بين بني اسرائيل والمسلمين مات زوجها واهلها، ووقعت في الأسر، فرق النبي لحالها ومنزلتها فوهبها حريتها وتزوجها ليطيب خاطرها، أما عن «جويرية بنت الحارث» فأبوها زعيم بني المصطلق، انتهت حربه مع المسلمين بهزيمته فذلت قبيلته وهانت فواسى النبي ﷺ القائد بمصاهرته، فتزوج ابنته التي أعادت الكرامة والشرف لقبيلتها بهذا الزواج.

وقد استحقت كل زوجة منهن ان تكون اماً لنا جميعاً، فرفع الله درجاتهن لتفانيهن في خدمة الرسالة وصاحبها ﷺ، واهمال مطالب النفس على الرغم من مجيء كل منهن من اعرق البيوت، فلم يصبحن زوجات رجل يطلبن معه متاع الدنيا، بل كنّ شريكات حياة عفيفات فاضلات بسيطات الحال على قاعدة «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»، فتحملن معه الحياة الخشنة، فكان الفرش أدم جلد حشوه ليف، وكان ﷺ يدعو الله قائلاً «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» (صحيح مسلم)، وعن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت لعروة ابن اختها «إن كنا لننظر الى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت يا خالة: ما كان ليعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا» (رواه البخاري).

هذا حال بيت النبوة، فكيف لو رأى حالنا وقد تهالكنا على الدنيا وملذاتها، ولم يعد يملأ أعيننا شيء من متاعها وهو القائل «لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا» (رواه البخاري).





الطفل الموهوب.. كيف نكتشفه ونرعاه؟

تعد الموهبة المنفذ الذي تبحث عنه المجتمعات التي تريد ان تسطر لها تاريخا، وأن يكون لها إسهامها الواضح في الحضارة الإنسانية بأسرها، مما يجعل لها دورا بارزا في تلك الحضارة، ويكسبها بالتالي مكانة مرموقة بين الأمم، ولذلك تعمل مثل هذه المجتمعات جاهدة من خلال أساليب علمية مقننة للكشف عن الموهوبين، حتى تتمكن من صقل مواهبهم، لأنهم -بطبيعة الحال- الذين سيقومون برفع راياتها في كافة المحافل المختلفة من خلال إسهاماتهم المتعددة التي لا يستبعد أن تعيد تشكيل وهيكلة الحضارة البشرية من جديد.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن ظاهرة الطفل الموهوب قد لفتت نظر المفكرين والمربين منذ أقدم العصور، وحاول بعضهم أن يقدم تفسيرات شتى لهذه الظاهرة، كما استخدمت مصطلحات عدة للدلالة عليها، كالعبقرية والنبوغ والإبداع، ويرى البعض أن الموهوب يختلف عن المبدع، فالموهوب هو الذي يملك قدرة عقلية عالية، أما المبدع فيتسم بالانجاز الجديد الأصيل. وينظر علماء النفس أثناء تعاملهم مع الموهوبين إلى المستقبل، في حين ينظرون إلى الماضي أثناء تعاملهم مع المبدعين، وكأنهم في حال الموهوبين يضعون الإعداد والرعاية والتوجيه نصب أعينهم، كي يتمكنوا من الاستفادة المستقبلية من هؤلاء الموهوبين. وفي الواقع.. فإن الأطفال الموهوبين ذخيرة يجب أن تصان ولا تبدد، فهم القوة التي تدفع البشرية إلى الأمام، وهم القلم الذي يكتب التاريخ، وهم وديعة الوطن وثروته، ومن هنا تمثل رعاية الموهوبين الأساس ونقطة الانطلاق، وما يتم صرفه على فئات الموهوبين لا يضيع هباء، بل يظهر مردوده بعد سنوات عدة في مختلف مجالات الحياة.



د. بركات محمد مراد

يختلف علماء النفس في تعريف الموهوبين، إلا انهم يتفقون على أن التفوق العقلي وارتفاع نسبة الذكاء، هما أساس التعرف عليهم، وقد أثبت علماء النفس أن نسبة من تقل كمية ذكائهم عن (٦٠) من حاصل الذكاء – وهم المتخلفون عقليا، تصل إلى (٢,٥ في المائة) من مجموع أفراد المجتمع، في حين أن الذين تتراوح نسبة ذكائهم بين (٩٠ :١١٠) – وهم متوسطو الذكاء، تصل نسبتهم إلي حوالي (٥٠ في المائة)، وأما الذين تزيد نسبة ذكائهم عن (١٣٠) – وهم المتفوقون عقليا – فلا يتجاوزون (٢,٥ في المائة) من مجموع أفراد المجتمع.

وبذلك يمكن تعريف الموهوب بأنه الفرد الذي تزيد نسبة ذكائه على (١٣٠) من حاصل الذكاء، وصفة الموهوب تعني قدرة عقلية عالية جدا، وتدل الموهبة على أولئك الذين يملكون بعض القدرات الخاصة بشكل متميز، مثل الرسم والشعر، والكتابات الإبداعية والرياضة، والحرف اليدوية، والمهارات الميكانيكية، والقيادة الجماعية.

المجتمع والموهبة

تعمل الدول المتقدمة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية على تنفيذ برامج معينة تهدف من خلالها إلى تنمية المواهب المختلفة وتطويرها، ومن هذه البرامج تلك التي تقوم على نموذج الهاءات الأربعة H-٤ programs، وتشير كل H من هذه الأربعة إلى مصطلح يبدأ بها، وهذه المصطلحات هي الرأس Head، والقلب Heat، واليدين Hand، والصحة Health.

وهي مجموعة من البرامج القومية للأطفال والمراهقين الموهوبين، تنمي المهارات الحياتية المتعددة التي تسهم في إعدادهم للحياة في مجتمع متطور، وتقوم كثير من المعاهد التابعة للجامعات الأميركية المختلفة بتطبيق مثل هذه البرامج والتطوير فيها، كما تعمل بعض المدارس على تطبيق بعض هذه البرامج، بحيث تختار المدرسة لنفسها برنامجا واحدا أو أكثر من بين هذه البرامج، ومن هذه البرامج ما يتعلق بالرياضة، أو القيادة، أو الزراعة، أو الأمور الصحية المختلفة، أو البيئة، أو تربية الحيوانات المختلفة ورعايتها من الناحية البيطرية، أو الاهتمام بالحدائق والزهور، أو التصوير، أو الحرف المختلفة، أو الفنون الأدائية، أو الفنون الجميلة Fine arts .

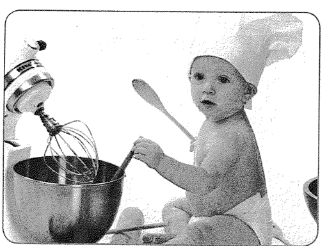
اكتشاف الموهبة

إن مهمة البحث عن الطفل الموهوب عملية مشتركة بين الآباء والمعلمين، فالتعاون عامل أساسي، ليس في اكتشاف الطفل الموهوب فحسب، بل في توفير الفرص له لكي ينمو روحيا وجسميا وعقليا، وعلى قدر مشاركتهما في هذه المسؤولية، يتقاسمان الفخر بهذا الطفل، وبالرضا عن أعماله، وبذلك يجمعان بين الرضا والحرص على أن يجعلا من هذا الطفل ذي المواهب النادرة شخصية متكاملة متفوقة.

ولا شك أن هناك أساليب مختلفة تُتبع للكشف عن المواهب، ومنها ملاحظات الوالدين، وترشيحات المعلمين، وترشيحات الخبراء، وترشيحات الأقران، والتقارير الذاتية، والاختبارات التحصيلية، واختبارات التفكير الابتكاري والإبداعي، إلى جانب اختبارات الشخصية.

وتمر عملية الكشف عن الموهوبين ورعايتهم

بخمس مراحل أساسية، وهي:
١- مرحلة المسح والفرز المبدئي Screening، ويتم خلالها التعرف على الأطفال الموهوبين.
٢- مرحلة التشخيص والتقييم، ويتم من خلالها التأكد من تلك الملاحظات التي أبداها الأشخاص الذين قاموا بترشيح هذا الطفل أو ذاك ليكون من الموهوبين، كما يتم تطبيق المقاييس المختلفة للحكم على موهبة الطفل، ومدى مطابقتها للمعايير الفنية، مما يجعل منه طفلا موهوبا.
٣- تقييم الاحتياجات، ويتم فيها تصنيف الموهوبين إلى فئات مختلفة بحسب مواهبهم.
٤- اختيار البرنامج المناسب والتسكين، بما يحقق أقصى استفادة للطفل من هذا البرنامج أو ذاك.
٥- التقييم، وهنا يتم تقييم الأنشطة والبرامج التي يكون قد تلقاها الطفل.
وفي الواقع نحن في العادة نكتشف الموهبة الثقافية وغيرها من المواهب مصادفة، كأن نسمع طفلا يقرأ قراءة سليمة معبرة، أو نراه في موقف خطابي معين، أو نقرأ شيئا كتبه، لكن هذا الاكتشاف ليس مهما، لأن موهبة الطفل برزت من خلال سلوكه الفني أو الثقافي، وأعلنت عن نفسها دون أن يكون لأحد دور في ذلك، ومن الممكن أن يستفيد الآباء والمعلمون من ملاحظة أي مؤشر لموهبة ثقافية أو فنية عند الطفل، ثم تأتي الرعاية والمتابعة، ويمكنهم أيضا أن يرتفعوا إلى مستوى مكتشفي المواهب، إذا امتلكوا القدرات اللازمة لمتابعة الأطفال الموهوبين.
أما القدرات والمعارف اللازمة لمكتشف المواهب الثقافية والفنية فهي تتمثل في قدرات عدة، مثل القدرة على الملاحظة المستمرة، والقدرة على إثارة الطفل الموهوب، والقدرة على المعرفة الثقافية واللغوية والفنية، والقدرة على معرفة مراحل نمو الطفل، والقدرة على معرفة صفات الطفل الموهوب وحاجاته.
ومن المتفق عليه أن الطفل الموهوب في القصة مثلا، لا يشترط فيه أن يكون موهوبا



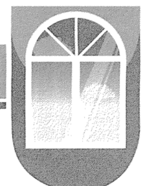
في الخطابة أو الشعر أو المقالة، ولهذا السبب يحتاج مكتشف الموهبة الثقافية أو الفنية إلى الملاحظة المستمرة، ليكتشف ميول الطفل الموهوب، كذلك ليست موهبة الطفل عامة شاملة، وإنما هي محدودة بمن هم في سنه وعمره العقلي، أي أنه موهوب بالقياس إلى أقرانه، ويؤخذ ذلك بعين الاعتبار أثناء رعاية الطفل الموهوب وتوجيهه ومتابعته.
ومن المعروف أن رعاية الموهوبين يمكن أن تتم في المدرسة من خلال الإسراع التعليمي acceleration، عن طريق تخطي الطفل صفوفا أو مقررات دراسية معينة Skipping، أو الالتحاق المبكر بالمدرسة أو بصفوف معينة، كما يمكن أن يتم أيضا من خلال الإثراء التعليمي enrichment والتجمع grouping سواء تم ذلك عن طريق المجموعات المتجانسة، أو حتى المجموعات غير المتجانسة.
ومن أهم المقاييس النفسية التي تستخدم في هذا الصدد الصورة المعدلة من مقياس وكسلر لذكاء أطفال ما قبل المدرسة وأطفال المرحلة الابتدائية (ذكاء لفظي وذكاء عملي)، أو مقياس ستانفورد بينيه للذكاء Stanford - Binet Intelligence test ، والذي يمكن استخدامه عندما يتجاوز مستوى ذكاء الطفل حدود مقياس وكسلر.
وإذا كان الطفل يستطيع القراءة وإجادة بعض العمليات الحسابية، فإنه يصبح بالإمكان استخدام اختبارات تحصيلية مقننة تم إعدادها لذلك، وإن كان يفضل أن تستخدم اختبارات شفوية في ذلك السن، أما عندما يجيد الطفل القراءة والكتابة مع إجادة الحساب فيفضل إلى جانب ذلك أن نستخدم اختبارات تحريرية.
أما فيما يتعلق بالمواهب الفنية، فإن الإنتاج الفني يعتبر الأساس في ذلك، وبالنسبة للفنون الأدائية والمهارات الحس حركية، فيمكن الحكم على الطفل أو المراهق من خلال أدائه الفعلي فيها، ويفضل أن يتم تقييم هؤلاء الأطفال بشكل فردي، حتى يمكن الحكم بدقة على مواهبهم.

أسس الرعاية والتوجيه

إن رعاية الموهبة الثقافية والفنية غير مقصورة على الاهتمام بالطفل الموهوب والتعاطف معه، فهذان الأمران مطلوبان ولكنهما غير كافيين لتنمية الموهبة الثقافية وتوجيهها، لأن الرعاية تعني العمل العلمي الواعي مع الموهوبين، وهذا العمل يستند في العادة إلى ثلاثة أسس هي:

- **تهيئة الظروف الموضوعية لنمو الموهبة.**
- **الإشراف والمتابعة والتوجيه.**
- **التنافس.**

فالموهبة تخبو إذا لم تكن الظروف المحيطة بها قادرة على تنميتها، وأهم هذه الظروف، الحرية والفردية والتشجيع، ذلك أن الموهبة الثقافية لا تنمو في ظروف القهر وسيطرة الكبير على الطفل الموهوب، وتوجيهه بحسب رغباته وآرائه، وتتيح علاقة الود بين الموهوب والمربي فرصة متابعته، ومعرفة استجابته للمواقف، والمعوقات التي تحول دون دخوله حقل الإنتاج الثقافي والفني.
ثم إن التنافس بين الموهوبين يحفز الموهبة الثقافية والفنية للتفتح، ويدفع الطفل إلى تجويد إنتاجه والتدقيق فيه، ومن البديهي ان يكون التنافس تربويا بعيدا عن الحسد والغيرة والمشكلات التي تنتج عنهما، ومتى أدرك الآباء أن طفلهم موهوب، فمن الخير أن يبادروا بالتفكير في مستقبله، وأن يرسموا خطتهم من الآن لكي يواصل ابنهم تعليمه، وألا ينتظروا حتى يتخرج من المدرسة الثانوية، والإعداد للمستقبل خطوة



الموهوبون .. ذخيرة يجب أن تصان ولا تبدد باعتبارهم القوة التي تدفع البشرية إلى الأمام والقلم الذي يكتب التاريخ

أساسية جوهرية لعدم التفريط في مواهب أبنائهم.

وتحتل الرعاية مكانة مهمة في العمل مع الموهوبين، على أن تتكامل المصادر التي تقوم بها. وتوظف جهدها للإشراف والمتابعة والتوجيه، فالأسرة والمدرسة والمجتمع هي مصادر الرعاية، وتحتضن الأسرة الموهبة، وتوفر لها حاجاتها الأساسية، وتدفعها إلى الإنتاج وتحوطها بالحرية، كما أنها تشجعها وتزيل العقبات التي تعترضها، ويجب على الوالد أن يعمل على توفير مكتبة بالمنزل كي يتعلم أولاده من خلالها، بحيث تحوي مثل هذه المكتبة كتبا وألعابا وصلصالا ومكعبات وألعابا بنائية، وإلى جانب ذلك يجب ان يعمل الوالد على تعليم الطفل المهارات المكانية والابتكارية، وتقبل المكسب والخسارة، كذلك يجب أن تصبح الأسرة أقل منعا لسلوكياته، وأقل تقييدا لتصرفاته، ما لم تخرج تلك السلوكيات عن إطارها المسموح به.

ويجب على الأم تنمية الابتكارية لدى الطفل، لأن الأم ذات الطبع المستقر تولد لدى الطفل شعورا بالأمن والطمأنينة والاستقلال، إنها تؤكد استقلاله عن طريق الحماية التي يقدمها له عطفها وحنانها، وتغدو الأم فيما بعد عونا لطفلها على تطوير قدراته واكتساب القيم، وعلى توليد معايير القيم الخاصة به، ومن المفترض أن تعي الأم كيف تساعد إسهامات العائلة في النمو الفكري والعاطفي والإبداعي والابتكاري للطفل، عن طريق تجويد البيئة العائلية التي يحيا فيها الطفل، وهو تعلم غير مباشر، كما يجب عليها ان توظف الأسرة في النمو الفكري للطفل عن طريق تقديم العوامل المهيئة للابتكار، وذلك بإيقاظ المجرى الطبيعي للنمو لدى الطفل وتوجيهه ودفعه إلى الأمام.

وقد أوضحت الدراسات تميز الأمهات المرتفعات الإبداع بالسماح لأبنائهن في سن أكثر تبكيرا بنوع من الاستقلال والسلوك الاستكشافي، وحرية اتخاذ القرارات في تصرفاتهم داخل المنزل أو خارجه.

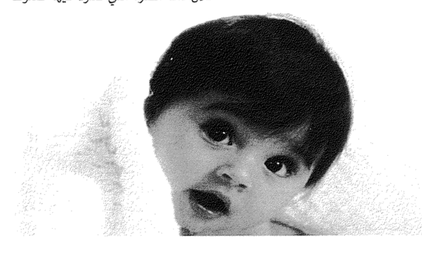
ويجب على الوالد أن يشجع أطفاله على الاشتراك في الأنشطة المدرسية الإيجابية التي يمكنهم خلالها ان يشاركوا أطفالا آخرين متعة التعلم، وذلك كالاشتراك في الفرق المختلفة، والأعمال الدرامية، والمناظرات، ونادي الكمبيوتر، والصحافة المدرسية، وحل المشكلات المستقبلية، وسوف تساعدهم مثل هذه المشاركة الإيجابية كثيرا خلال تلك الفترة التي تسود فيها ضغوط الأقران خلال سنوات الدراسة بالمرحلة المتوسطة (الإعدادية)، والعليا (الثانوية)، وذلك في تجاوز ما يمكن ان يحدث من عقبات، وما يصادف من مشكلات.

وتحتل المدرسة المكانة الثانية في رعاية الموهوبين، ومن واجباتها فتح سجل للتلاميذ الموهوبين، تدون فيه تطوراتهم وسلوكهم الثقافي والفني، ومشاركتهم في العمل الثقافي المتميز طوال السنوات الست التي قضاها الطفل الموهوب في المدرسة الابتدائية، كالكتابة في صحف الصف والمدرسة، والخطابة في المناسبات، والنشر في المجلات، والمشاركة في المسابقات داخل المدرسة وخارجها.

ويضيف أحد الباحثين ملاحظة هامة، وهي أن الملاحظة المباشرة للطفل في ظروفه المختلفة، تعطي معلومات ثمينة عنه، لا تعطيها أي طريقة اخرى أو أي مصدر آخر، وكذلك توفير الظروف الموضوعية والمربين المؤهلين، والتشجيع، لأن مستوى الموهوبين ليس واحدا، وينبغي إثراء المناهج المدرسية بمواد إضافية لإشباع حاجات الأطفال الموهوبين، والتركيز على الطفل في عملية التعلم، لأن ذلك أصبح مطلبا أساسيا في المدرسة الحديثة، وييسر فرصة تفريد التعليم، ومراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، وينبغي أيضا استخدام الطرق الاستكشافية في التعليم لمساعدة الطفل على إشباع حاجته للكشف والتنقيب والاطلاع والتخيل، لأن هذه الطرق تساعد على رعاية الموهبة الثقافية والفنية عند الأطفال وتنميتها، فالطفل الموهوب رجل المستقبل، وليس المطلوب سوى الإعداد لهذا المستقبل.

المراجع

- د.إسماعيل عبد الفتاح، الابتكار وتنميته لدى أطفالنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.
- د.عادل عبدالله محمد، رعاية الموهوبين، دار الرشاد، القاهرة ٢٠٠٢م.
- د.صادق سمعان، أطفالنا الموهوبون، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م.
- بهاء الدين الزهوري، الأطفال الموهوبون ثقافيا، الخفجي، السعودية أغسطس ٢٠٠٢م.



خلود والخوف من الفضيحة

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية

نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

انهارت خلود بكاء ونحيبا وإغماء، ولا أحد يدري..فهي في غرفتها وحيدة، دخلت والدتها لترى ابنتها منهارة محطمة تبكي بحرقة، سألتها: ما بك يا ابنتي؟ فردت...هذا ما وصلنا اليه في العدد الماضي.

فقالت لوالدتها: لا شيء يا أمي، أنا أشعر بالتعب والإرهاق من عملي، كما أنني اختلفت مع صديقتي حول موضوع تافه، وهذا ما يزعجني، لا تحملي همي يا أمي، سأكون بخير، خرجت هذه الكلمات من فمها وليس من قلبها، فهي كما قالت محطمة القلب، ولكنها لم تستطع ان تبوح لوالدتها الكبيرة والمريضة بالقلب ما حل بها، خوفا من أن يحدث ما لايحمد عقباه لوالدتها.

حالة من الصمت والسرحان لثوان عدة، ثم استطردت لتقول لي: والآن يا دكتورة ماذا سأفعل؟ أرجوك ساعديني، هل هناك من حل لمصيبتي؟ هل سأعود كما كنت في السابق.. البنت العفيفة الشريفة الطاهرة؟ أم سأكون قد سقطت من أعين الناس، والكل سيعرف ما اقترفته يداي من عمل لا أتحمل ذكره؟

فقلت لها: أود أن أسالك سؤالا تجيبين عليه بكل صراحة، فقالت: ما هو؟ اسألي، فأنا هنا لأقول لك الصراحة، ولا شيء غيرها، فقلت لها: هل فعلا أنت نادمة؟ هل تبت إلى الله على ما فعلته توبة نصوحا؟ وهل لديك القوة والدافع للتخلص من هذه المشكلة التي حلت بك؟ فردت بالإيجاب، وأنها فعلا نادمة وتائبة إلى الله، وقالت: وما وجودي هنا- في مركز ثوابت للاستشارات النفسية- إلا أكبر دليل على ندمي وإصراري على التخلص من مشكلتي، وقبولي لكل ما سيطرح.

فقلت لها: الحمد لله على ذلك، وكانت نظرات الاستغراب تلوح باستفهام لما أقصد، فقلت لها: إن جوابك على أسئلتي عليه نصف الحل، وبقي النصف الآخر.

الآن يا خلود، أريد أن أصوغ ما قلتيه لي ولكن بطريقتي الخاصة، وأرجو أن تصححي لي إن أخطأت، فقالت: موافقة، فقلت لها: إنك قمت بما قمت به بحثا عن الحب المفقود والذي طالما انتظرتيه، كما انك انجرفت وراء الهوى الذي رسمه لك الشيطان، وزين لك سوء عملك، فهذه العلاقة المحرمة التي استدرجت إليها شيئا فشيئا أوقعتك في هذه المصيبة، وهذا ما أراده الشيطان الرجيم لك، ولكن مع التوبة.. فأنت الآن كالمولود الجديد، لأن التوبة النصوح تمحو الذنوب والخطايا على قدر الندم الذي يصاحبها.

– نظرت إلي بنظرات يصحبها الأمل مع ابتسامه بسيطة.

فواصلت الحديث قائلة لها: أولا: يجب أن تتأكدي أن الله غفور رحيم، يقبل التوبة عن عباده، ولهذا، أنت الآن أقوى من قبل.

ثانيا: قد كان الصحابة وهم في عصر الرسول ﷺ يقعون في الذنوب والخطايا لأنهم بشر مثلنا، لكنهم سرعان ما كانوا يسترجعون ويتوبون إلى الله ويعودون -وبقوة- إلى العمل الصالح، وأنت كذلك عليك طي هذه الصفحة من حياتك، والعودة إلى العمل الصالح الخالص لوجه الله، وبذل قصارى جهدك في العمل مع التركيز على الابداع فيه.

ثالثا: عدم الجلوس وحدك، حتى لا يأخذك تفكيرك بعيدا، وتعود ذكرى هذا الرجل لعقلك، والذي نريد منك ان تنسيه نهائيا، وأن تلغيه من حياتك.

رابعا: مخالطة الصحبة الصالحة التي تعينك على الخير، ومحاولة اختيار صديقاتك اللاتي لهن روح الفكاهة معك، حتى يخرجنك مما أنت فيه، مع ملاحظة عدم التحدث في الموضوع نهائيا مع أي شخص.

خامسا: لا تعتقدي أن كل الرجال مثل هذا الرجل الخائن، ولكن ادعي الله ان يسخر لك الصالحين من عباده، ويرزقك الزوج الصالح الذي يعينك على امر دينك، وتأكدي أن الله سيجيب الدعاء الخالص لوجهه.

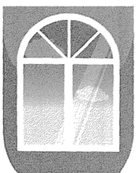
سادسا: لقد تعلمت يا خلود، درسا في حياتك يجعلك حذرة انت وبنات جنسك من الوقوع فريسة سهلة لوحوش بشرية لا تخاف الله، وهذا لا يعني انك مغفلة، ولكنك الآن اقوى لأنك تعلمت كيف تتعاملين مع الناس، خاصة الشباب.

سابعا: تذكري دائما قوله تعالى ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ (النور: ٣١)، وقوله سبحانه ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ (الأحزاب: ٣٢).

ثامنا: انا أعلم يا خلود أن تقديرك لذاتك اهتز هزة قوية، وهو الآن في أدنى مستوياته، فعليك الإكثار من الدعاء والصلاة والعمل الصالح حتى يمحى كل عمل سيئ قمت به، قال رسول الله ﷺ «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (رواه الترمذي)، وبذلك سترتفع قيمتك وثقتك في نفسك شيئا فشيئا بعد كل عمل طيب تقومين به.

وأخيرا: حاولي أن تعيدي نشاطاتك السابقة كلها، وأبدعي فيها وسخري وقتك لله ثم للعمل الطيب، تأكدي انك اليوم اكبر واقوى من قبل، وأنك الآن حرة، ولست أسيرة قصة وهمية دمرت جزءا من حياتك. نظرت إلي نظرة أمل تملؤها الابتسامة وقالت: كلامك طمأنني يا دكتورة، وسأحاول أن أعمل ما طلبته مني وأسال الله أن يعينني على ذلك، وسوف أوافيك بآخر أخباري.

خرجت وهي مطمئنة، وكلها أمل في العودة إلى الحياة الطبيعية..حياتها الأولى.

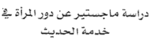


المرأة المسلمة ومجال العلم الشرعي

وصفي عاشور أبوزيد

ترددت في الآونة الأخيرة آراء فقهية تحرِّم ظهور المنتقبات على شاشات الفضائيات؛ بحجة أن المنتقبة تعتبر أكثر فتنة من المتبرجة، وأنها بحد ذاتها عورة، وأنها لا تمتلك من القدرات ما تعلِّم به النساء فضلا عن الرجال، لكونها جاهلة، وستظل جاهلة!

ولا نريد أن نتعرض هنا لقضية المرأة بشكل عام أو المجالات التي شاركت فيها على عهد الرسالة، ولا المجالات المشروعة التي يمكن أن تشارك فيها في واقعنا المعاصر، ولكن سنقتصر فقط على مجال العلم الشرعي، علما بأن عمل المرأة في كل هذا يجب أن يكون مضبوطا بالقواعد الشرعية والآداب المرعية في الخروج والملبس والزينة والحديث والمشي ومراعاة الأولويات.



دراسة ماجستير عن دور المرأة في خدمة الحديث

لقد كان للمرأة على مر التاريخ في مجال العلم الشرعي بلاء حسن وسهم طيب على غير ما يتوقع كثيرون، وحسبنا أن دراسة مستقلة (رسالة ماجستير) تحدثت عن "دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى" للباحثة آمال قرداش بنت الحسين، مطبوعة ضمن سلسلة كتاب الأمة، العدد رقم (٧٠)، وهي محاولة أكاديمية (١) لإبراز وتأصيل دور المرأة وعطائها في الحياة الإسلامية، حيث كانت في تراثنا الثقافي من ورثة النبوة راوية للنص الديني الملزم، لعل ذلك يصبح دليل عمل للمرأة المسلمة في كل عصر، حيث يعتبر هذا العطاء من أعلى أنواع الأهلية وأرقى مراتب التكريم والقيمة الإنسانية، فأحكام الدين بكل ما تصوغه من حياة الناس تُتلقى وتنقل من المرأة، كما تنقل من الرجل.

دراسة عن فقيهات النساء في العهد الراشدي

وفي مجال الفقه كان لهن دور بارز، فقد وُجد في عصر الخلفاء الراشدين الكثيرُ من النساء الفقيهات: حيث نقل الفقهاء الرجالُ فقهَهن في كتبهم المدونة، ومن هؤلاء النساء الفقيهات: أسماء بنت أبي بكر الصديق، وبَريرَة، وجُوَيْرية، وأم حَبيبة، وحفصة بنت سيرين، وحفصة بنت عمر، وأم الدرداء، والربَيِّع بنت معوِّذ، وزينب بنت جحش، وصفية أم المؤمنين، وصفية بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، وصفية بنت أبي عبيد، وعائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين، وعائشة بنت طلحة، وعاتكة بنت زيد، وأم عطية، وعَمرة بنت عبدالرحمن، وفاطمة بنت رسول الله، (وفاطمة بنت الحسين، وفاطمة بنت قيس، وأم كلثوم بنت أبي بكر، وميمونة أم المؤمنين، وأم هانئ، وغيرهن...(٢).

ويلاحظ د.محمد رواس قلعجي أنه لم يُنقل إلينا الكثير من فقه هؤلاء النساء لقلة توجه الرجال إليهن بالسؤال، نظرا لتوفر الرجال الفقهاء: ولذلك بقي فقهُهن محصورا في صدورهن أو في المجتمعات النسائية، وقد جمع قلعجي فقه هؤلاء النساء الفقيهات مما نقله الفقهاء في كتبهم، ونَقْلُ الفقهاء لفقه النساء في كتبهم- كما يقول هو- يدل على فقاهة هؤلاء النساء: لأن الفقهاء لا ينقلون في كتبهم إلا عن فقيه عُرفت فيه الفقاهة.

العصر في حاجة ماسة إلى دور المرأة المسلمة الفقيهة وطالبات العلم الشرعي لسد الفراغ النسائي الفقهي

وهناك شبهة تقول "لو صار فقه النساء إلى النساء لكان فيه غير هذه الأحكام" ولأن تتبع أحكام المرأة في فقه الفقهاء أمر يطول فقد اقتصر الشيخ في هذا الكتاب على المقارنة بين فقه المرأة وفقه الخلفاء الراشدين الأربعة فقط، فقارن فقههم بفقه فقيهات النساء، وعرضه مرتبا ترتيبا معجميا، وسجل نتائج هذه المقارنة في نهاية بحثه، وحسبنا أن نعرض ما توصل إليه من نتائج مذهلة في هذا المجال.

يقول في خاتمة كتابه: هذا ما جمعناه من فقه المرأة عند فقهاء الرجال (الخلفاء الراشدين) وفقيهات النساء، ومن النظر في الجداول التي صنعناها وجدنا أن الرجال انفردوا بمعالجة قضايا لم يتطرق إليها النساء، وأن النساء انفردن بمعالجة قضايا لم يتطرق إليها الرجال، ووجدنا قضايا اشترك في معالجتها الرجالُ والنساء، ولكن تساهَل فيها النساء وتشدد الرجال، وقضايا اشترك في معالجتها الرجالُ والنساء، ولكن تساهَل فيها النساء وتشدّد فيها الرجال.

إن فقيهات النساء لم يعالجن القضايا التالية، وعالجها الخلفاء الراشدون وهي:

تولية النساء الإمارة، وقتل النساء في الحرب، وما تستحقه المرأة من الغنيمة، وضرب الجزية على النساء، وحجاب المرأة المسلمة من المرأة الكافرة، وزواج المسلم بالكافرة، وتأديب الزوجات، وحق الزوجة في النفقة، والحالات التي يشرع فيها الخُلع، وطلاق ناقص العقل، وحق المرأة في الجماع والولَد، وأقلّ المهر، وتقديم حق الأم في الحضانة، وشهادة المرأة، وتأخيرُ رَجم الحامل حتى تضع حملها، ودخَول المرأة الحمّام، وتسليم الرجل على النساء، وفساد الصلاة بمحاذاة المرأة.

والمتأمل في هذه القضايا يجد

أن مبعث الكثير منها السلطة السياسية والإدارية لرئيس الدولة، ومبعث بعضها النظام العام، وهي بعيدة نسبيا عن اهتمامات المرأة، ومبعث بعضها غيرة الرجل على المرأة وحفاظه عليها.

ووجدنا أن الخلفاء الراشدين لم يعالجوا ما يلي، وعالجه فقيهات النساء:

سن البلوغ للمرأة، وتطهيرُ بولِ الغلام بالرشّ وبولِ الأنثى بالغسل، وطهارة ذيول ثياب النساء التي تمس الأرض، وما تراه المرأة من الحمرة والصفرة أثناء الحيض وأثناء الطهر، وعلامة انتهاء الحيض، وأكثر مدة الحمل، ونقض ضفائر المرأة في الغسل، ورفع المرأة صوتها بالتلبية، والتزين بنتف الشعر ووصله، وحق الرجل في الجماع، وتبرع المرأة بمال زوجها، وزيارة المرأة القبور. والمتأمل في هذه الموضوعات يجد أكثرها موضوعات تهم المرأة، والمرأة فيها أعلم من الرجل: لذلك لم يبحثها الخلفاء الراشدون، وتركوا أمرها لفقيهات النساء، وبعضها الآخر مما يخجل الرجال من الكلام فيه، كحق الرجل في الجماع، وتبرع المرأة من مال زوجها.

ووجدنا في المسائل التي عالجها الرجال والنساء أن المرأة كانت متشدّدة أكثر من الرجل في المسائل التالية:

ما تراه الحامل من الدم، فقد كان النساء يرينه حيضا، ويراه الرجال استحاضة.

وجماع المستحاضة لم يجزه النساءُ وأجازه الرجالُ.

ويرى النساء أن الرجل يملك أن يعيد زوجته المطلقة طلاقا رجعيا وأن له إرجاعها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة.

وزواج الزاني بمن زنى بها منعه النساء وأجازه الرجال.

ونفقة المرأة المعتدة من طلاق بائن أوجبها الرجال ولم يوجبها النساء.



ووجدنا في المسائل التي عالجها الرجال والنساء أن الرجال كانوا متشددين أكثر من النساء في المسائل التالية:

أذان المرأة، وإمامتها للصلاة، وإمامتها النساء في صلاة الجماعة، ولباسها في الصلاة، وتغسيل الزوجة زوجها الميت، وزكاة حليّها، وجهاد المرأة، وتحريم الرجل زوجته على نفسه بقوله "أنت عليّ حرام"، وتزيُّن المرأة للخروج، وكحل الزينة للمحرمة بحج أو عمرة.

واختلف النساء في مسائل هي:

أين تقضي المتوفّى عنها زوجها عدتها، فبعضهن رأى أنها تعتد حيث شاءت، وبعضهن أوجب عليها ألاّ تبيت إلا في بيتها، واختلفن في إجزاء مسح الخمار عن مسح الرأس، فأجازه بعضهن، ومنعه أخريات، واختلفن في الكفاءة بين الزوجين، فاعتبرها بعضهن، ولم يعتبرها البعض الآخر (٣).

هذه نتائج دراسة قامت على تناول المسائل الفقهية على حروف المعجم، وقارن الباحث فيها فقه النساء بفقه الخلفاء الراشدين فقط، وخرج بهذه النتائج المشرفة.

كبار العلماء يتخرجون على النساء

ومن يطالع كتب التراجم والتأريخ يجد أخبار كثير من النساء في مجال العلم، اللاتي حباهن الله نور العلم والفهم، فتفتحت بصائرهن، وتخرّج في مدارسهن كبار العلماء، ومن هؤلاء، معلمة أمير الحفاظ الحافظ ابن حجر، رحمه الله، كان إذا ذكر أخته ستّ الرَّكب قال "كانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء وهي أمي بعد أمي" (٤) وهي التي ربته وحدبت عليه وعلمته، وقد ماتت ولم تبلغ الثامنة والعشرين من عمرها، ولكن العلم يرفع صاحبه ويعلي منزلته في الدنيا والآخرة، ويكفيها فخرا أن من تلاميذها الحافظ ابن حجر، رحمه الله، كما أن الحافظ ابن حجر قد تعلم على جماعة من النساء يشار إليهن بالبنان في العلم، حتى إنه قد قرأ على نيف وخمسين امرأة، كلهن شيوخه في العلم، فمنهن، فاطمة الدمشقية أم الحسن، وكذلك في مشايخه فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية أم يوسف، قال ابن حجر، رحمه الله "ونعم الشيخة كانت"، وكذلك خديجة بنت إبراهيم، وسارة بنت تقي الدين علي السبكي، كما جاء في معجم شيوخ ابن حجر، وأكثرُ من الحافظ ابن حجر شيوخا من النساء الحافظ ابن عساكر، رحمه الله، فقد ذكر شيوخَه من النساء فكنّ بضعا وثمانين شيخة، كما جاء في معجم شيوخ ابن عساكر.

فهل كانت المرأة في أخذها للعلم تأخذه من وراء حجاب؟! وهل كانت تدرّسه وتلقنه للرجال من وراء حجاب؟! أم أنها كانت جاهلة لا ترتقي لأن يتخرج عليها كبار العلماء؟!

ويكفينا أن عالم التاريخ والطبقات عمر رضا كحالة حينما رصد أعلام النساء اللائي برزن وتصدرن صفوف الرموز والأعلام في تاريخنا العربي والإسلامي ترجم لثلاثة آلاف من أعلام النساء في موسوعته "أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام" في خمسة مجلدات كبيرة تجاوزت ٢٠٠٠ صفحة.

ونحن في هذا العصر بحاجة ماسة إلى أن نعيد دور المرأة المسلمة الفقهية بحق، وطالبات العلم اللائي يأخذن العلم الشرعي عن الرجال والنساء، ثم يدرسنه بعد ذلك للرجال والنساء في ضوء الضوابط والآداب الشرعية المعروفة، إننا نريد المرأة التي تفتي عن علم وتقول في دين الله بتبحر وتوسع، وتتبوأ مكانة علمية وفقهية متميزة، عمادها العلم الراسخ والخلق الكريم، وليس مجرد الفراغ النسائي الفقهي الذي يتمدَّدْنَ فيه.

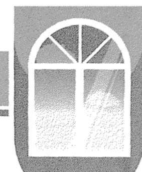
الهوامش

(١) انظر مقدمة الكتاب لعمر عبيد حسنة.

(٢) فقه المرأة بين فقهاء الرجال وفقيهات النساء: ٥-٦. د.محمد رواس قلعجي. مكتبة المنار الإسلامية. الكويت. طبعة أولى. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٣) فقه المرأة بين فقهاء الرجال وفقيهات النساء: ١٦٨-١٧٣.

(٤) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: ٣٠٢/٣. لابن حجر العسقلاني. تحقيق د.محمد عبدالمعيد خان. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.





الكذب عند الأطفال

علاء الدين حسن

يُعرف الكذب بأنه قول مجانب للواقع، وأول أسبابه هو الخوف من قول الحقيقة، ويبدأ الكذب منذ لحظة الطفولة الواعية، فعندما يسلك الطفل سلوكاً سيئاً يستوجب العقاب، فإنه يكذب ليدفع عن نفسه هذا العقاب، فإذا نشأ الطفل في بيئة تلتزم الحق والأمانة فإنه سيمتثل الصدق.

أسباب الكذب

قد لا يستطيع الطفل في سنواته الأولى أن يميز بين الحقيقة والخيال، وهنا يجب على الوالدين أن يتركا الولد مسترسلاً في خياله، ولكن مع مراعاة الخلل الأخلاقي الذي قد يرافق الحديث الخيالي.

وقد يكذب الطفل بدافع الغيرة أو التقليد أو غير ذلك.. المهم بالنسبة للأبوين أن يميزا بين الخيال المبدع والغش المقصود، فالطفل يهرب إلى تصورات خيالية تقوم مقام التعويض في واقع يصعب احتماله، كما يقول بيير داكو في «انتصاراته المذهلة».

ويحذر علماء التربية والنفس من أن تقول الأم لولدها إنه يكذب حين يروي لها الحكايات عن أصدقائه، أو يبتكر حكايات من خياله.

ومن بين الأسباب العامة للكذب عند الأطفال، الدفاع عن النفس للتهرب من النتائج غير السارة للسلوك، والتفاخر والتباهي كي يحصل على الإعجاب والاهتمام وينال مكاسب شخصية.



من الطفولة إلى المراهقة

بعض الأطفال ينمو لديهم الميل للكذب حتى سنّ المراهقة، ويرتبط بالعديد من الممارسات الأخرى بسبب النمو الفيزيولوجي والعقلي السريع، وبسبب رغبة المراهق في الاستقلال واكتساب قيم غير واقعية تجعله يطلب الكمال، وينتقد الأبوين على واقعيتهما، وهذا أمر عارض في الغالب، فالمراهق قد يرغب في جذب الانتباه، فيتخيل كل أنواع الروايات ويلعب فيها دور البطل، ولدى ثبوت هذه العادة يأخذ المراهق في الكذب بشكل مستمر.

والأطفال والمراهقون المصابون بنوع معين من الطفولة النمطية يعانون من الميل للكذب، وهم يكذبون في حماسة، ويصنعون قصصاً وروايات لم تحدث، وعندما ينتهون منها ينسون تفاصيلها، ولا يستطيعون إعادة سردها ثانية، لذا سرعان ما ينكشف كذبهم، ولكن هذا لا يزعجهم ولا يشعرون بالخجل إزاءه.

أنواع الكذب

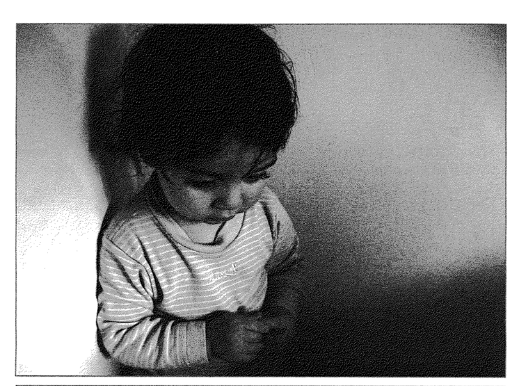
الكذب الإيهامي: وهو نوع من أنواع التسلية بالنسبة للطفل، ويكثر بين الرابعة والخامسة من العمر، ويعود سببه إلى سعة خيال الطفل، ويُنصَح بالاهتمام بالقصص التربوية وعدم المبالغة في القصص الخيالية، حتى لا يؤدي ذلك إلى تشويه الحقائق.

الكذب الدفاعي: وهو أكثر أنواع الكذب انتشاراً بين الأطفال، إذ يلجأ إليه الطفل خوفاً مما قد يقع عليه من عقاب، خاصة إذا كان العقاب جائراً، وقد يدمن الطفل هذا النوع من الكذب عندما تواجهه نوبات القلق والتوتر.

الكذب الالتباسي (الخيالي): ويعود سببه إلى أن الطفل لا يستطيع التمييز بين ما يراه حقيقة، وما يدركه في مخيلته، فكثيراً ما يسمع الطفل قصة خرافية فيسارع إلى سردها وكأنها حدثت في الواقع، وهذا النوع من الكذب يذهب تلقائياً، وهو لا يدل على انحراف سلوكي أو مرضي.

الكذب الانتقامي: ويلجأ إليه الطفل والمراهق ليتهم غيره اتهامات كاذبة يترتب عليها عقابه، وهو من أخطر أنواع الكذب على الصحة النفسية للطفل؛ لأنه ينمُّ عن حقد وحسد، وهنا يجب على الآباء والمربين أن يقابلوا الاتهامات بحذر شديد، وتحقق دقيق.

الكذب الادعائي: ويلجأ إليه الطفل بدافع المفاخرة، ويكون إما بالقول و إما بالفعل، وينبغي على الآباء أن يعالجوا هذه الحالة بتوضيح الحقائق، وإشباع الحاجات النفسية للأبناء باللعب والتسلية



ضرورة تنمية الوعي الذاتي عند الطفل وتشجيعه على الصدق وتوجيه سلوكه نحو الأعمال التي تتناسب مع قدراته

المفيدة.

الكذب من أجل الامتلاك: وهنا يكذب الطفل ليستحوذ على بعض الأشياء التي يرغب فيها ولا يتمكن من الحصول عليها بالوسائل الصحيحة.

الكذب اللاشعوري: ويسميه البعض كذب العقدة النفسية، ومثال ذلك: أن يكذب الطفل أو المراهق على مدرِّسيه دون سبب ظاهر.

كذب التقليد: يكون هذا النوع من الكذب تقليداً للناس الذين يعيش الطفل معهم، كالآباء والأمهات أو أحد الأقران الذي يعجب الطفل بشخصيته.

علاج الكذب

إنَّ علاج الكذب بالضرب أو السخرية غير مفيد، وقد وجدت حالات كثيرة قام فيها الوالدان بعتاب الطفل بشدة فأدى إلى ردّ فعل عكسي، فالتعامل مع الطفل الكذوب يحتاج إلى صبر وتحمّل، ويلعب الوسط الاجتماعي الدور الحاسم في العلاج، فينبغي أن يكون الآباء والمربون والمعلمون على وعي بكذب الطفل وفهم دوافعه، لأن ذلك يساعد على تحجيم المشكلة، كما يجب تجنب الظروف التي تشجع الكذب.

ويجب عند علاج الكذب أن نستخدم رؤية متكاملة تشمل الجوانب البيولوجية والاجتماعية والسلوكية، و يجب التسامح مع الطفل في بعض المواقف، مع بيان خطئه وإعطائه الفرصة الكافية ليصحح ما يقع فيه من خطأ، كما يجب أن نلبي حاجات الطفل النفسية الضرورية من حب وحنان، فذلك يساعده على الصراحة والصدق.

ويجب على الآباء أن يفوا بوعودهم مع أطفالهم؛ لأن عدم الوفاء بالوعد يعوِّد الطفل على الكذب، كما يجب عدم الاستهانة بكذب مرحلة الطفولة، وعليهم أن يعلِّموا أطفالهم أن الصدق بكل أشكاله هو أمر أخلاقي وبنَّاء للشخص نفسه وللآخرين، وأن يوضحوا لهم أن الاحترام المتبادل والثقة تبنيان على الاتصال الصادق بين الأفراد، وأن كلمة الصدق لها أهمية كبرى. وعليهم أن يقصُّوا على أطفالهم قصصاً مسلية في هذا الشأن، كقصة «الراعي الكذاب» الذي صعد في يوم من الأيام إلى رابية وصاح: الذئب.. الذئب.. فهبَّ القوم لنجدته، ولكنهم- للأسف- لم يجدوا الذئب، بل وجدوا كذبة انطلقت في الهواء بعد أن صدرت من راع كذاب، وعندما أعادها ثانية وصاح ملء صوته: الذئب.. الذئب.. لم يصدقه أحد، وكان الذئب هذه المرة حقيقة، فكانت الكارثة.

كما يجب على المربين تنمية الوعي الذاتي عند الطفل، وتشجيعه على الصدق، وتوجيه سلوكه نحو الأعمال التي تتناسب وقدراته الطبيعية، واستشارة الاختصاصي في مجال السلوك عندما يزداد كذب الطفل.

وأخيراً فقد جاء في التنزيل الحكيم: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾(الاحزاب:٧٠)، ومن الهدي النبوي «إنَّ الصدق يهدي إلى البِر...» (متفق عليه).

المصادر

١- الصحة النفسية- د.محمد قاسم عبدالله- كلية الآداب والعلوم الإنسانية في حلب/ ١٩٩٧ م.

٢- أطفالنا- مرزوق الباشا- دار المأمون بدمشق/ ١٤٢١ هـ.

٣- مشكلات الأطفال- د.أحمد محمد- دار الفكر/ دمشق ٢٠٠٥ م.

٤- الكذب عند الأطفال- أميمة عزالدين- المجلة العربية- العدد ٨٩١.

٥- الكذب عند الأطفال - وفيق مختار- مجلة القافلة- ذو الحجة ١٤١٧.

٦- لماذا يكذب الأطفال؟- ملاك جرجس- مجلة العربي- أيار ٦، ١٩٨٠- عبدالرحمن العيسوي «٢٠٠٥» علم النفس ومشكلات الفرد، منشأة المعارف- الاسكندرية.

من قواعد الدعوة الى الله

محمد سعيد أبوحوية

المسلمون من دون دعاة الى الله جهال تتخطفهم شياطين الإنس والجن من كل حدب وصوب، وتعصف بهم الضلالات من كل جانب، لذلك كان الدعاة الى الله مصابيح الدجى وأئمة الهدى وحجة الله في أرضه، بهم تمحق الضلالات وتنقشع الغشاوات، هم ركيزة الايمان وغيظ الشيطان، هم قوام الامة وعماد الدين، هم امناء على دين الله يدعون الناس الى الله بلسان صادق وجنان ثابت، وخلق كريم، اعمالهم تؤكد اقوالهم، هم اسوة ونبراس يصلحون ما فسد ويقومون ما اعوج، لا يستخفون من الناس ولا يخشون أحداً الا الله ولا يقولون الا حسناً (١).

ولن يفلح الدعاة الى الله في دعوتهم الا اذا اتبعوا النبي ﷺ الذي عصمه الله عن الخطأ في الاقوال والافعال والأحوال، وأوحى اليه وحياً متلوا وغير متلو، وألزمنا ان نأخذ منه كل ما امرنا به وان ندع كل ما نهانا عنه، وان نتأسى بمواقفه وسيرته لانه القدوة والاسوة.

وللدعوة الى الله قواعد واصول نستخلصها من سنة النبي ﷺ التي تشتمل على اقواله وافعاله وإقراره، فمن تلك القواعد:

القدوة قبل الدعوة

كان ﷺ عابداً متحنثا قائداً فذاً شيد أمة من الفتات المتناثر، ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش، وأبا عطوفا تملأ نفسه مشاعر محكوميه، يمنحم من مودته وعطفه ما يجعلهم يفتدونه بأنفسهم، ومع هذا كله فهو قائم على اعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للانسان وجوده الكامل، وتغلغلت في كيانه كله ورأى الناس الرسول الكريم صلوات الله عليه تتمثل فيه هذه الصفات الكريمة، فصدقوا تلك المبادئ التي جاء بها كلها (٢).

رأوها متمثلة فيه ولم يقرأوها في كتاب جامد بل رأوها في بشر متحرك، فتحركت لها نفوسهم، وهفت لها مشاعرهم وحاولوا أن يقتبسوا قبسات من الرسول الكريم كل بقدر ما يطيق فكان اكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل وكان هادياً ومربياً بسلوكه الشخصي قبل ان يكون بالكلم الطيب الذي ينطق به، لأن القدوة هي اعظم وسائل التربية، ذلك لان دعوة المترف الى التقشف دعوة ساقطة، ودعوة الكذوب الى الصدق دعوة مضحكة، ودعوة المنحرف الى الاستقامة دعوة مخجلة، لذلك كانت مواقف النبي ﷺ وشمائله وفضائله ومكارمه قدوة صالحة واسوة حسنة ومثلا يحتذى وهي ليست للاعجاب السلبي ولا للتأمل التجريدي ولكنها وجدت فيه لنحققها في ذوات انفسنا كل بقدر.

يستطيع الانسان ان يكون عالما جهبذا في الطب او العلوم من دون ان تتطلب هذه العلوم ممن يتعلمها قيدا سلوكيا، ولا يفسد حقائقها ان يتبع النابغ فيها هوى نفسه في حياته الخاصة، إلا علم الدين فانك ان كنت من المتدينين المخلصين او من علمائه او الداعين اليه فلا بد من ان تكون قدوة حسنة لمن تدعوهم اليه وإلا ما استمع اليك احد ولو كنت اكثر الناس اطلاعاً وعلماً في دين الله ولن ينظر اليك احد نظرة احترام جديرة بك الا اذا كان سلوكك وفقا لقواعد الدين.

> **الإنسان يستطيع أن يكون عالماً في جميع العلوم دون التقيد بسلوك إلا علم الدين الذي يتطلب القدوة الحسنة**

الاحسان قبل البيان

لقد علمنا النبي ﷺ ان نكون رحماء قبل ان نكون اوصياء، فمن لا يرحم لا يرحم قال تعالى ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

فالنفوس جبلت على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها، فهو فتح اقفال القلوب برحمته ورفقه حتى لانت القلوب القاسية واستقامت الجوارح العاصية.

الترغيب قبل الترهيب

لقد علمنا النبي ﷺ ان نقدم للمدعو الترغيب قبل الترهيب والتبشير قبل الانذار، وان نرغبه في الاخلاص قبل ان نرهبه من الرياء، وان نرغبه في طلب العلم ونشره قبل الترهيب من الاعراض عنه وكتمانه، وان نرغبه في الصلاة في وقتها قبل الترهيب من تركها او تأخيرها لان تقديم أسلوب الترغيب يكون انفع وأجدى من تقديم اسلوب الترهيب.

يروي عدي بن حاتم الطائي عن نفسه فيقول: ما من رجل من العرب كان اشد كراهية لرسول الله ﷺ حين يذكر مني، وكنت ملكا في قومي فلما التقيت به قال لي «لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم (أي فقر المؤمنين) فوالله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، تقول انما اتبعه ضعفة الناس فو الله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف احداً الا الله، ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى ان الملك

والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض في ارض بابل قد فتحت عليهم، قال عدي فلما سمعت ذلك اسلمت» (أورده ابن كثير في البداية والنهاية).

القاعدة الرابعة: التيسير قبل التعسير

لقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام ان نيسر ولا نعسر وان نبشر ولا ننفر فقد ورد عن النبي ﷺ قوله «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» (متفق عليه)، قال النووي «لو اقتصر النبي ﷺ في قوله على «يسروا» لصدق على من يسر مرة وعسر كثيرا»، فلما قال ولا تعسروا فلكي نتجنب التعسير في كل الاحوال» وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن تكليف الناس ما لا يطيقون ليستمر سيرهم في طريق الايمان.

فالداعية المتبع لسنة النبي ﷺ يأخذ نفسه بالعزائم ويسمح للمدعوين بالرخص تخفيفاً عليهم وتيسيرا لهم، قال ﷺ «عليكم بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا» (متفق عليه).

التربية لا التعرية

لقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام من خلال اقواله وافعاله ومواقفه من اصحابه في جميع احوالهم ان الدعوة مهمة تربوية اساسها النفسي الحب الصادق والرحمة الواعية والشفقة الحانية على المدعو، واساسها العقلي المعرفة الدقيقة والعميقة والشاملة لطبيعة النفس الانسانية في قوتها وضعفها، في تألقها وفتورها، في اقبالها وادبارها.

لما تجهز رسول الله لفتح مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة الى اهل مكة يخبرهم بذلك وقال لهم: ان رسول الله يريد ان يغزوكم فخذوا حذركم، ثم ارسل الكتاب مع امرأة مسافرة، فنزل الوحي على رسول الله ﷺ يخبره بذلك، قال علي: فبعثني رسول الله ﷺ انا والزبير والمقداد وقال: انطلقوا حتى تأتوا موضع خاخ فإن به ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى اتينا الروضة، فاذا نحن بالظعينة، قلنا لها أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها -اي من ضفائر شعرها- فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه: من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض امر رسول الله. فقال رسول الله «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله لا تعجل علي، اني كنت امرءاً ملصقا في قريش وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذا فاتني ذلك من النسب فيهم، ان أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام، فقال رسول الله: «انه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال «انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم» (متفق عليه).

انه القلب الكبير والصدر الواسع والمتفهم العميق للحظة ضعف طارئة ألمت بهذا الصحابي وأراد النبي ﷺ من هذا الموقف الرحيم ان يعينه وينهضه من عثرته.

مخاطبة العقل والقلب

علمنا النبي ﷺ من خلال سنته وسيرته ان الانسان عقل يدرك وقلب يحب، وان العقل غذاؤه العلم، وان القلب غذاؤه الحب، وان العقل امير القلب.

لذلك كان النبي ﷺ يخاطب العقل في الانسان، فعن ابي امامة رضي الله عنه ان شابا اتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزنا فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ «قربوه، فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه الصلاة والسلام: أتحبه لامك. قال: لا جعلني الله فداك. قال عليه السلام: كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم. اتحبه لاختك؟ قال لا جعلني الله فداك. قال عليه السلام: كذلك الناس لا يحبونه لاخواتهم، ثم ذكر له العمة والخالة ثم وضع النبي ﷺ يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه» فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا (صححه الألباني).

واذا كانت مخاطبة العقل تحدث قناعة فان مخاطبة القلب تحدث موقفا، لقد خاطب النبي عليه الصلاة والسلام الانصار الذين وجدوا عليه في انفسهم عقب غزوة حنين وتوزيع الغنائم، قال لهم «يا معشر الانصار، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، أوجدتم يا معشر الأنصار في انفسكم من اجل لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم، عندئذ بكى الانصار حتى اخضلوا لحاهم» (متفق عليه).

وهكذا نجد ان للدعوة الى الله قواعد استنبطت من سنة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فهو سيد المربين وامام المعلمين.

قال تعالى ﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

الهوامش

١- الدعوة قواعد واصول. تأليف جمعة أمين عبدالعزيز (ص١٠٩).
٢- المرجع السابق.

الصحافة في فكر رواد النهضة المسلمين

مصطفى عاشور

واجه العالم الإسلامي مجموعة ضخمة من التحديات مع بداية صدمته الأولى بالعالم الغربي إبان الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م، وكانت الأسئلة الأولى مطروحة حول التقدم ووسائل النهوض الحضاري، لكنها لم تكن ضاغطة بالدرجة التي عانى منها المفكرون والمصلحون في القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

ففي منتصف القرن الثامن عشر ظهرت مجموعة من الدعوات الإصلاحية في أطراف العالم الإسلامي بعيدا عن مراكز الثقل الثلاثة في الخلافة العثمانية أو ما يسمى بمحور (استانبول-دمشق- القاهرة) وكانت الحركات التي قامت كلها تجديدية إصلاحية تهدف- في غالبيتها- إلى العودة إلى أصول الدين لتنقيتها، فظهرت في الهند دعوة ولي الدين الدهلوي (ت-١٧٦٢م)، وظهرت في اليمن دعوة الإمام الشوكاني (ت-١٨٢٣م)، وفي العراق الشهاب الألوسي (١٨٥٤م)، وفي المغرب محمد بن علي السنوسي (١٨٥٩)، وفي السودان دعوة المهدي (١٨٨٥م)، فكانت الدعوات الإصلاحية ظاهرة عامة في ذلك الوقت تهدف إلى التجديد وتنقية المعتقد وفتح باب الاجتهاد.

لذا فإن الفكر الإصلاحي- كما يقول المؤرخ المستشار طارق البشري- شيد تحت خط النار، فالأفغاني هو واضع اللبنات الأولى لفكرة مقاومة الاستعمار، أما الإمام محمد عبده فهو واضع النموذج الفكري لما يمكن تسميته مقاومة القابلية للاستعمار، ويبقى لهذين الرائدين الأثر الأكبر في سائر الأعمال والرواد والمدارس والأفكار والمصلحين الذين ظهروا بعد ذلك، والذين كانوا تجليات لهاتين المدرستين الكبيرتين.

وكانت الصحافة من أهم الأدوات التي لجأ إليها المصلحون في تلك الفترة سواء كوسيلة لمقاومة الاستعمار أو وسيلة لبعث روح اليقظة والنهوض والتجديد في نفوس المسلمين، وكان من أهم تلك الصحف وأبرزها صحيفة «العروة الوثقى» التي أصدرها الشيخ جمال الدين الأفغاني والإمام الشيخ محمد عبده، حيث أصدراها من باريس من غرفة صغيرة متواضعة فوق سطح أحد منازل، حيث كانت تلك الغرفة مقرا للتحرير وملتقى الأتباع والمؤيدين.

ولقد أزعجت تلك الصحيفة الإنجليز، وأثارت مخاوفهم كما أثارت هواجس الفرنسيين، إذ كانت تدعو إلى مناهضة الاستعمار والتحرر الوطني، لكن الإنجليز أخمدوا صوتها، فاحتجبت بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا في ثمانية أشهر.

ولكن إدراك الإمام محمد عبده لأهمية الصحافة في إطار المشروع الإصلاحي جعله يغتنم الفرصة للتفاعل مع الصحافة، فعندما أسند إليه تحرير صحيفة «الوقائع المصرية» التي كانت تنشر القوانين المصرية، خصص جزءا منها لينطق بالمبادئ الإصلاحية التي كان يدعو إليها، واستمر على هذا الحال قرابة العام والنصف.

ومن المصلحين الذين لعبت الصحافة دورا في حياتهم الشيخ عبدالعزيز جاويش (١٨٧٦-١٩٢٩م) الذي تولى رئاسة تحرير جريدة «اللواء» الوطنية في مصر، والتي كانت تناهض الاستعمار الإنجليزي، وعندما تولى ذلك المنصب كتب:«باسمك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة ومطيتها الدهان والتلبيس.. وبيمينك اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة، حياة الصراحة في القول، وحياة الجهر بالرأي، حياة الإرشاد العام»، وظلت الصحافة وسيلة مهمة للشيخ جاويش في تبليغ رسالته الإصلاحية، فعندما اضطر إلى مغادرة مصر تحت ضغط الاحتلال الإنجليزي، أنشأ في تركيا صحيفة «الهلال العثماني»، وجعل هدفها الدفاع عن حقوق مصر في الحرية والاستقلال ومناهضة الإنجليز في كل مكان، وبعدها أصدر جريدة «الحق يعلو».

ومن العلامات البارزة في تاريخ الصحافة الإصلاحية الدور الذي لعبه أحمد أمين، الكاتب الكبير، صاحب فجر الإسلام والذي تولى رئاسة تحرير مجلة «الثقافة» في (ذي الحجة ١٣٥٧هـ- يناير ١٩٣٩م) والتي تعد من أهم المجلات الثقافية التي صدرت في تلك الفترة، واستمرت في الصدور أربعة عشر عاما متوالية، وكان يكتب فيها مقالا أسبوعيا في مختلف مناحي الحياة الأدبية والاجتماعية، وكانت ثمرة هذه الكتابات كتابه الرائع «فيض الخاطر» بأجزائه العشرة.

وتأتي مجلة «المنار» التي أنشأها الشيخ رشيد رضا كأهم مجلة إصلاحية، بل كانت مجلة تعبر عن تيار إصلاحي كان له أكبر الأثر في حياة المسلمين، فلم يكد يمضي شهر على نزول الشيخ رشيد رضا القاهرة قادما من الشام، حتى صارح شيخه محمد عبده بأنه ينوي أن يجعل من الصحافة ميدانًا للعمل الإصلاحي، ودارت مناقشات طويلة بين الإمامين الجليلين حول سياسة الصحف وأثرها في المجتمع، وأقنع رشيد شيخه بأن الهدف من إنشائه الصحيفة هو التربية والتعليم،

● صحفي مصري

ونقل الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والخرافات والبدع، وأنه مستعد للإنفاق عليها سنة أو سنتين دون انتظار ربح منها.

أما العلامة عبدالحميد بن باديس في الجزائر فقرر أن يقاوم الاستعمار بأساليب عدة من بينها الصحافة، وكانت الصحف التي يصدرها أو يشارك في الكتابة بها من أهم وسائله في نشر أفكاره الإصلاحية، فأصدر جريدة «المنتقد» سنة(١٣٤٥ هـ- ١٩٢٦م) وتولى رئاستها بنفسه، لكن الاحتلال عطّلها، فأصدر جريدة «الشهاب» واستمرت في الصدور حتى سنة (١٣٥٨هـ-١٩٣٩م) واشترك في تحرير الصحف التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثل «السنة» و«الصراط» و«البصائر».

وفي الشام نجد العلامة محمد كرد علي الذي عُهد إليه بتحرير مجلة الشام الأسبوعية، وهي أول مجلة تظهر في دمشق في بداية العشرينيات من عمره، فعمل بها إلى سنة(١٣٢٦هـ- ١٩٠٨م)، ثم أنشأ بعد ذلك جريدة يومية باسم «المقتبس» كما أعاد إصدار مجلة المقتبس الشهرية التي كان قد أصدرها بالقاهرة، لتكون لسان حال الثقافة الرفيعة، وكانت الجريدة اليومية «المقتبس» صوت حرية وسوط عذاب على الظلم والاستبداد، وكانت مقالاته تحارب الجهل والجهلاء، وتدعو إلى التحرر من الخرافات، وتنادي بالإصلاح والتجديد، والأخذ بوسائل المدنية الحديثة، وإحياء التراث النافع، ومعرفة التاريخ المجيد للأمة، حتى تستلهم منه روح البعث والنهوض.

وعندما أنشئ «المجمع العلمي العربي» للنهوض باللغة العربية وآدابها، وهو أول المجامع اللغوية ظهورا، أنشأ له مجلة رصينة، صدر العدد الأول منها في(٢١ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٩هـ- ٢ من يناير ١٩٢١م) وتعد من أهم المجلات العربية.



المهمة الأولى للصحافة الإصلاحية تجلت في مقاومة الإستعمار وبعث روح اليقظة والنهوض والتجديد في نفوس المسلمين

وفي الهند نجد المصلح الهندي الكبير أبوالكلام آزاد الذي كان يسميه الزعيم الهندي نهرو صاحب الإمامتين- إمامة الدين وإمامة السياسة- والذي تأثر بمنهج الشيخ رشيد رضا ومجلته المنار، وأدرك دور مجلة العروة الوثقى في إلهاب شعور المسلمين ضد الاستعباد والاستبداد، فأصدر مجلة «الهلال» التي اتخذها منبرا لدعوة المسلمين إلى التحرر العقلي والسياسي، وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية حتى يفهمه المسلمون في الهند، ولا يعيشوا في عزلة عن معانيه.

وصدرت الهلال أسبوعية، وصدر عددها الأول من «كلكتا» في (٢٦ من جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ- ١٢ من يونيو ١٩١٢م) وأنشأ مطبعة خاصة لها، وحققت قبولا واسعا في أوساط المسلمين، وبلغت كمية توزيعها٢٥ ألف نسخة أسبوعيا، وكانت نقطة تحول في تاريخ الصحافة في الهند، وفي واقع المسلمين، فكانت مدرسة في التدين القويم والوطنية والحرية. ولم يستطع الإنجليز أن يسكتوا طويلا عن النهضة الفكرية والروحية التي أحدثتها «الهلال» فقرروا إغلاقها في (شعبان ١٣٣٣هـ- يونيو ١٩١٥م) لكن آزاد لم يحطم قلمه، ولم ينكسر قلبه العاشق للحرية، فلم تمض شهور قليلة حتى أصدر مجلة «البلاغ» في (٤ من المحرم ١٣٣٤هـ- ١٢ من نوفمبر ١٩١٥م) لكن سرعان ما أغلقت بقانون الطوارئ بعد أشهر عدة من صدورها.

وفي الهند نجد-أيضا- المصلح الكبير أبا الأعلى المودودي الذي اشترك مع مدير جمعية علماء الهند في إصدار جريدة «مسلم» في دلهي، وصار مديرًا لتحريرها لمدة ثلاث سنوات حتى أغلقت عام (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢م) ثم تولى الإشراف على إصدار جريدة تصدرها جمعية علماء الهند تحمل اسم الجمعية، وظل يتحمل وحده عبء إصدارها حتى سنة (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨م)، وفي عام(١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) أصدر مجلة «ترجمان القرآن» من حيدر آباد الركن، وكان شعارها «احملوا أيها المسلمون دعوة القرآن وانهضوا وحلقوا فوق العالم».

وفي روسيا نجد المصلح التتري اسماعيل كسبرالي (المتوفى ١٩١٤)، حيث آمن كسبرالي بدور الصحافة في تشكيل وعي الأمة فسعى إلى إصدار صحيفة تعرض لأفكاره الإصلاحية، رغم أن المسلمين التتر يعانون ضعف المستوى التعليمي وانتشار الأمية.

وكان هدفه تقديم الصورة الواقعية للثقافة الروسية أمام المسلم، وتقديم الصورة الحقيقية للمسلم أمام القارئ الروسي، واختار للصحيفة مسمى «بيريفوتشيك» كعنوان للطبعة الروسية و«ترجمان» كعنوان للطبعة التركية، وكلاهما يعني المترجم وهو ما يمهد لبناء ثقافة للتقارب.

واستعان كسبرالي بالتجار للمساهمة معه في إصدار الصحيفة، ولذا رحل إلى المركز التجاري الأكبر في روسيا «نجني نوفجورد» وهو المركز الذي يأتيه التجار من كل أطراف روسيا وجلهم من التتر المسلمين، ووافق ٢٥٠ تاجرا منهم على دفع اشتراك عام مقدم، واستطاع الحصول على تصريح بالصحيفة، وخرج العدد الأول من صحيفة «الترجمان» في(١٠ إبريل ١٨٨٣م) ومضت السنوات الأولى للترجمان في حالة عدم استقرار مادي، غير أن زوجته(زهرة هانم) وقفت إلى جانبه مستندة إلى أموال أسرتها.

إصلاح المؤسسات التعليمية وأجهزة البحث العلمي قاطرة التقدم للعرب والمسلمين

أ.د. محيي الدين عبد الحليم

كيف يمكن أن يسهم التعليم في تنمية المجتمع العربي في غيبة مؤسسات قادرة على بناء الانسان؟ ودون تهيئة مناخ مناسب لتحقيق هذه الغاية؟ ذلك أنه باستعراض مستوى المعلمين والدارسين لدينا، فاننا سنصاب بالاحباط واليأس بسبب تدني مستوياتهم الفكرية وقدراتهم الذهنية وأوضاعهم الثقافية.

وقد أصابني حزن شديد حين تم توجيه سؤال لمدرس لغة عربية عما يعرفه حول الازمة الاقتصادية الحالية التي تسود العالم، فقال لي «رحم الله امرؤ عرف قدر نفسه»، بضم الراء والواو، وأجاب معلم آخر عن سؤال حول حديث لرسول الله ﷺ حث فيه المسلمين على طلب العلم، فقال «اطلبوا العلم حتى الممات»، أما معلومات معظم خريجي الجامعات والمعاهد في كثير من ميادين العلم والمعرفة التاريخية والجغرافية والعلمية فحدث ولا حرج، إنهم لا يعرفون شيئا عن الخلايا الجذعية والجينات البشرية، والمواقع التاريخية، والقارات التي تضم دولا اسلامية كالصومال وموريتانيا وألبانيا، والقائد الذي حرر القدس من الاحتلال الصليبي صاحب معركة حطين، إن معظمهم يجهل هذه المعلومات، في حين انهم يعرفون المطربين ونجوم كرة القدم حق المعرفة.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو، لماذا تخلف احفاد الخوارزمي وجابر بن حيان وابن بطوطة والحسن بن الهيثم في ميادين الثقافة والمعرفة والبحث العلمي؟ وما الذي اصاب العقول العربية؟ لماذا تجمدت هذه العقول أمام ثورة العلوم والتكنولوجيا؟ ولماذا نستورد طعامنا ولباسنا؟ ونعتمد على المنتج الأجنبي في حين أننا نملك الثروات الهائلة والأراضي الواسعة، والأنهار التي تتدفق عبر أراضينا، والينابيع التي أنعم الله بها علينا، والثروة البشرية الهائلة التي تجاوزت ٢٥٠ مليون نسمة، هذا في الوقت الذي نرى فيه إسرائيل تصدر الفواكه والخضروات والالكترونيات، كما تمتلك المفاعلات النووية، ومساحتها لا تصل الى ربع مساحة السودان او الجزائر او ليبيا.

فهل يليق بنا وقد عبرنا بوابة القرن الواحد والعشرين أن نرى معلماً للتاريخ لا يعرف المواقع والأحداث والشخصيات التي غيرت وجه الحياة في العالم، هذا في الوقت الذي تؤكد فيه الأبحاث العلمية أن المعارف التي يتم غرسها في عقول التلاميذ تختلط بدمائهم وتصبح جزءا من مكونات شخصيتهم ويصعب انتزاعها منهم، ومن ثم فإنه لا يمكن إذن أن ننهض بالعملية التعليمية في ظل قيادات جاهلة أو معلمين فقدوا الضمير الانساني والانتماء الوطني والملكة التدريسية.

لقد أصبح التعليم في كثير من المؤسسات المنوطة به تجارة رائجة تقوم على الابتزاز والسلب والنهب، فما الذي ننتظره من معلم جاهل أو مناهج متخلفة أو كتاب مدرسي أو جامعي يقوم بتسطيح المعارف والأفكار، أو يتم فرضه على الطالب، فيحصره في مساحة ضيقة من المعلومات المتواضعة التي تقتل فيه ملكة الابتكار والإبداع بدلا من أن تفتح أمامه آفاق الحياة المعاصرة في مختلف الميادين! إنه لا يحب الاتصال برواد الفكر والمعرفة وقادة الرأي، وهكذا نرى أن التعليم اصبح يقوم على الحشو والحفظ واختزان المعلومات النمطية، وقد أصبح نظام الامتحانات يصيب الدارس بالرعب كلما اقترب موعده كأنه سيف مسلط على الرقاب.

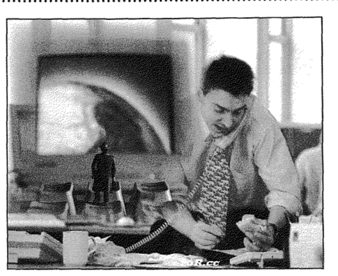
والأخطر من ذلك هو خضوع العملية التعليمية لسياسات تستهدف إرضاء صناع القرار حتى لو أدى ذلك الى قتل الابداع واجهاض الفكر وتعطيل ملكة الاجتهاد والرأي، في حين ان الاصل في التعليم تهيئة الطالب للعمل القيادي من خلال مناهج دراسية تمكنه من مواجهة الحياة بكل ابعادها، وتمكنه من تناول قضايا المجتمع بالأسلوب العلمي بدلاً من أسلوب الحفظ والتلقين الذي يصبّ الطالب في قوالب جامدة وأساليب عتيقة تجاوزها الزمن، أو تقوم بتقليد أنظمة تعليمية أجنبية، ونقلها دون تدبر أو تبصر، ودون النظر الى مرجعية المجتمع الذي يعيش فيه الدارسون، والعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تحكم شكل الحياة لديهم بدلا من الانظمة الحالية التي تلعب حول الحواشي والمتون، وهي أنظمة تعيش في غرف مغلقة بعيداً عن الواقع.

وإذا كنا نتطلع الى تطوير التعليم الديني فإن مناهجه لا بد ان تواكب معطيات العصر وثورة العلوم والتكنولوجيا، كما ان تطوير التعليم المدني لا بد ان يشتمل على دراسة العقيدة والتراث وأصول الفقه وتفسير القرآن وعلوم الحديث والمذاهب الفقهية، وهي مواد لا تحتل أهمية تذكر في المناهج التعليمية، وذلك لمواجهة التعليم الأجنبي الذي ينتشر بصورة وبائية في العالم العربي، هذا اللون من التعليم الذي يغرس في الطالب الانتماء الى الثقافة والتراث، أما اللغات الأجنبية بكل ما تحمل من مفاهيم وأفكار

فإنها لا تربط الطالب بالثوابت القومية والعقيدة الإسلامية ومرجعية الأمة.

وتشير الدراسات العلمية الى ان التعليم هو قاطرة التمية، وهو الطريق الامثل لصياغة حاضر العرب ومستقبلهم في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية شتى، وهو عماد النهضة والتقدم، والدعامة الأساسية لبناء الفرد وبناء الأمة، فهو الذي يأخذ على عاتقه تأهيل الكوادر البشرية القادرة على مواكبة متغيرات العلوم، والتعامل مع المتغيرات المتلاحقة التي ترد العالم، كوادر تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتمتلك مهارات التعامل مع مجتمع واقتصاد المعرفة، وقادرة على التفكير العلمي الخلاق مع الحفاظ على الهوية الفكرية والثوابت الدينية والثقافية.

وهذا يعني أنه لا بد من إعادة النظر في نظام تعليمي في العالم العربي يقدم نماذج رائدة من خلال تهيئة المناخ المناسب لذلك، وتوفير كوادر مرتفعة الجودة، وإعداد دارسين قادرين على المشاركة الفاعلة في مجتمع تسوده الحرية والديموقراطية والعدل الاجتماعي، وهنا يأتي تدريب المعلمين وتأهيلهم وتحديث قدراتهم في مقدمة أولويات النهوض بالعملية التعليمية لإثراء البحث العلمي، ودفع عجلة الحياة للأمام، انطلاقا من أن التعليم هو المحضن الذي تنمو فيه الملكات الشابة، لأن المتعلمين هم قادة الغد الذين يقع عليهم عبء النهوض بالمجتمع العربي وتغيير أنماط الحياة فيه واجراء البحوث العلمية التي تتناول قضايا الأمة ومشاكل الجماهير وتعمل على حلها، ذلك أن البحوث العلمية هي بمثابة



هل يليق بالأمة أن ترى معلماً للتاريخ لا يعرف المواقع والأحداث والشخصيات التي غيرت وجه الحياة في العالم ؟!

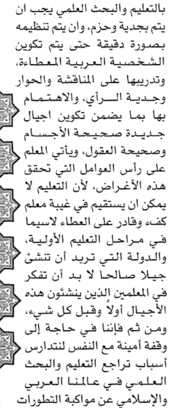
مصابيح يهتدي بها صناع القرار في مختلف مواقع العلم والانتاج لإعداد الخطط ورسم البرامج وسن القوانين واتخاذ القرارات، ولن يتحقق ذلك الا اذا انتقلنا بالعملية التعليمية من مرحلة التلقين والاجتهاد والارتزاق الى مرحلة الإبداع والابتكار وتحقيق الافادة من المستجدات العصرية والثورة التقنية، وإيجاد بيئة صالحة للابتكار تجذب الموهوبين والمبدعين، لا بيئة طاردة للنوابغ والمتفوقين، لأننا اذا كنا نشحذ الهمم للحفاظ على التراث العربي والثوابت العقدية فإن هذا لا يعني الجمود والتوقف دون تطوير أو إبداع.

وتأسيسا على ذلك و المنظومة التعليمية في الوطن العربي في حاجة الى تغيير وثورة شاملة في جميع عناصر هذه المنظومة (المعلم، والكتاب، والمنهج، والطالب، والخطط، والسياسات، ونظام الامتحانات، والمعامل، والمكتبات، والنشاط المدرسي، والأبنية التعليمية) فكلها بمنزلة نسيج واحد يجب ان تتناغم وتتكامل مثل اعضاء الفرقة الموسيقية التي تعزف نغماً متناسقا.

وتؤكد كل الدلائل والبراهين ان قوة الدول تتحقق من خلال المنظومة التعليمية السليمة، التي تفرز الباحثين الأكفاء في مختلف المجالات، وتتوافق مع غيرها من المنظومات لكي تشكل حلقات متكاملة ذات ارتباط وثيق بعضها ببعض، ذلك ان البحث العلمي هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق الرفاهية، وهذا يتطلب مواجهة مشاكل ضعف الكوادر البحثية، واعادة النظر في الموارد المخصصة للبحث العلمي، والاهتمام بالتدريب والتنمية البشرية، والمتابعة المستمرة للتطورات العلمية والتكنولوجية التي تسود العالم اليوم بهدف توفير وتحديث البيانات اللازمة في مختلف المجالات، وتخفيض الفاقد في مختلف منظمات المجتمع وعدم الخلط بين العلوم التطبيقية والطبية والاجتماعية والهندسية والزراعية وغيرها.

وفي الحقيقة فإن اصلاح التعليم والبحث العلمي يتطلب الصبر والايمان والثقة في الله وفي النفس، ووضوح الرؤية والهدف، والعمل على فتح قنوات علمية مع الدول التي سبقتنا في هذا المضمار، واعداد استراتيجية متكاملة للتعليم والبحث العلمي، وتقديم رؤية واضحة له، وتشجيع شباب الباحثين على المناقشة ونقل التكنولوجيا، واصلاح الادارات القائمة على العملية التعليمية، وانشاء وحدات للتطوير، واقامة قاعدة بيانات احصائية تكون في متناول الباحثين وصناع القرار.

وتأسيسا على ذلك فان الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي يجب ان يتم بجدية وحزم، وان يتم تنظيمه بصورة دقيقة حتى يتم تكوين الشخصية العربية المعطاءة، وتدريبها على المناقشة والحوار وجدية الرأي، والاهتمام بها بما يضمن تكوين اجيال جديدة صحيحة الأجسام وصحيحة العقول، ويأتي المعلم على رأس العوامل التي تحقق هذه الأغراض، لأن التعليم لا يمكن ان يستقيم في غيبة معلم كفء وقادر على العطاء لاسيما في مراحل التعليم الأولية، والدولة التي تريد أن تنشئ جيلا صالحا لا بد أن تفكر في المعلمين الذين ينشئون هذه الأجيال أولاً وقبل كل شيء، ومن ثم فإننا في حاجة إلى وقفة أمينة مع النفس لنتدارس أسباب تراجع التعليم والبحث العلمي في عالمنا العربي والإسلامي عن مواكبة التطورات المتسارعة في عالم اليوم.



دور المعرفة والتغيير



عبدالسلام فارع الشيباني

كثيرا ما يضطرب الفهم وتشوش الرؤية عند الحديث عن المفاهيم الكلية المتداخلة (العقيدة- الشريعة- الفقه) وذلك بسبب الخوض فيها دون منهج واضح، أو بسبب لا يعدو كونه انفجارا عاطفيا، بدافع الخوف على الملة، وذلك لأن العقيدة هي ما يتبقى للإنسان بعد أن يفقد كل شيء، وبذا فهو يتشبث بها ولا يسمح بمسها ولو بهدف إجلائها لمن يجهلها في المقام الأول، وكما قيل الإنسان عدو ما يجهل، وعندما يجهل الانسان ذاته أو عقيدته فإنه يعادي كل شيء ويخشى كل شيء، وإذا ما بدأ الإنسان المحاولة (المغامرة) في الكشف عن بعض رموز ما يجهل انتابه القلق، لأن أول ما يكشف له ليس ما كان يجهل بل صعوبة الطريق (طريق المعرفة)، إذ يجد أن هذا السبيل محفوف بالمخاطر، وأنه يحتاج لتضحيات جسام أقلها التخلي عن جزء من المعتقدات التي ترسخت في الذهن والاعتراف بالآخر والتحاور معه، وتجاوز المألوف ومواجهة العرف السائد، وأسوأ ما يبرز في حياتنا الثقافية والفكرية هو افتراض سوء قصد الآخر الذي يؤدي إلى الريبة بكل ما يطرحه لمجرد اختلاف الفهم حول قضية من القضايا، الأمر الذي ينذر بعقم ذلك الحوار مع العلم أن وجهة النظر أو الرأي في أي قضية اجتهادية لا يكون محض صواب أو محض خطأ، ولكنه يقترب من أحدهما كلما بعد عن الآخر، أخذاً من المسلمة القائلة «من لديه الأكثر من شيء لديه الأقل من نقيضه»، ومحض الصواب هو ما أوحى به الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام.

وإذا كنا نرى الإسلام في مجمله شريعة وعقيدة وفقها وفكرا، فإنه لا يمكن الفصل بينها طوعاً أو كرهاً إذ هي كالغرسة التي هي بمجملها كيان واحد، جذورها العقيدة، وساقها الشريعة، وزهرها الفكر والفقه، أما ثمرتها فهي السعادة الإنسانية في الدنيا والآخرة، ومصدر غذائها الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

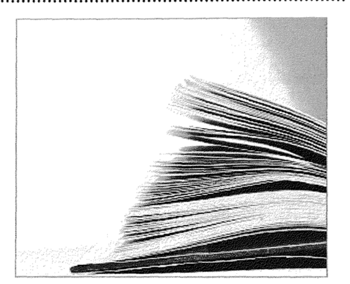
والدين ليس هو العقيدة بذاتها، بل هو عقيدة وفكر وسلوك يعكس في الواقع مفاهيم العقيدة، شريعة وفقها تشريعيا، وفكرا من أجل تنظيم شامل للحياة، ومن اجل ذلك أناط الخالق عز وجل جزءا من تنظيم الحياة للإنسان ذاته، على ضوء المنهج القويم المبينة خطوطه العامة في القرآن الكريم وهدي السنة النبوية، وتعلم الصحابة- رضوان الله عليهم- على يدي رسول الله ﷺ استنباط الأحكام الشرعية بالاعتماد على القرآن والسنة، ومع اتساع رقعة الدولة كان لابد من ابتكار قانون ينظم عملية الاستنباط والقياس على ضوء منهجية صارمة لا يحيد عنها العالم المجتهد، وهو ما تم فعلاً، على يد الإمام الشافعي الذي أسس علم أصول الفقه في أواخر القرن الثاني الهجري، وعلم أصول الفقه هو علم عملي تشريعي، تُستنبط به التشريعات والقوانين وفق منهج محدد، يرتكز على الاجتهاد بمضمونه الذي هو مصالح الناس والغرض منه تحقيق الفضيلة، أما أداته فالعقل المجتهد.

> المدخل الصحيح لتنوير جمود وركود الأمة ... اعتماد الشورى منهجاً في اتخاذ الرأي

ولقد ظل الاجتهاد لعدة قرون محصورا في فضاء محدود هو أصول الفقه من أجل استنباط الأحكام الشرعية عند غياب النص، واليوم يفرض علينا الواقع نهجاً يتمثل في توسيع مجال الاجتهاد بحيث يغدو منظومة كلية للفكر والسلوك، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال رفده بالمنهج العلمي أو رفد المنهج العلمي به.

وبالنسبة للقائلين بحرية المسلم في الاقتداء والتقليد لأي من المذاهب الإسلامية فيختار ما يشاء مما يشاء، فهو قول يحتاج لوقفة ثابتة ونظرة ثاقبة ذلك أن حرية الاختيار كقاعدة من قواعد العقيدة الإسلامية قد وجهت في هذا الموضوع توجيهاً سلبياً ارتداديا بحيث قد تتصادم في المحصلة النهائية مع مقاصد الشريعة، وبالذات عند من يجهلون طبيعة المنهج الفقهي عند الفقهاء، على الأقل في ضوء الفهم الحالي للاقتداء والتقليد، كما أن القول بأن القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية هي المذهب الملائم، فيه مغالطة وفساد في الرأي، أما القول بالمذهب الفقهي الجامع من خلال التقريب بين المذاهب فهو اعتراف بالعجز عن تقديم رؤية جديدة

● باحث إسلامي يمني





أو ابتكار منهج مستحدث يلبي متطلبات هذا العصر، رغم الاعتراف الضمني من أنصاره بقصور أداء كل مذهب على حدة في الاستجابة للمشاكل المعاصرة، فالزهور تفقد جاذبيتها إذا نزعت من أشجارها ووضعت في مزهريات جامدة، فالأحرى أن نغرس أشجاراً جديدة في حقول حديثة تحيط بالحقول القديمة بحيث يكون آخر أفق الحقل القديم هو بداية أفق الحقل الجديد.

وليس عسيراً الاستدلال على هذا المبدأ بحكمة الله في إرسال الرسل على فترات لهداية الناس إلى الحق كلما استشرى الباطل وعم الفساد، والثابت اختلاف الخطاب لكل رسول بحسب الواقع والعلاقات بين أفراد وفئات الجماعة التي يرسل إليها، ودرجة الوعي بالتناقضات التي تبرز بين صفوف الجماعة، وتكون المعجزات الحسّية براهين دامغة، بخلاف الرسالة الخاتمة التي اعتمدت على البراهين العقلية بصورة عامة تقريباً، وهذا راجع إلى أن الإنسانية بهذه الرسالة بلغت الرشد والنضج العقلي، وخاطبت هذه الرسالة الإنسان كمخلوق كوني ناضج، إذا أراد أن يهتدي فإن عليه أن يتبع الحق وذلك بتحكيم العقل، وإن أراد النقيض (الضلال) فلن يعوزه النقيض (الهوى).

ومن هذا المنطلق وعطفاً على ذلك المبدأ فإن الحرية كمدخل منطقي للاجتهاد أحد ثوابت العقيدة، تظل جوهرة بيد فحّام ﴿فما رعوها حق رعايتها...﴾ (الحديد: ٢٧)، وكما أن القيود والقهر يفضيان لا محالة إلى الهروب من الواقع والانعزال والرهبنة في مخابئ اليأس والتعلق بالأماني، فإننا أمام اختيار صعب.. فإما أن نقبل بالحالة الثقافية والفكرية السائدة اليوم، أو أن نفسح الطريق للمقبل غدا.

وهذا الاختيار لن يتم بمعزل عن حقائق الواقع الداخلي للأمة، وكذا التحديات التي تفرض عليها من خارجها، وحتى الذين ينزعون إلى التشبث بالحالة الراهنة بدافع الخوف من الانزلاق وانهيار ما تبقى من القيم الدينية للمجتمعات المسلمة إنما يفعلون ذلك من باب الخوف على المصالح الشخصية أو بسبب انعدام الرؤية وعدم الشعور بالحراك المتعاظم من حولهم، إنهم يؤثرون السلامة بالبقاء في صوامع العبادات المفروضة معتقدين أنها الدين كله، غير مدركين أن الآخرين الرافعين لشعار صراع الحضارات يسعون لجعل جميع المسلمين في هذا النطاق من خلال ما يسمى بالعمل على قيام ثورة تنويرية للمسلمين، كما حدث للمسيحيين في القرن السادس عشر، وجعل الدين في حدود السلوك الفردي من حيث أداء الصلوات والصيام فقط.

إن التمسك بأداء العبادات البدنية والمالية المفروضة على المسلمين ينبغي أن يكون هو الأساس وليس النهاية أو الغاية، وذلك بتعليم المسلم الترابط الوثيق بين الصلاة في المسجد والتعامل في السوق من حيث إن كلاً منهما عبادة لله تعالى، وكذلك الأمر في الحياة العامة اجتماعياً وسياسيا... الخ فلابد من اعتماد القاعدة الأساسية التي تنظم الكيفية التي تسير عليها أمور المسلمين وهي قاعدة الشورى، فقد بيّن الله عزّ وجل في كتابه الكريم شمولية هذه القاعدة من أدنى مراتب التعامل بين المسلمين حينما ربط استمرار إرضاع المولود أو الفصال- أي فطامه- على أساس التشاور بين الأبوين وهما طرفا العلاقة على الرغم من انتفاء رباط الزوجية بينهما، قال الله تعالى ﴿فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما...﴾ (البقرة:٢٣٣)، ومن ثم يستمر تصاعد اعتماد هذه القاعدة حتى يصل إلى أعلى مراتب إدارة الدولة، وهي أمور السلم والحرب حينما يقول الرسول ﷺ في غزوة بدر «أشيروا علي أيها الناس» متمثلاً قول الله تعالى ﴿وشاورهم في الأمر...﴾ (آل عمران: ١٥٩) وكذا قوله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى:٣٨) فهذا هو الحق الذي يجب الاعتماد عليه وليس الاستبداد والتفرد بالرأي، بل هو المدخل الصحيح لتثوير الجمود والركود الذي ابتليت به أمة الإسلام منذ أكثر من قرن من الزمان.

تنمية التجارة البينية بين الدول الإسلامية

أصبحت الحاجة إلى تحقيق المزيد من عمليات التجارة البينية بين الدول الإسلامية- بوابة التكامل الاقتصادي- هدفا استراتيجيا وضرورة تفرضها التطورات الاقتصادية العالمية في ظل مناخ العولمة الاقتصادية وما نتج عنها من بروز كيانات ومصالح اقتصادية دولية لا تلتفت إلى الكيانات الصغيرة والهامشية، وتعطي الأولوية للتكتلات الاقتصادية التي تستطيع الصمود في وجه المنافسة العالمية في مختلف المجالات الاقتصادية.


د.مصطفى عبد السلام

إن تحقيق حلم السوق الإسلامية على أرض الواقع يلبي تطلعات وآمال دول المجلس المتعلقة بتفعيل المواطنة الخليجية سواء في التنقل أو العمل أو التعليم أو الخدمات الاجتماعية فضلا عن أن إنشاء السوق المشتركة من شأنه أن يعزز دور المجلس وقدراته على التفاوض في ظل التطورات والتكتلات الاقتصادية العالمية، ويأتي التوجه نحو السوق الخليجية المشتركة في إطار اهتمام دول مجلس التعاون بالعمل على تعزيز وتطوير المجال التجاري بصفة عامة بما يعود بالنفع على مواطني دول المجلس، استفادة من حجم النتائج الايجابية التي تحققت ومنها ارتفاع حجم التجارة البينية.

ويعد العمل الاقتصادي من أهم المجالات التي يمكن من خلالها توحيد الدول والشعوب الإسلامية والانتقال بها من مجرد التعاون والتنسيق إلى مراحل متقدمة من التكامل والوحدة الاقتصادية التي أضحت ضرورة حتى يستطيع المسلمون إيجاد موطئ قدم لأنفسهم في هذا العالم، فالدول الصناعية والنامية تنتظم في تكتلات إقليمية وترتيبات تجارية جماعية، بغرض توفير بيئة أكثر ملاءمة لنموها الاقتصادي، والتكيف مع التغيرات العالمية التي تتجه نحو المزيد من التحرير الاقتصادي والعولمة وترابط المصالح بين الدول، ومن شأن هذه التغيرات العالمية أن تفضي إلى زيادة حدة المنافسة في الأسواق الدولية، الأمر الذي يفرض على الدول الإسلامية العمل بجدية لتوسيع وتطوير أسواقها وزيادة قدراتها التنافسية.

مفاهيم مرتبطة بالتجارة البينية

يتم تصنيف الدول الإسلامية ضمن مجموعة البلدان النامية، فهي تعاني من التخلف والتبعية، والنشاط الاقتصادي فيها متعثر، لذلك فان التجارة البينية بين الدول الإسلامية يمكنها أن تؤدي إلى نجاح منظومة التكامل الاقتصادي بينها ما يؤدي إلى تحسين مستوى الأداء الاقتصادي والنهوض باقتصاداتها، ومن ثم قد يشكل تهديداً للمصالح الاقتصادية للدول الصناعية المتقدمة التي ترغب أن تبقى الدول الإسلامية سوقا لتصريف منتجاتها وموردا لمصادر للطاقة والمواد الخام.

ويبلغ عدد الدول الإسلامية المنضوية تحت منظمة المؤتمر الإسلامي حالياً ٥٧ دولة، وتمتد في أربع قارات، من ألبانيا في الشمال (أوروبا)، وموزمبيق في الجنوب (إفريقيا)، وجيانا في الغرب (أميركا اللاتينية) إلى إندونيسيا في الشرق (آسيا)، وتحتل الدول الإسلامية ١٦,٧٪ من مساحة العالم، ويبلغ عدد سكانها نحو ٢٠٪ من سكان العالم، وبذلك تعتبر منظمة المؤتمر الإسلامي أكبر منظمة دولية بعد هيئة الأمم المتحدة (١).

وحسب تصنيف البنك الدولي فإن جميع الدول الإسلامية تعد دولاً نامية، وتتفاوت في أوضاعها الاقتصادية وهياكلها الإنتاجية تبعاً للتباين في مستوياتها التنموية وأدائها الاقتصادي (٢).

واقع حجم التجارة البينية بين الدول الإسلامية

ترتبط العلاقات التجارية لدول منظمة المؤتمر الإسلامي بجهات محدودة جدا من حيث الصادرات والواردات معا، فالتجارة الخارجية للدول الأعضاء موجهة لعدد محدود من الشركاء، وغالبا ما يكون هؤلاء الشركاء من الدول الصناعية المتقدمة، وفي مقدمتهم المجموعة الأوربية، واليابان والولايات المتحدة الاميركية، وتتراوح حصة هؤلاء الشركاء في التجارة الخارجية للدول الإسلامية ما بين ٤٠٪ إلى ٩٤٪ للصادرات، وما بين ٤٠٪ إلى ٨٠٪ بالنسبة للواردات، وقد قدم كوزنتس Kuznets تفسيرا لهذه الوضعية باستخدام مفهوم «حجم الأمة» Size of Nation وهو أن الحجم الصغير- كما في حالة معظم الأقطار الإسلامية- يشكل بحد ذاته قاعدة لتبعية القطر للخارج، وذلك لأن الموارد الطبيعية للبلد الصغير تكون عادة محدودة وإنتاجه ومبادلاته، ومصادر تمويله تكون محصورة في عدد قليل من العملاء والموردين، وينحصر هؤلاء العملاء والموردون في الشركاء الكبار من الدول الصناعية، خاصة في ظل عدم وجود تكتل اقتصادي إسلامي يمكن أن يكون عوضا عن زيادة

معدلات التجارة البينية بين الدول الإسلامية والدول الغربية (٣).

أما حصة التجارة المتبادلة بين الأقطار الإسلامية بالنسبة إلى مجموع صادراتها فهي ضئيلة للغاية، ففي العام الذي تأسست فيه منظمة المؤتمر الإسلامي (١٩٦٩م) لم تتجاوز ٥,٩٪، ولم تتجاوز ١٣٪ عام ٢٠٠٧م (٤).

هيكل التجارة البينية حسب توزيع السلع

بالنظر إلى هيكل التجارة الإسلامية البينية يتبين أن صادرات المحروقات (البترول ومشتقاته) شكلت القاسم الأكبر من هذه التجارة، حيث مثلت ٦٪، تليها صادرات المواد الغذائية بنسبة ١٩٪، ثم المواد الأولية الأخرى ذات المنشأ الحيواني والنباتي والمنجمي بنسبة ٣٦٪، وتعتبر السعودية والإمارات وليبيا والكويت وإيران أهم الدول الإسلامية في تصدير المحروقات إلى بقية الدول الإسلامية، حيث تصدر٨٢٪ من هذه النوعية من السلع إلى الدول الإسلامية(٥).

أما بالنسبة لمصدري المواد الغذائية فنجد ماليزيا وسوريا وباكستان وإندونيسيا والسعودية وتركيا، حيث تصدر ٦٢٪ من هذه النوعية من السلع إلى الدول الإسلامية، وتعتبر كل من ماليزيا ولبنان وسوريا والبحرين وبنجلاديش وإيران أهم الدول المصدرة للمواد الأولية الأخرى ذات المنشأ النباتي والحيواني والمنجمي إلى بقية الدول الإسلامية الأعضاء، حيث تستأثر هذه الدول بتصدير ٦٥٪ من هذه النوعية من السلع إلى بقية الدول الأعضاء(٦).

ومن أهم إيجابيات التجارة البينية للدول الإسلامية أن الصادرات البينية من السلع المصنعة وصلت إلى ١٦ مليار دولار ممثلة ٤٢٪ من إجمالي الصادرات البينية للدول الأعضاء، وتعتبر أهم الدول الإسلامية في تصدير السلع المصنعة تركيا وماليزيا وإندونيسيا والسعودية وباكستان، حيث تستحوذ هذه الدول الخمس على ٦٣٪ من صادرات السلع المصنعة داخل الدول الإسلامية الأعضاء، وهو ما يعني تزايد اعتماد الدول الإسلامية الأعضاء فيما بينها على صناعاتها الداخلية، وهو مؤشر إيجابي لتحرير الدول الإسلامية من الاعتماد على الصناعات في الدول المتقدمة، وأهم السلع المصنعة في التجارة البينية الإسلامية الآلات ومعدات النقل والمواد الكيماوية(٧).

العامل الديني يلعب دوراً كبيراً في تآزر الدول الإسلامية من أجل التكامل الاقتصادي ومواجهة التحديات المشتركة التي تفرضها الظروف العالمية

المعوقات والتحديات التي تواجه التجارة البينية الإسلامية

من أهم مشكلات الوصول إلى أسواق الدول الإسلامية الحواجز الجمركية، وغير الجمركية، ونقص التمويل التجاري، والحواجز المؤسسية، وقصور البيانات الأساسية، ونقص المعلومات والموارد البشرية الماهرة، إضافة إلى صعوبات تأشيرات الدخول.

أسباب ومبررات التكتل الاقتصادي

١- التكيف مع عولمة الاقتصاد والاستجابة لتحدياتها التجارية والإنتاجية والتقنية، فالتقدم التقني أدى إلى الزيادة الإنتاجية كمًا ونوعا، مما ضاعف من حدة المنافسة الدولية في تسويق هذه المنتجات، ولا تستطيع الدول الإسلامية متفرقة- باعتبارها دولاً نامية- تنمية صادراتها بغير التعاون فيما بينها، وإقامة سوق مشتركة ومناطق تجارة حرة وتجمعات إقليمية، والانتظام في تكتل اقتصادي كبير.

٢- مواجهة التجمعات الاقتصادية المتنافسة على الأسواق الدولية، والتي سيتعاظم تأثيرها ويقوي نفوذها في العالم، وهو ما يضيق من فرص الأسواق المتاحة للدول الإسلامية، ويضعف من قدراتها الجماعية التنافسية في الأسواق الخارجية.

٣- تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتي تمثل مطلباً ضرورياً للدول الإسلامية لكي تتمكن من استعادة مكانتها وترقية شعوبها، ولم يعد ذلك ميسرا في الظروف الإقليمية والدولية الراهنة، أو بالاعتماد على الخارج، فالدول الإسلامية يجب عليها أن تنظر إلى مصالحها في إطار منظومة تعاونية وتكاملية.

٤- اختلاف وتباين الموارد الطبيعية والبشرية التي تملكها كل دولة.

٥- اختلاف الموارد المالية (دول تحقق عجزا ودول تحقق فائضا في موازينها التجارية).

٦- ضيق حجم الأسواق الداخلية لكل دولة منفردة وعدم قدرتها على إقامة مشروعات حديثة وكبيرة الحجم.

٧- ضعف المركز التفاوضي والتنافسي لهذه الدول في علاقاتها الاقتصادية الدولية.

٨- انخفاض الإنتاجية، وشدة التبعية للدول المتقدمة.

٩- تمتلك الدول الإسلامية نحو ٧٣٪ من الاحتياطي العالمي من النفط، وتنتج ٣٨,٥٪ من الإنتاج العالمي، كما تملك نحو ٤٠٪ من الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي، ويلاحظ أن ٩٠٪ من صادرات هذه المواد تتم كمادة خام غير مصنعة.

الهوامش

1-SESRTCIC (2002a) Annual Economic Report on the OIC Countries 2002 with Special Reference to the World Summit on Sustainable Development. Ankara. Turkey . p120.

2 IMF (2007) World Economic Outlook 2007. Washington. D.C . www.imf.org .

3 Kuznets.(1990). Economic Growth of small nations in Economic consequences of the Size of Nations. McMillan. London. p:180

4 SESRTCIC (2007a) Annual Economic Report on the OIC Countries 2007 with Special Reference to the World Summit on Sustainable Development. Ankara. Turkey . p136.

5 Ibid . p: 140.

6 Ibid . p:141.

٧- البنك الدولي(٢٠٠٧)، تقرير عن التنمية في العالم، مركز الأهرام للطبع والترجمة والنشر، القاهرة، ص ١٥٤.

دارفور .. رؤية إستراتيجية للمشكلة

د. عمرو عبدالكريم

في فبراير ٢٠٠٣ رفعت حركة التمرد في دارفور السلاح في وجه الحكومة المركزية، وشرَعت في شن هجمات على أهداف حكومية بذريعة إهمال الإقليم وأنه عانى من التمييز المنهجي والقمع والتهميش؛ ودخل الإقليم الذي يعاني تاريخيا من التوتر - حول الأرض والمراعي بين عرب البادية الرحّل والمزارعين من القبائل- أعنف أزمة في تاريخه الحديث وما زالت مرشحة للتصاعد.

لقد بدأت مشكلة دارفور من خلال أمرين، الأول هو عمليات التصعيد الإعلامي المبالَغ فيها، باعتبارها «أكبر كارثة إنسانية» كما وصفها جوردون براون، أو أنها «جرائم إبادة وتطهير عرقي» كما زعمت إدارة بوش، وذلك كله في إطار حملة تهيئة الرأي العام العالمي لمواقف تتخذ ضد السودان، والأمر الآخر هو سياسة الحكومة المركزية التي تعاملت مع التمرد باستخفاف في البداية، وأصرت على أنه هجمات قطاع الطرق، رغم استيلاء الحركتين المتمردتين (تحرير السودان، والعدالة والمساواة) على عدة مدن صغيرة، لكن الأجهزة الأمنية قلّلت من قدرات التمرد، وبذلك أغلقت الحكومة الباب أمام أي حل سياسي حينما كان ذلك ميسورا، وفي المراحل الأخيرة رغم تركيز الحكومة على أن حركات التمرد مدعومة من الخارج فإن تداعيات المشكلة على الصعيد الدولي أجبرتها على الجلوس على طاولة المفاوضات بعد أن بلغت تلك الحركات من القوة والدعم الخارجي درجة جعلتها لا تقدم كثيرا من التنازلات.

رؤية إستراتيجية للمشكلة تُجمع كثير من التحليلات الخاصة بمشكلة دارفور أن أصل النزاع هو شح الموارد الطبيعية والصراع عليها، وأنه ليس صراعا عرقيا، وإن اكتسب فيما بعد بعض الملامح العرقية بفعل أزمة الهوية، حيث عانت أقاليم الأطراف تهميشا واضحا من قبل الحكومات المركزية في الخرطوم على مدار تاريخ السودان المستقل.. قضية دارفور قضية خلاف تقليدي على الموارد الطبيعية يقع دائما في مناطق التخوم بين القبائل العربية، وهم رعاة رحّل، وبين القبائل الإفريقية المستقرة، وهم مزارعون يستوطنون القرى ، لكن هذا الخلاف الذي كان يجد سلفا حلوله بشكل سلمي في أعراف وتقاليد قَبَلِيَّة تنظم حقوق الطرفين ، وتعاقب الطرف المتجاوز، وذلك عن طريق ما كان يعرف بالإدارة المحلية في الإقليم، والمتمثلة في الناظر والعمدة والشيخ، وكانت هذه الإدارة تمتلك سلطات قانونية خولتها لها الدولة بجانب رمزيتها الاجتماعية بين القبائل، إلا أن الرئيس النميري ألغى هذه الإدارة واستبدلها بلجان الاتحاد الاشتراكي التي لم تتناسب مع التعددية الاجتماعية التي اتسم بها الإقليم، وهنا نشير إلى حقيقة أن الحكومات السودانية المتعاقبة تتحمل جزءًا من المسئولية عن هذه المشكلة لعدم تفهمها طبيعة هذه المناطق والآليات المناسبة للتعامل مع الخلافات والصراعات التي تنشأ فيها، كما تتحمل الحكومات السودانية المتعاقبة جزءًا من المسئولية عن مشكلة دارفور لعدم اهتمامها بتنمية أطراف الدولة السودانية التي عانت من التهميش على المستويات كافة ، وافتقارها للبنية التحتية والمشروعات الاستثمارية الكبيرة.

> **العوامل المحلية والإقليمية والدولية تكاملت لتصعد بالأزمة إلى واجهة الأحداث ولتدفع النظام في مسار الإستسلام أو الإنهيار**

لقد تكاملت العوامل الثلاثة: المحلية والإقليمية والدولية لتصعد بالأزمة إلى واجهة الأحداث وتشكل مسارها على الأرض ولتدفع بالنظام السوداني في مسار الاستسلام أو الانهيار، أو ابتكار حلول لمعالجة الأزمة تجنبه المقصلة.

فالعوامل المحلية ترسم مأساة الحالة الإنسانية وعمليات توظيفها في الإعلام الغربي (المُسَمّى الدولي) بغية خلق رأي عام عالمي مُوات لأي قرارات ضد السودان (الدولة والنظام) ذلك أن مناظر معسكرات اللاجئين بما فيها من أطفال ونساء لا تترك للفرد-مهما كان وعيه وفهمه للقضية- إلاّ أن يتعاطف مع هذا الوضع، ثم تقوم عمليات تزييف الوعي برسم رؤى لحل المشكلة تصب في صالح القوى التي تدفع بعنف في سبيل تشكيل الرأي العام العالمي، فعلى الرغم من وجود عشرات التنظيمات المسلحة المعارضة التي ترتكب جرائم بحق الأبرياء والعزّل بدعم من الخارج فإنه لا يُشار إليها في الإعلام الغربي، كما أن تصوير القضية على أنها عرب وأفارقة فيه تضليل للرأي العام وتزييف للحقيقة، فليس هناك نقاء عرقي في دارفور، فلا يوجد عربي قُح، ولا إفريقي قُح؛ فالقبائل هناك متجانسة ومتزاوجة عبر سنوات طويلة، ولا يوجد فوارق في اللون بين سكان الإقليم سواء كانوا عربا أو غير عرب، كما أن جميعهم مسلمون، والفارق الوحيد بين طرفي الصراع في دارفور هو حرفة كل جانب منهما، حيث يمتهن أحد الجانبين الزراعة فيما يعمل الطرف الآخر بالرعي.

ولا يمكن فهم كثير من العوامل المحلية إلا في ضوء العوامل الإقليمية التي غـذّت عملية الصراع، فكثير من القبائل الإفريقية والعربية في دارفور مشتركة بين السودان وليبيا وتشاد، وقد تأثرت هذه القبائل بالتفاعلات السياسية داخل هذه الدول، وبين هذه الدول وبعض، فتأثرت بالحرب الأهلية في تشاد في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي حتى أصبحت دارفور مسرحا خلفيا للقوى والصراعات الدائرة هناك، كما أصبحت معبرًا للسلاح مما أدى إلى انتشار السلاح في الإقليم؛ ومن ثم يمكن القول إن: وجود الإقليم في منطقة تماس مع ثلاثة حدود لدول مختلفة جعله عرضة للتأثر بالصراعات الداخلية لتلك الدول ذات التقلبات السياسية، كما أن وجود قبائل مشتركة حدودية جعلت الصراع في الدول المجاورة ينتقل بحكم الانتماءات القبلية إلى داخل بعض القبائل التي تستوطن الإقليم، بالإضافة إلى أن الحدود المفتوحة والأرض المنبسطة جعلت من الإقليم منطقة رائدة لتجارة السلاح، وبذلك شكل الإقليم القاعدة الخلفية لأغلب الانقلابات العسكرية في دول الجوار خاصة في تشاد، ويمكن كذلك فهم الدور الفرنسي حيث يشكل إقليم دارفور نقطة تماس مع ما يُعرف بالحزام الفرانكفوني (تشاد، النيجر، إفريقيا الوسطى، الكاميرون) وهي الدول التي كانت تستعمرها فرنسا.

ثم تأتي العوامل الدولية -وهي غير معزولة عما سبق- للضغط على مؤسسات الاتحاد الإفريقي السياسية والعسكرية المعنيّة بالأمر بهدف إظهار فشل الاتحاد الإفريقي، وأهمية أن يتولى مجلس الأمن مهمة معالجة مثل هذه النزاعات، ومن ثم تم تصعيد مشكلة دارفور إعلاميا وسياسيا فتحركت العواصم الغربية عبر المنظمات الرسمية في صورة تصريحات من لندن وواشنطن، واجتماعات في نيويورك، وكذلك عبر المنظمات غير الرسمية (بيانات، مظاهرات، مؤتمرات)، بهدف تعبئة دولية تهيئ لإصدار القرارات المطلوبة، ذلك أن الرؤية الغربية لحرب دارفور تشكل مدخلا للاستقطاب والاستدراج حيث تشكل دارفور البوابة الغربية للعالم العربي والإسلامي مثلما كانت بغداد تشكل البوابة الشرقية.

ومن ثم يمكن فهم كثير من خلفيات الأجندات الدولية لكل من واشنطن والدول الأوروبية، وهذه الأجندات لا تتعلق بالحرب ولا بالسلام في دارفور وإنما تتعلق بمصالح هذه الدول وموقع السودان الجيوبوليتكي والموارد الضخمة في دارفور.

ولا يمكن إغفال الدور الصهيوني وأثره في قضية دارفور، فقد استطاعت مجموعات اللوبي الصهيوني في الغرب والولايات المتحدة خلط البعد الاثني العرقي بالبعد الإنساني في دارفور بإبراز القضية وكأنها جرائم ضد الإنسانية أو عمليات تطهير عرقي يقوم بها العرب ضد الأفارقة، فالصهاينة هم من تولوا كِبرَ مشكلة دارفور وأججوا نيرانها.

رؤية إستراتيجية للحل

قبل الشروع في بناء معالم حل إستراتيجي أو خريطة طريق لمشكلة دارفور من المهم التأكيد على أمور عدة:

الأول: لا يمكن حل مشكلة دارفور بمعزل عن حل مشكلة السودان، فالنظام الفيدرالي لا يقام في طرف دون آخر، ولكن يقوم على التوازن بين مختلف الأقاليم، وما دارفور إلا عَرَض لمشكلة السودان كله.

ثانيا: إن خيار الحل السياسي السلمي للمشكلات الموروثة في السودان هو الخيار الإستراتيجي، حيث يهدف إلى معالجة جذور المشكلات بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو الخيار الذي يمكن أن يزيل بؤر الاحتقان القابلة للاشتعال.

ثالثا: في صراعات الهوية الوطنية لا يقوم العلاج على اتفاقيات السلام المجردة، ولكن لا بد من عملية مصالحة وطنية شاملة تعمل على إعادة صياغة مفهوم الدولة ليتسع للجميع، فالسودان الجديد بحاجة إلى إستراتيجية شاملة للسودان ككل وليس لمجرد حماية دارفور.

رابعا: أي حل لمشكلة السودان يقتضي فتح حوار جدي على مستويين، داخل السودان: بين مختلف ألوان الطيف السوداني الممتد، وخارجه: بين السودان كدولة ونظام وبين المجتمع الدولي؛ للاتفاق على أسس شاملة لحل الأزمة وبدء تنفيذها فورا؛ لأن الحلول الجزئية للقضايا السودانية لم تعد مجدية.

أما معالم هذه الإستراتيجية أو خريطة الطريق فهي:

١- العمل على بناء دولة مركزية قوية قادرة على معالجة أزمات التنمية مثل الهوية والتغلغل والتكامل، فالسودان اليوم يحتاج إلى عقد اجتماعي جديد.

٢- العمل على بناء نظام ديمقراطي، إذ تقلل النظم الديمقراطية من الاستقطاب القَبَلي والعرقي حيث يكون التنافس سياسيا، ورغم أن الأحزاب قد تعتمد على رموز القبائل فإنه يظل الأساس هو البرامج والتنافس الحزبي.

٣- على السودان الجديد احترام واقع التنوع في البيئة السودانية والتركيبة القبلية؛ فالقبيلة وحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية تدين بولاء طوعي يجذب الفرد نحو الجماعة لما يوفر من حماية وضمان وهوية.

٤- يحتاج السودان الجديد النظر لمشاكله برؤية شاملة على ثلاث مستويات: أمنية، وإنسانية وسياسية، والحل السياسي هو الأساس ثم تسنده الحلول الأمنية والإنسانية.

٥- على السودان الاهتمام بما يسمى باللاعبين غير الدول«Non State Actor» ، ويقصد بهم المنظمات غير الحكومية -مراكز حقوق الإنسان والمنظمات الإعلامية- التي يمكنها لعب دور مؤثر في السياسة الدولية وتحقيق المصالح العليا لأي دولة.

صحة الفم


د.عبدالقادر الحبيطي

لصحة الفم انعكاس كبير على صحة جسم الإنسان، فوجود بؤرة انتانية في الفم مثل التهابات اللوزتين أو البلعوم المتكررة قد تؤثر تأثيراً سيئا على القلب أو الكليتين أو سواهما من الأعضاء، وخاصة إذا تكررت تلك الالتهابات في الطفولة فقد تصاب صمامات القلب بعطب يتضح عند التقدم في السن. كما أن عدم العناية بصحة الفم قد يجعل حشداً كبيراً من الجراثيم الممرضة تتسرب الى الجهاز الهضمي ومنه إلى سائر أعضاء جسم الإنسان فتسبب أمراضا عديدة لسنا بصدد الدخول في تفاصيلها.

وكلمة «المعدة بيت الداء» تنطوي على حكمة بالغة، والفم هو فاتحة الطريق الى المعدة.

ومن المهم أيضا أن نركز الاهتمام على أن اهمال نظافة الفم وعدم الالتفات لصحته العامة قد يؤدي إلى نخر الأسنان وما يصاحب ذلك من الآلام، ثم فقدان الأسنان وتلك خسارة فادحة حقا. ويسبق أمراض تسوس الأسنان مرض آخر قد ازداد الاهتمام به في القرن الحادي والعشرين، ألا وهو التآكل الحمضي للأسنان Acid Erosion فما هذا المرض؟ وما أعراضه؟ وما سبل الوقاية منه أو علاجه؟

التآكل الحمضي يهدد صحة الأسنان

لقد حقق طب الأسنان نجاحاً في علاج تسوس الأسنان وأمراض اللثة، مما يطيل من عمر الأسنان الطبيعية، وكنتيجة لذلك فإن الأسنان قد تتأثر بالتآكل Tooth Wear لفترة طويلة من الوقت، وأسباب التآكل ترجع في الغالب الى التآكل الحمضي Acid Erosion والتآكل بفعل الاحتكاك Attrition بالاضافة إلى السحل Abrasion.

التغير في نمط الحياة

يؤثر أسلوب الحياة العصرية بشكل كبير في تآكل الأسنان، حيث تحتوي الأغذية في هذه الأيام على كمية عالية من الأحماض من مصادر متعددة بما فيها المرطبات والمشروبات الغازية وعصائر الفاكهة، والتي تعمل على تليين سطح الأسنان، وتفقدها المواد المعدنية مما يجعلها أكثر عرضة للضرر والتآكل، وتعرف هذه الحالة بالتآكل الحمضي وهي تؤثر على مختلف الأعمار.

ويبدأ التآكل الحمضي عند تعرض الأسنان للمأكولات أو المشروبات الحمضية التي تضعف سطح طبقة المينا، ما يؤدي الى إضعاف طبقة الحماية وبالتالي إلى التقليل من سمك مينا الأسنان والذي بدوره يسبب تغيير تركيب وشكل ومظهر الأسنان، وتصبح الأسنان أكثر حساسية.

يشكل ألم الأسنان الناتج عن تناول المأكولات والمشروبات الساخنة أو الباردة أولى علامات التآكل الحمضي، وتعرف هذه الحالة بحساسية الأسنان، وتبدو الأسنان المتضررة مستديرة الشكل وبشكل لماع ومصقول، بالإضافة إلى اصفرار خفيف بفعل تآكل المينا حيث ينكشف عاج الأسنان الموجود تحتها.

وفي المرحلة المتقدمة قد تتعرض الأسنان لظهور بقع صفراء، كما أنها قد تبدو أكثر شفافية مع تشقق أطرافها، فضلا عن زيادة حساسية الأسنان وبروز تجاويف صغيرة على سطح السن، والتأثيرات الناجمة عن التآكل الحمضي لا تزول تلقائياً بل تتطلب المعالجة بغية استعادة شكل ووظيفة الأسنان المتضررة وحمايتها، وفي الحالات القصوى قد تكون النتيجة ضرورة نزع السن المتضررة.

التدخل المبكر هو الحل

معظم المرضى لا يدركون أنهم يعانون من مشكلة التآكل الحمضي إلا عند بلوغ المشكلة مراحل متقدمة، لذا فإن التشخيص المبكر للحالة يعتبر ضرورياً جدا، وقد تساعد زيادة وعي المريض بالاضافة إلى بعض النصائح الخاصة بأسلوب الحياة ونمط الغذاء في سهولة التحكم والسيطرة على الأعراض المتنامية للتآكل الحمضي، وسنتطرق لاحقاً الى أساليب الوقاية منه، ومن التسوس، ومن الأمراض التي تصيب الفم إجمالاً.

كما أن علاج الحالة في أول ظهورها قد يوفر على المريض متاعب لاحقة قد تستدعي نزع بعض أسنانه وهي خسارة كبيرة.

الوقاية أولا

لقد شاع لدى الناس أن الوقاية خير من العلاج، وتلك بديهية يعرفها الكثيرون ولا ينسجم معها إلا القليل منهم، ولما كان ديننا الحنيف يعنى بالانسان كله جسماً وعقلاً ونفساً وخلقاً فإن ثمة وصايا كثيرة تعد بمثابة الوقاية المسبقة من إصابة الأسنان بالتسوس والمرض أو بالتآكل الحمضي أو بما ينتاب الفم من أمراض تؤثر سلباً على صحة الجسم كله، فمن ذلك

● أستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة (سابقا)

مثلا المضمضة ثلاثا في الوضوء الـذي يتكرر خمس مـرات أو أكثر في اليوم والليلة، كما أن استخدام السواك عند الوضوء سنة مباركة تزيل الرواسب الغذائية أو غيرها من الأسنان وتبقي الفم مطهراً من الجراثيم المرضة، وتحافظ على صحة تجويف الفم إجمالاً.

وثمة وصايا أوصى بها رسول الله ﷺ الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، نذكر بعضها فيما يلي:

«بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء وبعده» (رواه أحمد وأبو داود والترمذي).

والمقصود بالوضوء هنا غسل اليدين والفم قبل الطعام وبعده، وهذه توصية وقائية ثمينة في آثارها الصحية.

«تمضمضوا من اللبن فإن له دسما» (الجامع الصغير رقم ٨١٨١).

ويندرج في مضمون هذا الحديث المضمضة من كل طعام وشراب كالشاي والقهوة والمرطبات والعصائر التي نشربها، وخصوصا التي تحتوي على السكر أو على الحوامض التي تسبب التآكل الحمضي للأسنان كما مر معنا آنفاً، ولنا أن نتساءل من منا يذهب بعد شربه للشاي أو القهوة أو العصير الي المغاسل فيغسل فمه من آثارها؟!

«استاكوا استاكوا لا تأتوني قلحاً» عن ابن عباس - الجامع الصغير.

والقلح plog ue هو رواسب صفراء تتجمع على حافات الأسنان الملاصقة للثة وتسبب التهابها وتراجعها، لأن القلح إذا ترك يصبح موضعاً للجراثيم المرضة، وتكون آثاره المرضية



وخيمة إذ تنكشف الأسنان ثم تتخلخل وقد تفقد وهذا الحديث مع كونه وصية وقائية فإنه يحافظ على نصاعة الأسنان وجمالها.

«تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب... ولولا أنني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته لهم» (عن أبي أمامة- الجامع الصغير).

وقد روي أن النبي ﷺ كان يواظب على السواك، إذ كان يستخدمه عند كل وضوء وقبل أن يخرج من داره وبعد أن يعود إليها، وقبل الطعام وبعده وإذا استيقظ من نومه في ليل أو نهار.

وكل ما ذكرناه آنفا ثابت في أحاديث صحيحة، وفي ذكر هذا العدد القليل منها إثبات لأساليب الصحة الوقائية للفم التي كان النبي ﷺ يتبعها ويوصي باتباعها، ولو طبقنا وصاياه هذه لسلمت أفواهنا وصحتها اجمالاً من الأمراض والأسقام، فالأسنان نعمة عظيمة خلقها الله تبارك وتعالى لنا لتدوم لنا مدى الحياة إذا نحن حافظنا عليها بدقة وعناية وحرص.

من الأبحاث عن السواك

أثبتت الابحاث العلمية بشأن السواك، التي أجريت في عدد من الدول كألمانيا وماليزيا ودمشق وأميركا أن في السواك موادا كيميائية فعالة وذات أثر طبي إيجابي نافع لصحة الفم وقائياً وعلاجياً، ونظرا لكثرة هذه المواد وتنوعها فليس ثمة معجون أسنان يضاهي السواك في فعاليته ومن ذلك مثلاً:

١- حمض العفص Tannic Acid وهو مطهر ومقبض يقوي اللثة.

٢- مادة Sinnigrin وهي مطهرة قوية وقاتلة للجراثيم، كما أنها مقبضة أيضا ومقوية للثة.

٣- أملاح الفلورايد المهمة لتقوية ميناء الأسنان ووقايته من التسوس.

٤- البنسلين، وهو مضاد حيوي واسع المفعول يطهر الفم من كثير من الجراثيم الممرضة.

٥- مادة السلفا دورا الواقية من تسوس الأسنان.

٦- بلورات السيليس، وهي مادة تزيل القلح Plaqueعن حافات الأسنان فتحمي اللثة من الالتهابات وتحمي الأسنان من التخلخل.

٧- مادة Trimethyl Amine وهي مادة مقوية للثة ومضادة للبكتريا.

٨- كلوريد البوتاسيوم وبيكربونات الصوديوم، وهي تقاوم التآكل الحمضي الذي ذكرناه آنفا وتقي الأسنان منه.

وهكذا نجد في السواك مواد كثيرة مطهرة للفم من الجراثيم المرضة والتي تسبب الالتهابات في اللثة واللوزتين والبلعوم فتجعل تجويف الفم في صحة مثالية، كما أن فيه مواد تقي من نخر الأسنان التآكل الحمضي الذي قد يصيبها، ان المرء ليعجب لقول رسول الله ﷺ عن السواك أنه مطهرة للفم، فهل أجرى عليه أبحاثا وتحاليل كيميائية ليعلم ذلك ويقوله بثقة تامة، أم انه علم تلقاه من العليم الخبير جل شأنه؟

وكذلك قوله: «استاكوا لا تأتوني قلحا»، أي ان السواك يزيل القلح، وهذا ما ثبت بالبرهان العملي مما تعجز عنه كل معاجين الأسنان وفرشاة الأسنان بأنواعها المتعددة، ويحققه السواك بكفاءة عالية.

وقد أصبحت هذه الأبحاث منشورة، مما حدا بجمعية طب الأسنان الأميركية بواشنطن The American Dental Association- (A D A)- Washington لتوجيه منتجي معاجين الأسنان أن يضمنوا في معاجينهم خلاصة مركزة للمواد الفعالة في السواك، وقد بادرت أكثر الشركات المنتجة للاستجابة لهذه التوجيهات.

ولذلك فالمداومة على استعمال السواك يضمن للفم صحة مثالية، وللأسنان نصاعة وتألقاً وجمالاً ووقاية من النخر والتآكل الحمضي وغير ذلك من الأمراض التي تصيب الأسنان والفم، وكل ذلك يناله الإنسان بفضل اتباعه لهذه السنة النبوية المباركة صلى الله وسلم وبارك على صاحبها.

المبررات العشرة للتغيير الفعال

نشرت مجلة الإصلاح الإماراتية في العدد رقم (٣٢٤) تقريراً مثيراً عن الصراع الحاصل بين شركات الحاسب الآلي، لاسيما شركة (آي. بي. إم) وشركة ميكروسوفت، وقد بين التقرير تفوق برامج ميكروسوفت على برامج (آي.بي.إم) بسبب التغييرات المستمرة- وإن كانت طفيفة- التي تحدثها ميكروسوفت في برامجها.

يقول التقرير: «ومن المثير للدهشة حقاً أن ميكروسوفت التي تحصد مليارات الدولارات أسبوعياً من حفنة محدودة من برامج الكمبيوتر تدين بنجاحها لشركة (آي. بي. إم)، فهي لم تكن في الواقع سوى شركة مغمورة ومتواضعة للبرمجيات، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي قررت فيه شركة (آي.بي.إم) اختيار نظام تشغيل من صنع ميكروسوفت يعرف باسم (DOS)، لتضعه على أجهزة الحاسوب الشخصية التي صنعتها، وذلك في غمرة نشوتها بالنجاح الباهر لهذه الأجهزة، ومع التطور السريع لهذه الأجهزة ومتوافقاتها، حاولت (آي. بي.إم) التخلص من ذلك الاختيار، سواء بصناعة أنظمة تشغيل خاصة بها، أو بتشجيع شركات أخرى على إعداد أنظمة بديلة، ولكن كل ذلك كان عبثاً، لدرجة أنه كلف (آي.بي.إم) خسائر كبيرة بدون طائل. فقد أدركت في النهاية أنها ارتكبت خطأ عمرها الذي يصعب إصلاحه.

والواقع أن نظام التشغيل (دوس) الذي امتلكت به ميكروسوفت «قلوب» أجهزة (آي.بي.إم) ومستخدميها ليس شيئاً خارقاً، بل وليس أفضل النظم، وكان في إصداراته الأولى في الثمانينيات الكثير من المشكلات.

ولكن في كل مرة يفرح المنافسون بأنه سيقضي نحبه، تنتج ميكروسوفت نسخة جديدة منه تعالج المشكلات موضوع الشكوى، وتسترضي المستخدمين بتحسينات بسيطة، وهكذا ظل يبُعث أكثر نشاطاً كلما اجتمع خصومه وأنصاره لحضور جنازته ودفنه، إن له أكثر من سبعة أرواح كما يقال.

ولكن الأعداء والأصدقاء جميعاً نسوا نظام «دوس» تماماً وهان أمره حينما طلعت ميكروسوفت بالطامة الكبرى، ليس على (آي.بي.إم) فقط، ولكن على شركات البرامج الأخرى، إنه نظام التشغيل الوسيط المعروف بـ «ويندوز»، الذي ظهر عام ١٩٩١م ليؤسس مرحلة جديدة تماماً في عالم الكومبيوتر الشخصي.

نعم.. إنه التصميم على تغيير الواقع والسعي إلى ذلك، إن التغيير ليس هدفاً في حد ذاته وإنما هو وسيلة لمستقبل أفضل، ولذا ينبغي أن يكون هذا التغيير مبرراً ومسبباً، وكل تغيير لا ينطلق بناء على أسباب منطقية، ولا يبنى على مبررات وجيهة فإنه تغيير تخبطي عشوائي لا خير فيه، يورد صاحبه موارد السوء ويسبب له- غالباً- مشكلات لا حصر لها.

ومن الصعوبة تحديد جميع المبررات والأسباب المؤدية إلى التغيير، حيث إنها تختلف باختلاف الظروف والأحوال والأزمنة والأمكنة، كما أنها تختلف باختلاف دوافع المغيرين، إلا أنه يمكن الإشارة إلى بعض المبررات الرئيسية للتغيير، ولعل أهمها ما يلي:

١- لمواجهة مشكلات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تربوية أو غيرها.

٢- لإثبات الذات واستعراض القوة، كأن يأتي مدير جديد فيغير كثيراً من الأمور، حتى تلك التي لا داعي لتغييرها ولسان حاله يقول: هأنذا!

٣- للقضاء على الملل والروتين والإبقاء على النشاط والحيوية.

٤- من أجل السمعة، أو ليقال إنك رجل مبدع مغير مطور.

٥- لاختصار الوقت، وتقليل الجهد، وزيادة الإنتاج، وتعظيم الأرباح، وتقليل الخسائر.



د.علي الحمادي

٦- لمواكبة التقدم العلمي والتقني في جميع المجالات والعلوم والفنون.

٧- للضغوط والمطالبات الكثيرة من قبل الرؤساء أو المرؤوسين، أو الزوجة، أو الأقارب، أو الزملاء أو غيرهم.

٨- لتحسين الأداء وتطويره وتجويده.

٩- للمنافسة الشديدة والرغبة في عدم الاندثار.

١٠- لأسباب خفية لا نعلم حقيقتها، وبمعنى آخر لا ندري أحياناً لمَ نغير.

وحتى يكون التغيير فاعلاً ومؤثراً وراسخاً ومستمراً، غير مهدد ولا معرض للإجهاض أو الإعدام، فلا بد أن تتحقق فيه النقاط العشر التالية وهي:

١- أن يكون مقنعاً للقيادة والقاعدة.

٢- أن يكون له قائد فذ يقوده.

٣- أن تكون له قوة تحميه وسلطة تسانده.

٤- أن تكون له أهداف محددة وواضحة.

٥- ألا يهدد مصالح وأمن المغيرين والمتغيرين.

٦- ألا يتعارض مع قيم ومبادىء ومعتقدات المتغيرين.

٧- أن يكون مجزءاً في التنفيذ، متدرجاً في التطبيق.

٨- أن يلامس الواقع ويلبي حاجات ومعاناة المغيرين والمتغيرين.

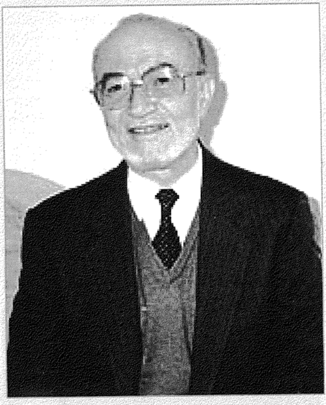
٩- أن يكون مستنداً إلى تجارب ودراسات وحجج منطقية.

١٠- أن تظهر بعض نتائجه الإيجابية عاجلاً.

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

وأفل علم من أعلام الأمة

في ذمة الله د. حسن الهويدي - يرحمه الله -



غيب الموت فجر الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الأول الموافق ١٣ مارس ٢٠٠٩م علماً من أعلام الأمة وفارساً من فرسانها ممن عرفتهم ميادين العلم والدعوة على هدى وبصيرة من الله انه العالم المجاهد د.حسن هويدي (يرحمه الله).

وإذا كان هذا الداعية المجاهد قد غاب عنا بجسده ليلحق بالرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء (ان شاء الله تعالى) فإن سيرته العطرة ستظل مشعلاً يضيء للاجيال اللاحقة طريق الهداية والنور طريق الثبات والصبر على القيم والمبادئ النبيلة والاخلاق القويمة التي ارسى أسسها نبينا محمد ﷺ وهاجر من اجلها وضحى في سبيلها بالغالي والنفيس حتى أتاه اليقين، فقد هاجر الفقيد الراحل من بلده سوريا منذ عقود مضت مؤثراً حياة التنقل والشتات في اصقاع الأرض مرفوع الرأس منتصب الهامة عالي الجبين على حياة الذل والخنوع والتثاقل الى الحياة الدنيا حتى وافته المنية وهو في هجرته هذه ليقع اجره بإذن الله على ربه سبحانه وتعالى ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله...﴾ (النساء:١٠٠).

كان همه الذي لا يفارقه طيلة حياته هو شؤون المسلمين، وما ألمَّ بهم من كوارث ونكبات على ايدي اعدائهم فكان يرحمه الله يتفاعل مع كل قضية من قضاياهم فترى أثارها بادية على وجهه لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار ساعياً قدر استطاعته للتخفيف من أثارها على إخوانه في العقيدة والدين. وكانت للقضية الفلسطينية مكانة خاصة في قلبه ووجدانه فهو يعتبرها كغيره من المخلصين الصادقين، قضية أمة باكملها لاقضية شعب فقط وان التفريط بها خيانة للأمة ومقدساتها.

التقيته للمرة الأولى في عيادته في مدينة دير الزور السورية عام ١٩٦٤م فكان نعم الطبيب المعالج الذي يعرف كيف يداوي الأرواح والقلوب قبل أن يداوي الابدان فكان عطوفا شفوقاً على المرضى عامة والفقراء خاصة وهذا هو سر نجاحه في عمله ودعوته.

كانت الشورى ديدنه في تعامله مع اخوانه وكانوا يلجؤون إليه عند اختلافهم في قضية ما ليجدوا عنده الرأي الصائب السديد وبعد النظر والرؤية الثاقبة مغلفة بروح التواضع والرفق والرحمة.

رحمك الله يا أبا محمد وجعل منزلتك في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أبوبلال

الراحل في سطور

- ولد في مدينة دير الزور في سوريا عام ١٩٢٥م.
- نال شهادة الدكتوراة في الطب عام ١٩٥٢م.
- له من المؤلفات: الوجود الحق، من نفحات الهدى، محاذير الاختلاط، الشورى في الاسلام، مفهومات في ضوء العلم (تحت الطبع).
- دفن في العاصمة الاردنية (عمان) بعيداً عن وطنه.

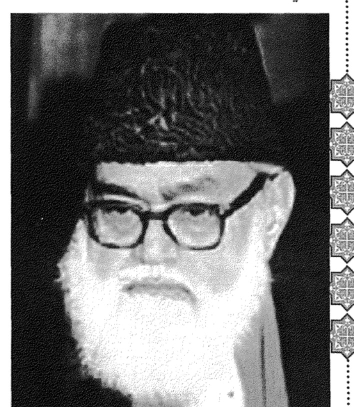


صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

حول نكاح نساء أهل الكتاب

العلامة أبو الأعلى المودودي (السنة الثامنة - العدد 86 - غرة صفر 1392هـ - 16 مارس 1972م)

لقد طلب منا أحد إخواننا المخلصين بإلحاح شديد أن ننشر كلمة مفصلة عن زواج المسلمين بنساء أهل الكتاب، مستندين في ذلك إلى أحكام الكتاب والسنة، لأن فتنة «الإفرنجيات» كما يقول هذا الأخ الكريم، في تفاقم وانتشار هذه الأيام. وقد اتخذ المسلمون من الإذن الشرعي في هذا الباب حيلة للاستمتاع بهن، واستيرادهن بكثرة لا يوجد لها مثيل في تاريخهم الماضي.



ومما لا مجال فيه للريب أن هذه فتنة كبيرة في واقع الأمر، ظهر من تأثيرها الكثير في الهند ومصر وسوريا والكويت وغيرها من بلاد المسلمين.

إن «السيدات الغربيات» ولجن في حياة المسلمين الاجتماعية، ثم عملن ما في وسعهن لاستئصال الحضارة الإسلامية، وأخطر من ذلك ما ظهر من النتائج السياسية مما لا يستطيع مسلم- إن كان في قلبه حب للإسلام والمسلمين- أن يسكت عليه.

وعلى هذا.. إن كان المخلصون من أفراد المسلمين اليوم يشعرون بحاجة إلى أن يقوموا في وجه هذه الفتنة، ويضعوا لها حدا معلوما فلا شك أن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على حبهم للإسلام، ونصحهم للمسلمين.

ولكن.. كيف يكون عندنا التغيير والتعديل في قضية شرعية ثابتة؟

إن الذي قد أنزل القرآن حكيم عليم على الإطلاق، لا ينظر إلى كل المصالح والضرورات والحاجات إلا بغاية من التوازن والتناسب، فلا بد لإدراك أحكامه وتطبيقها على الظروف الراهنة تطبيقا سليما من أن نوسع دائرة نظرنا بقدر الإمكان، ثم نستعرض المصالح كلها- ما جل منها وما دق- استعراضا تفصيليا شاملا، حتى لا ننزل كل واحدة منها إلا بدرجة من الرعاية والأهمية قد أنزلها بها الشارع نفسه.

فالآية التي تبيح للمسلمين أن يتزوجوا بنساء أهل الكتابين من اليهود والنصارى هي ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة:٥)

اختلاف السلف حول تفسير الآية

لا شك أن السلف- رحمهم الله- قد اختلفوا كثيرا حول تفسير هذه الآية، إلا أن جمهور العلماء في كل زمان

إنما حملوا حكمها على ظاهر ألفاظها وعموم إطلاقها، إذ لا بد من أن يكون الله أكثر حكمة في تشريعه وتقنينه فهو ملحوظة الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا، ولو كانت هناك حاجة إلى استثناء أو تخصيص في حكمه ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) لقيده به بنفسه، إذ مما لا يجتمع مع حكمته في التشريع ألا يستعمل في بيان الأحكام القانونية ولا مثل اللغة الرصينة المتقنة التي يستعملها واضعوا القوانين في الدنيا، فكيف يجوز أن نعتقد إذن أن كل مقصوده بهذا الحكم أن يحل للمسلمين التزوج بنساء طائفة خاصة من أهل الكتاب، وقد اختار لبيان هذا الحكم ألفاظا عامة شاملة لأهل الكتاب كلهم، لا إشارة فيها قطعا إلى استثناء أو تخصيص، لأجل هذا فإن جمهور الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين من السلف قد حملوا هذه الآية على الإذن العام في التزوج بنساء أهل الكتاب بدون قيد ولا شرط، بل قد تزوجهن جماعة منهم ولم يروا بذلك بأسا لعموم هذا الإذن، فقد تزوج عثمان بن عفان بنائلة بنت الفرافصة الكلبية وهي نصرانية، وتزوج طلحة بن عبيدالله يهودية من أهل الشام، وتزوج حذيفة بن اليمان وكعب بن مالك والمغيرة بن شعبة بنساء من أهل الكتاب أو خطبوهن للزواج.

رأي عبدالله بن عمر

ولكن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- من الصحابة وحده

السيدات الغربيات ولجن في حياة المسلمين لاستئصال الحضارة الإسلامية

هو الذي كان لا يرى التزوج بنساء أهل الكتاب مطلقا، وكان يقول: إن الله حرم على المؤمنين النساء المشركات في قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: من الآية٢٢١) وكان يقول «لا أعلم شركا أشد من أن تقول- أي المرأة- إن ربها عيسى أو عبد من عبيدالله»، ولذا فإنه يحرم التزوج بنساء كل من يوجد الكفر والشرك في اعتقادهم من أهل الكتاب، وقد فسر كلمة «والمحصنات» بالمسلمات، فمعنى الآية بموجب رأيه: أن لكم أيها المسلمون أن تتزوجوا أيضا باللاتي يدخلن في الإسلام من نساء أهل الكتاب.

رأي غير صحيح

ولكن لا يصح من هذا الباب رأي ابن عمر-رضي الله عنهما- وذلك لأسباب نذكرها بالاختصار في ما يلي: إن الله سبحانه وتعالى بنفسه قد بين في كتابه من معتقدات أهل الكتاب ما هو مبني على صريح الشرك كقولهم ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ (المائدة: من الآية١٧) وكقولهم ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ (المائدة: من الآية٧٣) وكقول اليهود «عزير بن الله» وقول النصارى «المسيح ابن الله» بل قد نسب إليهم كلمتي الشرك والكفر، ولكنه على ذلك لم يذكرهم في أي موضع من كتابه بكلمة «المشركين» كاصطلاح لهم، وإنما ذكرهم في كتابه كله بكلمة «أهل الكتاب»، أو بكلمات أخرى لها نفس هذا المعنى، اقرأ القرآن من أوله إلى آخره تجد فيه ثلاث طوائف مستقلة بعضها عن بعض: طائفة المشركين والكفار، أي الذين ليس عندهم كتاب سماوي على وجه محرف أو غير محرف، وطائفة أهل الكتاب، أي الذين يؤمنون بنبي من الأنبياء وبكتاب من الكتب السماوية، على كل ما هم فيه من الضلالات الاعتقادية أو العملية، وطائفة أهل الإيمان، وهم المؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عما إن كانوا ولدوا في الإسلام أو دخلوا فيه من طائفة أهل الكتاب، أو طائفة المشركين والكفار.

والقرآن في ذكره هذه الطوائف الثلاثة يميز بعضها عن بعض بما لا مجال فيه للاشتباه والاختلاط مطلقا، فلا يقول: «أهل الكتاب» ويريد بهم المشركين، أو يقول: «المشركين أو الكفار» ويريد بهم اليهود والنصارى، أو يقول «الذين أوتوا الكتاب» ويريد بهم المسلمين، فلما قال تعالى في موضع من كتابه ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ (البقرة: من الآية٢٢١) ثم قال في موضع آخر ﴿اليوم أحل لكم الطيبات...﴾ إلى أن قال ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ (المائدة: ٥)، فلا بد من القول بأنه ليس المراد بالمشركات في الآية الأولى نساء أهل الكتاب، وإنما المراد بهن نساء الوثنيين وغيرهم من الأمم غير الكتابية.

ونحن إذا لم نفسر كلمة «المشركات» و «المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» بهذا المعنى فإن ذلك يستلزم تعارضا صريحا بين آيتين في القرآن، لا يمكن رفعه بمجرد أن يقال إن المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أولئك اللاتي كن قد دخلن في الإسلام من نساء اليهود والنصارى، أو أن المراد بهن نساء الفرق الكتابية المتنزهة عن الشرك والكفر وذلك:

١- لأن الله عز وجل قد قال ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (المائدة: من الآية٥) قبل أن يقول ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (المائدة: من الآية٥)، وليس المراد «بالمؤمنات» اللاتي قد ولدن في الإسلام فحسب، بل المراد بهن كذلك اللاتي قد دخلن في الإسلام تاركات أديانهن السابقة، فلما كان قد أحل الزواج بالمؤمنات عموما وفيهن من كن يهوديات أو نصرانيات قبل الإسلام، فأية حاجة اقتضت إذن ذكر المسلمات من الذين أوتوا الكتاب بالذات بعدهن؟ إذ لو كان الأمر هكذا لما كان لهذه الجملة أي معنى أبدا.

٢- وقد قيل قبل هذه الآية كذلك ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥)، فهل المراد بهم هنا أيضا أولئك المسلمين الذين قد دخلوا في الإسلام من اليهودية أو النصرانية؟ فإن



من تراث الوعي

قيل: لا، فعلى أي أساس جاز أن يفسر «الذين أوتوا الكتاب» في جزء من آية بمعنى غير المعنى الذي يفسر به في جزء آخر من الآية نفسها؟

٣- أية فرقة من فرق أهل الكتاب هي بريئة من الشرك أو الكفر؟ ومتى وجدنا فيهم الاعتقاد السليم عن الله؟ ومن أين كان لهم أن يهتدوا إليه؟ لقد كانوا حرفوا أصل تعاليم موسى وعيسى عليهما السلام، فأنى كان لهم أن يجدوا سبيلا إلى صحة الاعتقاد حتى تكون فرقة منهم على الصراط المستقيم؟ إذن لا يصح القول أبدا بأن المراد «بالذين أوتوا الكتاب» في قوله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) فرقة من اليهود أو النصارى سليمة في اعتقادها.

أما الآيات التي قد يخيل إلى الإنسان عند قراءتها أنه كان في أهل الكتاب فرق سليمة في اعتقادها، فإنها تشير في حقيقة الأمر إلى أناس من أهل الكتاب كانوا قد آمنوا بالقرآن واتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم، أو كادوا بناء على طهارة قلوبهم وسلامة فطرتهم.

٤- وإذا فرضنا أن اليهود والنصارى فيهم طائفة مثل هذه، فإن الله تعالى ما قيد ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) بشيء يجوز الاستدلال به على أن هذا الحكم خاص بتلك الطائفة وحدها، وليس بشامل لسائر أهل الكتاب، فما لنا إذن نشغل أنفسنا بفحص معتقدات أهل الكتاب، ونقضي بقياسنا أنه يجوز للمسلمين أن يتزوجوا بنساء الفرقة أو الفرق «الفلانية» من أهل الكتاب، ولا يجوز لهم أن يتزوجوا بنساء سائر فرقهم؟.

دليل آخر غير سليم

والذين قد أيدوا ابن عمر رضي الله عنهما في رأيه يستدلون كذلك بقوله تعالى ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (المتحنة: من الآية١٠)، مع أن هذه الآية إنما نزلت خاصة في أولئك الرجال والنساء الذين قد هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام، والذين بقيت زوجاتهم أو أزواجهن على الكفر في دار الحرب، والمقصود من الآية بيان أن نكاح الجاهلية ينفصم مع مجرد دخولهم في دار الإسلام، ويكون من حق الرجل المهاجر أن ينكح غير زوجته السابقة، ومن حق المرأة المهاجرة أن تنكح غير زوجها السابق، هذا المعنى يتحقق باعتبار شأن نزولها، أما إذا اقتصر أحد على نفس ألفاظها، فنقول: إن الله عز وجل أنزل في موضع حكما عاما بقوله: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (المتحنة: من الآية١٠)، وبين في موضع آخر أن جماعة من الكفار وهم من أهل الكتاب، مستثنون من هذه الحرمة العامة وذلك بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥)، وإنكم إذا كنتم لا تقولون بأن هذا الحكم الثاني قد خصص الحكم العام الأول، فلا بد أن تقولوا بأن هناك تناقضا في أقوال الله عز وجل، يحل شيئا في موضع، ويحرمه في موضع آخر والعياذ بالله.

رأي ابن عباس

والصحابي الثاني الذي حاول أن يضع حدا لإباحة الزواج بنساء أهل الكتاب: هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذ يقول: إن هذا الحكم خاص بالذميات دون الحربيات، فلا يجوز الزواج إلا بنساء اليهود والنصارى الذين هم من رعايا دار الإسلام، مهما كانت عقائدهم فاسدة، وأما أهل الحرب منهم- أي الساكنون خارج حدود دار الإسلام- فلا يجوز الزواج بنسائهم، ودليله على ذلك أن الله قد أمر المسلمين بقتال هذه الطائفة من أهل الكتاب، وذلك حين قال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة:٢٩)، وأيضا قد حرم على أهل الايمان أن ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المجادلة: من الآية٢٢)، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالعلاقة الزوجية لا تقوم إلا على المودة والرحمة: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: من الآية٢١)، فعلى هذا كانت علاقة الزواج توجب المودة والمحبة، وإذا كانت مودة الحربيين من المشركين وأهل الكتاب محرمة على المسلمين، وكان قتالهم واجبا عليهم فإنه ينبغي أن يكون زواج الحربيات سواء أكن من المشركين أم من أهل الكتاب محظورا.

هذا ما يحتج به سيدنا عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-، إلا أن جمهور الصحابة والتابعين والأئمة الفقهاء لم يوافقوه على رأيه، كما لم يوافقوا سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على رأيه، وهم وإن كانوا كلهم يكرهون الزواج بامرأة من أهل الكتاب، إذا كانت من دار الحرب أو دار الكفر، ولكن ما قال بحرمته أحد منهم، لأن إباحته المذكورة في قوله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) عامة شاملة لأهل الكتاب جميعا، سواء أكانوا من أهل الحرب أم من غيرهم، والله تعالى ما قيدها بشيء.

هذا بالنسبة للجواز القانوني، والمقصود مما قلنا إن هذا الجواز القانوني يجب أن يبقى على عمومه وشموله الموجودين في آية القرآن، أما عدم تناسب الزواج وكراهيته على اعتبار المصالح القومية أو الظروف الشخصية، فهذا أمر آخر، لا يجوز لنا أن نحرم الحلال، غير أنه من حقنا ولا ريب أن نتجنب فعلا حلالا إذا كان لا يناسبنا في وضع خاص، إذ ليس معنى الحل والإباحة الأمر واللزوم.

المسلمون اتخذوا من الإذن الشرعي في الزواج بـ «الإفرنجيات» حيلة للاستمتاع بهن واستيرادهن بكثرة

رأي جمهور الصحابة والأئمة واختلافهم

والذين لا يوافقون عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس- رضي الله عنهم جميعا- على رأيهما، ويقولون بأن حكم الآية شامل لأهل الكتاب كلهم، يدور الخلاف بينهم في معظمه حول تفسير كلمتين وهما: (المحصنات) و﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥).

فالمحصنات عند جماعة منهم «العفائف»، وعند جماعة أخرى «الحرائر» دون الإماء، فلا يجوز الزواج عند الجماعة الأولى إلا بالعفائف من نساء أهل الكتاب دون الفاحشات والمومسات منهن، ولا يجوز الزواج عند الجماعة الأخرى بالإماء من نساء أهل الكتاب ولو كن عفائف، ويجوز بالحرائر منهم ولو كن فاحشات.

رأي الشافعي

أما أهل الكتاب فيقول الإمام الشافعي رحمه الله: إنهم اليهود والنصارى من بني إسرائيل، وأما الأمم الأخرى التي قد انتحلت اليهودية أو النصرانية فلا تطلق عليها كلمة «أهل الكتاب»، لأنه ما أرسل موسى ولا عيسى عليهما السلام إلا إلى بني إسرائيل، وما كانت دعوتهما لغيرهم من أمم الأرض.

رأي الأحناف والجمهور

ويقول الأحناف وجمهور الفقهاء: إن كل أمة إذا كانت مؤمنة بنبي من الأنبياء وبكتاب من الكتب الإلهية تعد من أهل الكتاب، وليس كونها من اليهود أو النصارى شرطا في ذلك، فلو كانت في الدنيا طائفة مؤمنة بصحف إبراهيم وحدها، أو الزبور وحده لكانت طائفة كتابية.

رأي جماعة آخرين

وقد ذهبت جماعة قليلة من السلف إلى أن كل أمة عندها كتاب يجوز الظن بأنه سماوي هي من أهل الكتاب كالمجوس مثلا، وهذه الفكرة قد وسعها في هذا الزمان جماعة من المجتهدين الجدد، حتى قالوا إن الهنادك والبوذيين أيضا من أهل الكتاب، فيجوز الزواج بنسائهم لأنه لا بد أن يكون قد جاءهم نبي من الأنبياء، ولا بد أن يكونوا قد أوتوا كتابا من الكتب السماوية.

الرأي الصحيح

وأصح رأي في كل هذه الاختلافات عندنا الرأي القائل بأن المراد من أهل الكتاب اليهود والنصارى، سواء أكانوا من بني إسرائيل أم من غيرهم، فإن كلمة «أهل الكتاب» ما وردت بالقرآن إلا لهاتين الطائفتين، وقد صرح في موضع آخر بأنهما هما أهل الكتاب، وذلك حيث يقول عز من قائل: ﴿وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ (الأنعام: من الآية١٥٥-١٥٦)، أما الأمم الأخرى التي أنزلت إليها الكتب، فهي لما قد أضاعت كتبها ولم يبق شيء من معتقداتها وأعمالها يتفق مع تعاليم الأنبياء فلا يجوز أن تطلق على إحداها كلمة أهل الكتاب، ولذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما جعل المجوس من أهل الكتاب على اعتقادهم بزرداشت، فلما أخذ الجزية من مجوس هجر قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» (موطأ مالك)، ولم يقل إنهم من أهل الكتاب.

ولما كتب إليهم يدعوهم إلى الإسلام قال بكل صراحة «فان أسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا ومن أبى فعليه الجزية غير أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم» فلا مجال للشبهة بعد ذلك بأنه يجوز أن تعد أمة غير اليهود والنصارى من أهل الكتاب، فتؤكل ذبائحها وتنكح نساؤها.

الرد على مخالفي هذا الرأي

أما رأي الإمام الشافعي رحمه الله، أي اشتراطه بالإسرائيلية، فلا يصح كذلك، لأنه وإن كان الخطاب في دعوة موسى وعيسى عليهما السلام لبني إسرائيل وحدهم إلا أن الله ورسوله قد عد من أهل الكتاب حتى الأمم غير الإسرائيلية التي انتحلت النصرانية، ويدل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما كتب إلى قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام ضمن في رسالته هذه الآية ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: من الآية٦٤) مع انه لم يكن الروم من بني إسرائيل.

أما الذين فسروا المحصنة بالعفيفة أو الحرة وجعلوا العفة أو الحرية شرطا لتزوج الكتابية فلا يصح رأيهم أيضا عندنا، إذ لا شك أن الإحصان يشمل مفهومه كلا من العفة والشرف، وما المحصنة إلا عفيفة وشريفة معا، ولكن ليس من مقصود الشارع بقوله ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٥) أن يجعل العفة أو الشرف شرطا لجواز الزواج بنساء أهل الكتاب، وإنما مقصوده به إظهار الأفضلية والأولية، ويقصد في حقيقة الأمر بيان أنه وان كان لكم، أيها المسلمون أن تتزوجوا أية امرأة من المؤمنات أو من أهل الكتاب، ولكن الأولى والأفضل أن تكون تلك المرأة محصنة أي عفيفة وشريفة.

وقد قيدت كثير من أحكام القرآن بأمور ليست بشروط لثبوت الحكم، وإنما هي كقيود زائدة لإظهار أفضل ناحية في فعل من الأفعال المباحة، أو لإظهار أرذل ناحية في فعل من الأفعال المحرمة، حتى يبذل أهل الإيمان اهتمامهم لاختيار الأفضل واجتناب الأرذل، وهذا عين ما رآه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الباب حين تزوج حذيفة بن اليمان بيهودية، فكتب إليه عمر «أن خل سبيلها» فكتب إليه حذيفة أحرام هي؟ فكتب إليه: لا، ولكني أخاف أن تواقعوا المومسات منهن!.

فأصح رأي عندنا أن نجعل السماح الشرعي بتزوج نساء أهل الكتاب عاما، من الحربيات كن أو من الذميات، ومن العفائف كن أو من غير العفائف، ومن الإماء كن أو من الحرائر.

مصطفى الزرقا.. الفقيه الورع

عبده الدسوقي

عانى العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين من الوقوع تحت نير الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، فقد احتلت بريطانيا مصر منذ سبتمبر ١٨٨١م ومن قبل كان الاحتلال الفرنسي عام ١٧٩٨م، ما أدى إلى تخلف البلاد وانهيارها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا.

وظهر أثر الفكر الغربي في الفكر والثقافة الإسلامية، فظهر الفكر التغريبي والدعوة إلى فصل الدين عن السياسة، كما اجتاحت الشيوعية الهدامة كثيرا من بلاد المسلمين وتغلغلت فيها، وانعكس كل ذلك على التعليم فأصبحت نسبة المتعلمين لا تتجاوز الـ٢٠٪ من نسبة المجتمع المصري مثلا، جلهم من الطبقة الثرية، ناهيك عن المدارس التبشيرية التي كانت تتبع الإنجليز أو الأميركان أو غيرهم.

في ظل هذه الأوضاع ظهرت ثلة من الشخصيات التي تركت بصمات في إصلاح المجتمع قبل رحيلها، ومنها الشيخ الفقيه مصطفى الزرقا، رحمه الله.

من هو

هو من أبرز علماء الفقه في العصر الحديث، ولد الشيخ مصطفى بن أحمد بن محمد بن السيد عثمان بن محمد بن عبدالقادر الزرقا، بمدينة حلب في سورية عام ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م، في بيت علم وصلاح، ونشأ في بيئة علمية حافزة على الطلب والتحصيل، حيث تربى تحت نظر جده العلامة الكبير الشيخ محمد الزرقا، وفي رعاية والده الفقيه الشيخ أحمد الزرقا (١٢٨٥-١٣٥٧هـ/١٨٦٩-١٩٣٧م) (من أعلام علماء تلك المدينة، وكان مشهوراً بالفقه الحنفي بوجه خاص، وكان مدرسا بالمدرسة الثانوية الشرعية) رحمهما الله تعالى.

فنشأ في ذلك الجو العلمي النابض، وظهرت عليه ملامح النجابة والذكاء منذ طفولته، وساعده على ذلك النبوغ تلقيه العلم عن كبار علماء حلب، ومعرفته باللغة الفرنسية والعلوم العصرية.

دراسته

بدأ دراسته في كتاتيب القرآن الكريم، وقرأ في بدايته كتاب «الكفراوي على الآجرومية» على العلامة المحقق محمود بن سعيد السنكري، وتوجهت رغبة الشيخ إلى التجارة، ولكن جده أصرَّ على أن يسجله والده في المدرسة الخسروية.

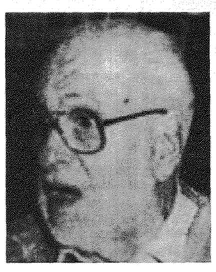
تتلمذ على يد المحدث الكبير الشيخ محمد بدر الدين الحسني، ووالده العلامة الشيخ أحمد الزرقا، حيث درس عليه الفقه الحنفي، وقواعد الأحكام العدلية، والعلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ، ودرس عليه الحديث والسيرة النبوية، والعلامة الشيخ محمد الحنيفي، ودرس عليه شرحه لجوهرة التوحيد.

ثم تابع بجهوده الشخصية دراسته العصرية، فنال شهادة البكالوريا الأولى في شعبة العلوم والآداب، وحصل على الدرجة الأولى على طلاب سورية جميعهم، ثم توجَّه إلى دمشق سنة ١٩٢٩م لمتابعة دراسته العصرية، ونال البكالوريا الثانية في شعبة الرياضيات والفلسفة، والتحق- بعد إحرازه البكالوريا الثانية- بالجامعة السورية، وفي عام ١٩٣٣م تخرج من كليتي الحقوق والآداب معاً، وأحرز الدرجة الأولى، ثم حاز عام ١٩٤٧م دبلوم الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً).

ومن أساتذته في تلك المرحلة: الشيخ عبدالقادر المبارك، وعبد القادر المغربي، وسليم الجندي، وشاعر الشام شفيق جبري.

باشر التدريس في وقت مبكر، حيث تولى التدريس مكان والده في المدارس التي كان يدرس فيها، في المدرسة الخسروية والشعبانية، كما تولى القيام بالدرس الذي كان لوالده في الجامع الأموي بحلب، وجامع الخير، ولذلك درس الكثير من الطلبة الذين هم أكبر منه سناً، وألحق الأحفاد بالأجداد.

ثم انتقل الشيخ إلى دمشق للتدريس في كلية الحقوق عام ١٩٤٤م، كما درس في كلية الشريعة بدمشق بعد إنشائها سنة ١٩٥٤م، وبقي فيها أستاذاً للحقوق المدنية والشريعة، حتى بلوغه سن التقاعد في آخر عام ١٩٦٦م.



اشتغل بالمحاماة لمدة عشر سنين، بعد تخرجه في كلية الحقوق، بعد ذلك عينته وزارة الأوقاف في الكويت خبيراً للموسوعة الفقهية فيها سنة ١٩٦٦م، وبقي في الكويت خمس سنوات قائماً بهذه المهمة خير قيام، حيث أنجز مشروع «الموسوعة الفقهية» محرراً على المذاهب الفقهية الثمانية، ومعجماً للفقه الحنبلي يقع في ١١٤٢ صفحة مرتَّباً ترتيباً هجائياً بإشرافه.

كما اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عضواً في المجمع الفقهي منذ إنشائه عام ١٣٩٨هـ، وقدم للمجمع عدة دراسات فقهية معاصرة.

ودرس في معهد الدراسات العربية العالية، التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، ثم درس في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية عام ١٩٧١م، وظل بها حتى عام ١٩٨٩م، وتخرج على يديه وتربى على منهجه العلمي نخبة من كبار العلماء، الذين تبوأوا أرفع المناصب العلمية.

ومن هؤلاء التلاميذ الشيخ المحدث عبدالفتاح أبوغدة، والفقيه الحنفي الشيخ محمد الملاح، واللغوي الأديب عبدالرحمن رأفت باشا، والفقيه الأصولي الشيخ محمد فوزي فيض

الله.

كان الشيخ مثالا لا يجارى في الأخلاق والذوق والكياسة، تأثر به كل من احتك به، فقد كان رفيقا شفيقا، كما كان متأسيا بأخلاق الرسول ﷺ حتى أصبح شامة بين العلماء، وكان يحب اللباس المتوسط النظيف البعيد عن المغالاة، ويحرص على نظافة ملابسه وحذائه، كما كان لا يفارقه الطيب في كل أحيانه.

عمله ونشاطه العلمي والسياسي

كان الأستاذ مصطفى الزرقا يتقن اللغة الفرنسية تحدثاً وكتابة، ويجيد اللغة الإنجليزية، ويعرف شيئاً من اللغة الألمانية، وهذه المعرفة للغات الغربية، إضافة إلى تفوقه العلمي قادته إلى حضور كثير من المؤتمرات العالمية، فقد سماه الدكتور يوسف القرضاوي سلسلة الذهب.

في الستينيات أقيم في دمشق «أسبوع الفقه الإسلامي» وقد حضره فقهاء كثيرون من مختلف بقاع العالم الإسلامي، وكان منهم الأستاذ الزرقا والشيخ محمد أبوزهرة، والدكتور مصطفى السباعي، وفي إحدى المسائل الفقهية المعاصرة، وهي مسألة التأمين اختلف العملاقان الزرقا وأبوزهرة اختلافاً كبيراً، وانتصر كل منهما لرأيه، وراح يأتي بالأدلة والبراهين، ولم ينته الرجلان إلى اتفاق.

وسئل الدكتور السباعي في جلسة خاصة عن سبب اختلاف العالمين، ورأيه فيما قالا فقال: الأستاذ أبوزهرة مكتبة فقهية، والزرقا ملكة فقهية، وكأنه رحمه الله يعني أن الفرق كبير بين المكتبة والملكة، ففي المكتبة عشرات أو آلاف المراجع المحفوظة والروايات المسجلة، بينما الملكة هي أول أدوات المجتهد.

حصل الشيخ مصطفى الزرقا على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٤هـ تقديراً لإسهاماته المميّزة في مجال الدراسات الفقهية، وخاصّة كتابه «المدخل إلى نظرية الالتزام في الفقه الإسلامي».

وله مشاركات علمية أخرى، منها: مشاركته في وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية السوري عام ١٣٧٢هـ، ورئاسته لجنة مشروع القانون الموحد للأحوال الشخصية لمصر وسورية خلال وحدتهما (١٩٥٨: ١٩٦١)، وقد قام الأستاذ الزرقا بنشر هذا المشروع، وقدّم له، وصدر عن دار القلم بدمشق، كما شارك في تأسيس وتطوير مناهج عدد من الجامعات، وشارك في كثير من المؤتمرات.

الشيخ كان مثالاً في الأخلاق والذوق والكياسة... وعرف بأنه صاحب ملكة فقهية فريدة

من مؤلفاته

١- أحكام الأوقاف.
٢- في الحديث النبوي.
٣- الاستصلاح والمصالح المرسلة في الفقه الإسلامي.
٤- الفعل الضار والضمان فيه.
٥- نظام التأمين، والرأي الشرعي فيه.
٦- الفقه الإسلامي ومدارسه (بتكليف من منظمة اليونسكو).
٧- صياغة شرعية لنظرية التعسف في استعمال الحق.
٨- المدخل الفقهي العام، الجزء الأول والثاني.
٩- مجموعة فتاوى الشيخ مصطفى الزرقا، وغيرها من المؤلفات.

وبرز الشيخ في الفتوى حيث يرى أن الشريعة لا يمثلها مذهب واحد وإنما يمثلها مجموع المذاهب والمدارس الفقهية على اختلاف مشاربها وتعدد مسالكها، كما يتجلى ذلك بوضوح في عدد من الفتاوى، وهو يرى أن العصبية المذهبية سجن ضيق في جنة الشريعة الفيحاء.

ويقوم منهجه على أسس هي:

١- الاستقلال في الفهم والبعد عن العصبية المذهبية.
٢- التخفيف والتيسير والبعد عن الحرج بضوابطه الفقهية.
٣- تطبيق مبدأ سد الذرائع.
٤- الأخذ بفقه الضرورة.
٥- التعليل للحكم الفقهي.
٦- ذكر الحكم الديني بجانب الحكم القضائي.
٧- الاستدلال بالقواعد الفقهية والأصولية.
٨- إحالة المستفتي إلى كتاب يستوفي الموضوع.
٩- سؤال إخوانه من أهل العلم.
١٠- إيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المحرمة.
١١- تقييد الفتوى بقيود وضوابط.

انتخب عن مدينة حلب نائباً في المجلس النيابي السوري عام ١٩٥٤ ثم ١٩٦١م، وأسندت إليه وزارتا العدل والأوقاف عامي ١٩٥٦ ثم ١٩٦٢م.

قالوا عنه

قال الأستاذ عبد القادر عودة، يرحمه الله، عن كتابه المدخل الفقهي العام «اعتصم الفقه الإسلامي من طالبيه في المتون، وتحصن في الشروح، واستعصى على طلابه في اللغة المغلقة والأسلوب العقيم، وكان كل من له إلمام بالفقه الإسلامي، وكل من عانى من قراءة كتبه، يود أن توطأ للناس هذه الكتب حتى تتيسر لهم قراءتها، وتسهل عليهم دراستها، وحتى يستطيعوا أن يوازنوا بين الفقه الحديث وبين الفقه الإسلامي العتيد؛ ذلك الفقه الغني بموضوعاته ونظرياته واصطلاحاته، المتميز بدقته وقوته، ليكون لهم من هذه الموازنة ما يزيد ثقافتهم، ويوسع آفاقهم، ويفتح أعينهم، ويوجههم إلى الطريق المستقيم.

وفاته

فجع العالم الإسلامي بخبر وفاة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا العالم الفقيه، فقد كتب د.بكري شيخ أمين يقول «مصائب كبرى متتالية وقعت على العالم الإسلامي في السنة الهجرية الماضية، تجلت في موت الشيخ عبدالعزيز بن باز في المحرم، ثم موت الشيخ علي الطنطاوي في صفر، وموت الشيخ مصطفى الزرقا في ربيع الأول، والشيخ مناع القطان في ربيع الثاني، وعلامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في جمادى الأولى، والفريق يحيى المعلمي في جمادى الثانية، ماتوا جميعاً في المملكة العربية السعودية، ودفنوا تحت ثراها، وبكاهم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وسيظل الناس يذكرون أعمالهم الكبيرة إلى أن تقوم الساعة، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها».

ففي يوم السبت ١٩ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ٣ يوليو ١٩٩٩م وافته المنية بعد أذان صلاة العصر، وهو جالس ينقح الفتاوى ويبوبها. رحم الله الشيخ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

البرلس الإسلامية.. بلد المعارك الكبرى

محمد ياقوت

إذا أردنا أن نصور «البرلس» في كلمات قليلة، فنستطيع أن نقول: إنها بقعة إسلامية جعل لها عمرو بن العاص رضي الله عنه أولوية في فتوحاته، وخصها بقائد كبير من قادته، هي بقعة أطنب المؤرخون في ذكر أهميتها واسترسلوا في عد مناقبها، وشرح خيراتها، وهي بقعة استهدفها الرومان الغزاة، ومن بعدهم الصليبيون البغاة، وتخرج فيها العلماء والفقهاء والدعاة، كان طلاب العلم يأتون إليها من تونس والمغرب والشام والقاهرة يطلبون العلم عند مشايخها أمثال علامة البرلس «ابن الأقيطع».. بلد المعارك الكبيرة، والحصون المنيعة، والحمامات الوفيرة، والزوايا الكريمة، والآثار العتيقة، والمناظر الساحرة الجذابة الأنيقة.. البحر من الشمال، والبحيرة من الجنوب، وبوغاز من الغرب، والخضرة من الشرق.. بقعة حصنها صلاح الدين، ودافع عنها الملك الكامل، وأكرمها الملك قايتباي، ورفع الملك برقوق عنها المكوس.

يقع إقليم البرلس على بعد ٢٠٠كم من القاهرة، شمال دلتا مصر، بين الإسكندرية من الغرب ودمياط من الشرق، وهي إحدى مراكز محافظة كفر الشيخ، وبلطيم هي عاصمة مركز البرلس.

ثغر البرلس

ورد ذكر اسم البرلس في كتب التاريخ الإسلامي مقرونا بلفظة «ثغر» (١). وهذا يدلك على الأهمية العسكرية للبرلس من حيث كونها موضع الرباط، ومحل الجياد، وبقعة فاصلة بين بلاد الكفر وبلاد الإسلام، لذا قال عنها الإمام السخاوي (٢) «البرلس ثغر عظيم من سواحل مصر» (٣).

وقال اليعقوبي «مدينة البرلس على ساحل البحر المالح، وهي موضع الرباط»(٤)، أي موضع الجيش والسلاح لترصد أي محاولة عدوان على الأراضي الإسلامية(٥).

خيرات البرلس

لقد مر بالبرلس الرحالة المغربي محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٩)، وأطنب في ذكر البرلس، ووصفها بأنها بلاد الصالحين، ثم وصف خيراتها من مزارع وبحيرات، ومما ذكره «... بلاد البرلس ونسترو، وهي بلاد الصالحين... فقصدت تلك البلاد، وهي كثيرة النخل والثمار والطير البحري والحوت- المعروف بالبوري- ومدينتهم تسمى ملطين (٦)، وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر المعروفة ببحيرة تنيس، ونسترو بمقربة منها.. نزلتُ هنالك بزاوية الشيخ شمس الدين القلوي، من الصالحين» (٧).

بلد الصحابة والعلماء

وعلى أثر الفتح الإسلامي لمصر سكن عدد من الصحابة بالبرلس منهم وردان مولى عمرو بن العاص، وغانم بن عياض الأشعري، قال المرتضى الزبيدي «ذكر أبو بكر الهروي أن بالبرلس، اثني عشر رجلا من الصحابة، لا تعرف أسماؤهم، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان بن داود الكوفي البرلسي الأسدي، حدَّث عن أبي اليَمان الحَكم بن نافع، وعنه أبوجعفر الطحاوي، وكان حافظا ثقة»(٨).

وقال الصاغاني(٩) «بُرُلُّس- بالضمات الثلاث وتشديد اللام- قرية من سواحل مصر يُنسَب إليها جماعة من أهل العلم»(١٠).

البحر من الشمال والبحيرة من الجنوب وبوغاز من الغرب والخضرة من الشرق .. موقع البرلس الاستراتيجي

فاتح البرلس

على أثر الفتح الإسلامي فُتحت البرلس في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان فاتحها وقائدها وحاكمها هو الصحابي الجليل غانم بن عياض الأشعري رضي الله عنه حفيد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولقد أحبه أهل البرلس وبلطيم لسماحته وعدله وحسن ولايته، وظل يحكم فيهم بأحكام الإسلام حتى توفي بينهم ودفن في تراب البرلس، وضريحه معروف بقرية برج البرلس، ولم يُكره أحدا من أهالي بلطيم والبرلس على الإسلام، وإنما دخلوا في الإسلام لتأثرهم بسماحة المسلمين، وللبون الشاسع الذي لاحظوه بين معاملة الرومان ومعاملة أهل الإسلام.

مولى عمرو بن العاص يموت مدافعًا عن البرلس

استهدف الرومان البرلس بعد فتحها كمحاولة منهم لاستردادها والانطلاق منها عبر سواحل مصر لإخراج المسلمين، وكان ذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وحدَث أن القوات الرومانية داهمت سواحلَ البرلس، فجاء الصريخ إلى الإسكندرية - وكان عليها علقمة بن يزيد القيطعي- أن الروم قد نزلوا البرلس فأغيثوها، فاستنفر علقمةُ الناسَ إليهم، فولى عليهم وردان مولى عمرو بن العاص فنفر بهم حتى قدم البرلس بجيشه، فوجد الروم بها، فاقتتلوا قتالا شديدا فاستشهد وردان ومن معه، وعدد من الصحابة منهم أبو رقية اللخمي - وكان على الخراج- فاستشهد وعائذ بن ثعلبة البلوي -وكان على الخيل- فاستشهد (١١).

وكان والي مصر في هذه الفترة هو مسلمة بن مخلد، وتوفي مسلمة وهو والٍ عليها، لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين، كانت ولايته عليها خمس عشرة سنة وأربعة أشهر، واستخلف عابس بن سعيد عليها (١٢).

ومكان هذه المعركة -على الأرجح- في موضع قرية العنابرة الآن، حيث بها عدد من القبور تنسب إلى جماعة من الصحابة.

نسترو (أو مستروه)

من معالم البرلس الإسلامية قرية

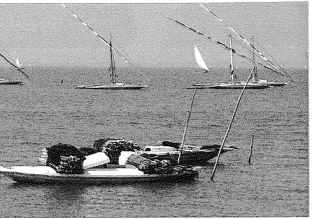
نستروه، تلك التي كان يستهدفها الصليبيون، فيتصدى رجالها مجاهدين صامدين، ومن هجمات الصليبيين على نستروه الهجمة التي وقعت سنة ٨١٩ هـ (١٣).
وارتبط اسم هذه القرية التاريخية ببحيرة نستروه، وجزيرةُ نستروه.
أما الجزيرة فيقول عنها صاحب معجم البلدان «نستروه جزيرة بين دمياط والإسكندرية، يصاد فيها السمك، وعليهم ضمان خمسين ألف دينار، وليس عندهم ماء، وإنما يأتيهم في المراكب فإذا لاحت لهم مراكب الماء ضربوا بوق البشارة سرورًا، ثم يأتي كل رجل بجرته يأخذ فيها الماء ويحملها إلى بيته» (١٤).

قضاء البرلس

ولما كانت للبرلس مكانتها بين أقاليم مصر - سواء في العهد الروماني أو في العهد الإسلامي- كان لها القدح المعلى في القضاء فاشتهرت البرلس بكثرة قضاتها، وكان بها دارٌ للقضاء مشهورة بين أقاليم مصر.
قال السمعاني «كل من ولي قضاء البرلس ولي قضاء مصر حتى إن القاضي إذا ولي البرلس صار الناس يهنئونه بقضاء مصر!» (١٥).

حصون صلاح الدين بالبرلس

ولأهمية البرلس الجهادية أنشأ بها القائدُ العظيم صلاح الدين الأيوبي حصنين كبيرين لحماية السواحل من غارات الصليبيين، وقد عُرف أحد الحصنين باسم «البرج»، واقترن هذا الاسم على مر السنين بالبرلس، حتى عرفت قرية «برج البرلس» بهذا الاسم نسبة لهذا الحصن، أما موضع الحصن الثاني فكان بموضع طابية عربي الآن، وقد قام الخديوي إسماعيل بترميم هذا الحصن عام ١٨٨٢م، وتبلغ مساحته ١٢٢,٥٠٠م٢، وصارت بعد ذلك موضع وحدة مدفعية تابعة للمجاهد الكبير أحمد عرابي ١٨٤١-١٩١١م لذا عُرفت باسمه، وكانت قلعة حربية قديمة من سلسلة التحصينات العسكرية التي أُقيمت لحماية مصر من الغزو البحري عبر البحر الأبيض المتوسط.



فنار البرلس

يعد فنار البرلس من أقدم الفنارات بمصر، وهو الفنار الوحيد المتبقي من مجموعة أنشأها الخديوي عباس، وقد أُنشئ فنار البرلس عام ١٨٦٩م على ارتفاع ستين مترًا، وقد صممه عدد من المهندسين الفرنسيين والإنجليز، والفنار الآن في عُهدة هيئة الآثار بالقرار الوزاري رقم ٤٦٣ لسنة ١٩٩٨، ويقع الفنار الآن في حدود قرية الشيخ مبارك التابعة لمركز البرلس (١٦).

معركة البرلس

من ضمن الثغور التي استهدفها العدوان الثلاثي على مصر ثغر البرلس، وقد ظهرت قوة أهل البرلس في هذه الملحمة حيث أظهر المجاهدون بطولات رائعة في محاولة صد المدمرة الفرنسية «جان بارت» ومن هؤلاء الأبطال جلال الدسوقي، إسماعيل فهمي، صبحي نصير، محمد البيومي، وجميعهم من القاهرة، وجول جمال البطل السوري ابن اللاذقية، وعلي صالح، ومحمد رفعت من الإسكندرية، وجمال رزق من المنصورة.

جرائم اليهود في البرلس

في سنة ١٩٦٩م ضرب اليهودُ البرلسَ ضربتين بالطيران الحربي «الفانتوم»، ضربة كانت في قاعدة الرادار- قرب قرية الكوم الأحمر- وقُتل فيها بنيران الجيش الصهيوني نحو ثلاثين جنديا مصريا، إضافة إلى بعض المدنيين من أهالي بلطيم، ودفنت جثث الأبرياء في مدفن بلطيم، وأُطلق على الشارع المجاور لهم «شارع الشهداء»، والضربة الصهيونية الثانية كانت في منطقة الكُربة في مدخل بلطيم وأدت إلى استشهاد امرأة من أهالي بلطيم، هي السيدة «كريمة محمد موسى».
ها قد رأيتَ هذه النبذة عن «البرلس» .. هذه النبذة الخفيفة تجعلنا نقول بكل ثقة: إن البرلس إسلامية التاريخ، إسلامية الحضارة، إسلامية العلم والأدب، وإن أهل البرلس وبلطيم كانوا مختلطين بالصحابة والمجاهدين والعلماء، فجاهدوا معهم، وتعلموا منهم.
وقد أوقف أهل البرلس وبلطيم أوقافا خيرية من عقارات ومدارس وصدقات في بلاد الحجاز وغيرها... وهذا يدلك على السمة السائدة بين أغنياء هذا العصر من خير وفضل، وبذل وعلم، وكان الواحد من أهالي بلطيم والبرلس تؤثر عنه رحلات في طلب العلم، ورحلاتٍ في الجهاد والرباط عند الثغور، وحسبك قصة «يعقوب بن محمد بن صديق البرلسي» (ت ٨٨٣هـ). وكان الواحد من أهالي البرلس يذهب إلى القاهرة يطلب العلم عند الإمام السخاوي أو غيره، ثم يرجع البرلس فيرسل ولدًا بعد ولد إلى القاهرة، يطلبون العلم عند العلماء والفقهاء والقراء، فلا يكاد يخلو بيت من عالم أو طالب علم.

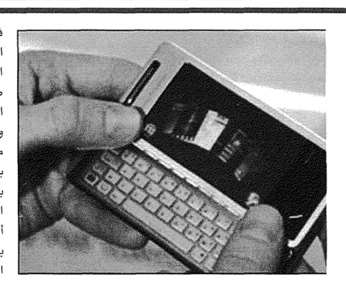
هوامش

(١) الثغر هو الموضع الذي يكون حدًا فاصلا بين الوطن والعدو، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.
(٢) هو الإمام المؤرخ الشافعي محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ) أصله من مدينة سخا بمحافظة كفر الشيخ، انظر الأعلام للزركلي (٦/١٩٤).
(٣) السخاوي، الضوء اللامع (٥ / ٣٣٥).
(٤) البلدان (١ / ٤٢).
(٥) وفي فضل المرابطة على الثغور يقول النبي ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ، جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ» (مسلم).
(٦) يقصد بلطيم.
(٧) رحلة ابن بطوطة، ص ٢١.
(٨) تاج العروس (١٥ / ٤٤٧).
(٩) الرضي الصاغاني (٥٧٧ - ٦٥٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٥٢ م) الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني الحنفي رضي الدين: أعلم أهل عصره في اللغة، وكان فقيها محدثا (الأعلام للزركلي٢/٢١٤).
(١٠) العباب الزاخر (١ / ٦).
(١١) انظر ابن عساكر: تاريخ دمشق (٦٢ / ٤٣٣).
(١٢) الكندي، ولاة مصر (١/١١).
(١٣) انظر ابن حجر، إنباء الغمر بأنباء العمر (٧ / ٢١٠).
(١٤) الحموي: معجم البلدان (٥/٢٨٤).
(١٥) الأنساب للسمعاني (١/٣٢٨).
(١٦) شاهد في جوجل إيرث مجموعة صور لحمدي أبو زيد عن بلطيم.



إعداد : علي الحربي

برنامج هاتفي للتذكير بأوقات الصلاة



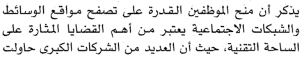
قام علماء في معهد جورجيا للتكنولوجيا في الولايات المتحدة بتطوير برنامج الكتروني يتيح لمستخدمي الهواتف المحمولة المسلمين معرفة أوقات الصلاة والتوجه بشكل صحيح نحو الكعبة وينبه المسلمين الى اقتراب مواعيد الصلاة وذلك بعرض صورة للشمس على الهاتف المحمول، وقال العلماء: ان ميزة البرنامج الجديد انه يتيح للمسلم معرفة أوقات الصلاة سواء كانت السماء صافية أو ملبدة بالغيوم أو عندما يكون داخل المباني المغلقة، وقال قسم برامج الكمبيوتر في المعهد. ان برنامجنا على عكس البرامج الأخرى يعتمد على الصور بدل النص من أجل الابلاغ عن أوقات الصلاة وتمت تجربة البرنامج في منطقة أتلانتا بالولايات المتحدة وسيزود بساعة رقمية وجهاز انذار يحدث اهتزازات خفيفة للتنبيه الى أوقات الصلاة.

تصفح الانترنت أثناء العمل يساهم في زيادة الانتاجية

أكدت دراسة جامعية حديثة أن السماح للموظفين بتصفح الانترنت والدخول الى الشبكات الاجتماعية والمواقع الالكترونية من شأنه أن يزيد من انتاجية الموظفين.

وكان الباحثون قد أكدوا في تقريرهم (Freedom to Surf)أن منح الموظفين امكانية الاتصال بشبكة الانترنت وتصفح مواقع الكترونية سيساهم في زيادة الانتاجية أثناء العمل.

إن منح الموظفين القدرة على تصفح الانترنت لمقدار معين من الوقت يقل عن ٢٠ في المائة من الوقت الفعلي للعمل سيساهم في جعل الموظفين أكثر انتاجاً بنسبة ٩ في المائة بالمقارنة مع من لم يُسمح لهم بتصفح الانترنت أثناء العمل.



يذكر أن منح الموظفين القدرة على تصفح مواقع الوسائط والشبكات الاجتماعية يعتبر من أهم القضايا المثارة على الساحة التقنية، حيث أن العديد من الشركات الكبرى حاولت على مدار السنوات الفائتة منع موظفيها من الدخول الى المواقع الالكترونية على الويب لأسباب متعلقة بمستوى انتاجية الموظفين، وأشارت الدراسة أن تحقيق ارتفاع في مستوى انتاجية الموظفين يتم الوصول اليه عبر عمليات تصفح محكومة بضوابط ومرتبطة بقيود وقواعد زمنية، حيث أكدت أن الإفراط في استخدام الانترنت سيسبب حدوث نقص في الانتاجية لأقل من معدلاتها الطبيعية.



ياهو تطرح رسميًا خدمة ياهو موبايل



طرحت شركة ياهو رسميًا خدمة ياهو موبايل لمتصفحات المحمول وiPhone. وأصبح متاحًا حاليًا على أكثر من ٣٠٠ هاتف محمول مزود بمتصفحات محمولة مزودة بخاصية HTML أو كتطبيق في iPhone App Store ويمكن الوصول الى الخدمة من الهواتف المحمولة من على http:// .new.m.yahoo.com

وتأتي خدمة ياهو موبايل بـ Yahoo oneSearch وYahoo News وYahoo oneConnect، الذي يجمع بين بريد الويب وYahoo Calendar وYahoo Address Book و Yahoo Messenger بالاضافة الى الشبكات الاجتماعية.

كما ستقدم الخدمة أيضًا ياهو ون بلس التي تسمح للمستخدمين بتجميع كل الروابط في محتويات المفضلة الخاصة بهم في مكان واحد.

آدامو الكمبيوتر الأقل سمكاً في العالم

أطلقت شركة ديل الحاسب المحمول الجديد آدامو الأقل سمكاً في العالم، مما يعني سهولة حمله وخفة وزنه. وهو يمثل خطوة رائدة في مجال منتجات الحوسبة الشخصية التي تتسم بمزيج من التصميم الجديد والجمال والخيارات الشخصية المتنوعة وأرقى أنواع التكنولوجيا وأكثرها جودة. والاطار الخاص بالجهاز الجديد مصنوع من قطعة واحدة من الألومنيوم تتميز بدقة التفاصيل. ولوحة المفاتيح الصدفية الى جانب شاشة عرض زجاجية عالية الجودة تحاكي أفضل ما توصلت اليه التكنولوجيا في هذا المجال ويتوفر آدامو بعدة طرازات مزودة اختيارياً بقرص تخزين خارجي بسعة ٢٥٠ جيجابايت أو ٥٠٠ جيجابايت. ومحرك أقراص «دي في دي» أو أسطوانة بلو راي وتوفر ديل لمقتني هذا الطراز العديد من الخدمات يأتي في مقدمتهاخدمة التدريب الفني على مدار الساعة وخدمة الصيانة والاصلاح في اليوم التالي مباشرة للابلاغ عن العطل.



برنامج يكتشف ويزيل التجسسية

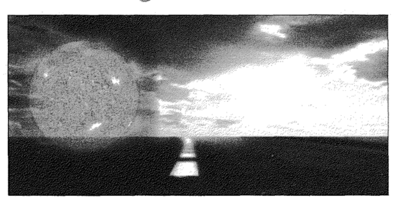


يمكنك من خلال برنامج سباي بوت Spybot Search and Destroy اكتشاف وازالة البرامج التجسسية من حاسبك. والبرامج التجسسية عبارة عن نوعية جديدة من التهديدات الامنية التي لا تستطيع التطبيقات المضادة للفيروسات من التعامل معها حتى الآن، وحال ملاحظتك لوجود شريط ادوات جديد في متصفح الويب انترنت اكسبلورر والذي لم تقم انت عن قصد بتركيبه، او لو ان ذاكرة المتصفح او الصفحة الرئيسية له تغيرت بدون علمك؛ فعليك ان تضع في اعتبارك -غالبا - أن حاسبك مصاب ببرنامج تجسس، وعلى كل حال وحتى ان لم تر اي اعراض فيظل احتمال اصابة حاسبك ببرنامج تجسس امر قائم، لانه يوجد العديد والجديد دوما من برامج التجسس التي تصمم لتعمل بصمت دون ان تشعرك باي شيء غريب، وتكون وظيفتها هي تتبع عاداتك وسلوكياتك في تصفح الويب؛ وذلك لانشاء سمة تسويقية خاصة بك، والتي يمكن بيعها لشركات التسويق والدعاية.

سباي بوت برنامج مجاني، وعليه فلا توجد مشكلة من تجربته، لترى او تتأكد من وجود متطفلات داخل حاسبك من عدمه.

إعداد : هالة محمد

أشعة الشمس تكافح السل



قالت منظمة الصحة العالمية: إن التهوية وبعض أشعة الشمس قد تمثل خطوة كبيرة للحد من مخاطر السل داخل المستشفيات والسجون وهي معاقل للمرض الرئوي المعدي.

ورفعت المنظمة التابعة للأمم المتحدة في أحدث تقرير عالمي لها حول مكافحة السل تقديرها لعدد المصابين بفيروس نقص المناعة المكتسب (اتش آي في) المسبب لمرض الأيدز الذين يصابون ويموتون بالسل، وحذرت بشكل خاص من أن السلالات القاتلة تواصل الانتشار في جميع أنحاء العالم.

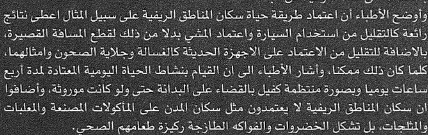
وقال «ماريو رافيجليوني» مدير قسم مكافحة السل بمنظمة الصحة العالمية: نظرا لنمو بكتيريا السل بقوة في الهواء غير المتجدد يمكن «لمجرد فتح الأبوب» ان يحد من فرص اصابة مرضى ونزلاء واشخاص آخرين بالمرض الذي ادى الى وفاة نحو ١٫٨ مليون شخص عام ٢٠٠٧م.

لبن خاص لعلاج تـ

قال باحثون يابانيون: إن نوعا جديداً من اللبن يمكن أن يكون له التأثير نفسه للقاحات المستخدمة في مكافحة البكتريا المسببة لالتهابات المعدة وتقرحها.

وأوضح الصيدلاني الياباني هاجيمي هاتا، الذي يعمل في جامعة كيوتو للنساء في كيوتو باليابان، ان اللبن الجديد يشكل مقارنة فريدة من نوعها بمكافحة تقرحات المعدة. وقال هاتا: إن الناس سيتمتعون الآن باللبن الجديد، وفي الوقت ذاته سيمنع أو يقضي على البكتريا التي تسبب تقرحات المعدة موضحا أن البكتريا المسؤولة عن تقرحات المعدة Helicobacterr أوH -pyiori تعتمد على بروتين اسمه Urease تلتصق ببطانة المعدة وتصيبها بالالتهاب.

وأشار الى انه تم استخدام تكنولوجيا لقاحات تقليدية، وذلك بحقن طيور دجاج ببروتين Urease والسماح لاجهزة مناعتها بانتاج أجسام مضادة له، وبعد ذلك قام الباحثون بجمع المضاد الحيوي Urease- LgY من بيض الدجاج واستعان العلماء بـ ٤٢ شخصا



الحياة الريفية لمحاربة البدانة الموروثة

من السهل جداً أن يحمل بعض البدناء أو البدينات على شماعة الوالد أو الوالدة بالقول: انها مسألة وراثية ليخلي مسؤوليته وينفض يديه عما يفعله أو لا يفعله في هذه الحياة، لكن الطب الحديث يقول: ان في الامكان التغلب على البدانة الموروثة بطريقة بسيطة للغاية تتلخص في الحركة، وفي القيام بالأعمال اليومية المعتادة بدلاً من الركون للكسل.

ويقول أطباء أميركيون من جامعة ميامي: انهم تابعوا احوال عدة آلاف من الاشخاص لمعرفة حقيقة البدانة الموروثة، فتبين ان النشاطات البدنية البسيطة وعلى اختلاف انواعها كفيلة، مع تناول الطعام الصحي بالقضاء على هذه النوعية من البدانة.



وأوضح الأطباء أن اعتماد طريقة حياة سكان المناطق الريفية على سبيل المثال اعطى نتائج رائعة كالتقليل من استخدام السيارة واعتماد المشي بدلا من ذلك لقطع المسافة القصيرة، بالاضافة للتقليل من الاعتماد على الاجهزة الحديثة كالغسالة وجلاية الصحون وامثالهما، كلما كان ذلك ممكنا، وأشار الأطباء الى ان القيام بنشاط الحياة اليومية المعتادة لمدة أربع ساعات يوميا وبصورة منتظمة كفيل بالقضاء على البدانة حتى ولو كانت موروثة، وأضافوا ان سكان المناطق الريفية لا يعتمدون مثل سكان المدن على المأكولات المصنعة والمعلبات والمثلجات، بل تشكل الخضروات والفواكه الطازجة ركيزة طعامهم الصحي.

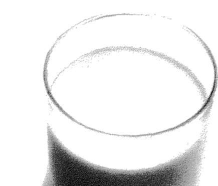
شريحة تحت الجلد لتحديد أماكن الاشخاص

توصلت شركات التكنولوجيا المكسيكية إلى تقنية جديدة تسهم في الحد من ظاهرة الاختطاف عن طريق زرع شريحة كمبيوتر تحت الجلد بقدر حبة الأرز لتحديد مواقع المختطفين والمفقودين، وتتصل الشريحة بالقمر الصناعي حيث يبدأ عملها فور تعرض الشخص لمحنة ما وذلك بالضغط على مفتاح خارجي فترسل هذه الشريحة إشارات عبر الأقمار الصناعية لتصل بعدها الى الشركة المصنعة التي تبلغ رجال الأمن بأن الشخص قد تعرض للخطر.



قرحات المعدة





أظهرت الفحوصات أن نتائجها كانت ايجابية لهذه البكتريا، اذ طلب منهم تناول كوبين يوميا إما من اللبن العادي أو اللبن الذي يحتوي على المضاد الحيوي لأربعة أسابيع. إذ تبين أن مستويات اليوريا وبروتين Urease خفت بشكل كبير عند المجموعة التي كان في أكواب اللبن التي تناولتها مضادات حيوية مقارنة بالمجموعة التي تناولت لبنا عادياً، مما يعني بحسب العلماء تراجعاً في نشاط البكتريا.

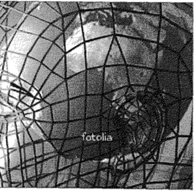
وحذر هاتا من أن اللبن الجديد ليس ملائما للذين لديهم حساسية للحليب أو البيض.

رصد أخطاء الدماغ قبل ارتكابها

تمكن علماء أميركيون وهولنديون من التعرف على انماط واضحة من تموجات «ألفا» تظهر في منطقتين من الدماغ قبل لحظات من ارتكاب المرء اخطاء بسبب تشتت انتباهه.

وأفاد الباحثون «أولي جينسن وعلي مزاهري وزملاؤهما»، بأن نتائج الدراسة قد تستخدم في تطبيقات مختلفة من تطوير اجهزة رصد الحركة الجوية التي تنبه مشغلي المراقبين إلى تشتت انتباههم، الى ابتكار استراتيجيات جديدة لمساعدة الاطفال الذين يعانون من اضطرابات قصور الانتباه وفرط النشاط.

وقال «مزاهري» ان الدراسات السابقة ركزت على رد المخ بعد ارتكاب الأخطاء مضيفا ان ما يبحث عنه هو «حالة الدماغ قبل ارتكاب الخطأ لأن هذا ما سيكشف لنا سبب ارتكابنا للخطأ».



وطلب الى المشاركين في التجارب على سبيل المثال الجلوس أمام شاشة الكمبيوتر ومراقبة الأرقام التي تومض مرة كل ثانيتين، والضغط على زر قريب منهم كلما رأوا الرقم ٥ وأوضح مزاهري: ان الاختبار كان مملا لدرجة أنه عند ظهور الرقم ٥ على الشاشة، لم يجد المشاركون ضغط الزر في الوقت المناسب إلا في ٤٠ في المائة من الحالات.

وبعد تحليل البيانات، وجد فريق البحث انه قبل ثانية واحدة على ارتكاب الخطأ كانت الموجات في منطقتين من المخ أقوى منها في مناطق أخرى.



لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبد الرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com



فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

تعليق اللقطة في المسجد

بعض المصلين يفقدون مفاتيحهم أو ساعاتهم أو ما أشبه ذلك، فيقوم الموظفون بتعليقها داخل المسجد للتعريف عنها.. فهل يعتبر هذا العمل من الأمور المنهي عنها بالقياس على النهي عن إنشاد الضالة؟

● إن هذا التعليق للمفقودات داخل المسجد ليس من قبيل نشدان الضالة المنهي عنه، بل هو من قبيل الإعلان عنها وإشهارها ليعلم بها صاحبها فيأخذها من المؤذن أو الإمام، وهذا خاص باللقطة المفقودة داخل المسجد.

زكاة الدين

هل الديون عليها زكاة؟ وإذا كان عليها زكاة، فمن يتحمل إخراجها؟ الدائن أم المدين؟

● إن كان الدين على مليء (أي: واجد غير معسر) فيجب على الدائن زكاته، إلا أنه لا يلزمه إخراجها حتى يقبضه فيؤدي عما مضى، وأما إن كان على معسر، أو جاحد أو مماطل، فلا يجب عليه زكاته إلا إذا قبضه، فيضمه إلى سائر ماله، ويزكيه عند الحول بعد القبض، فإن لم يكن له مال غيره فإنه يستأنف به حولا جديدا منذ أن يبلغ النصاب.

هل على الأرض المتنازع عليها بين ورثة أو ملاك زكاة؟ مع العلم بأن الأرض في حوزة القاضي، وحال عليها حول أو أكثر، وإن كان عليها زكاة فكيف يتم ذلك؟

● إن الأرض المتنازع عليها لا تجب فيها الزكاة، حتى تثبت ملكيتها، فإذا ثبتت ملكيتها لشخص ما فإنه يجب عليه أن يدفع الزكاة عنها، فيقومها بآخر كل عام بقيمتها السوقية، هذا إذا نوى بها التجارة، أما إذا لم ينو التجارة فليس فيها زكاة إلا أن يتصدق.

طواف الوداع والإفاضة للحائض والنفساء

هل على المرأة الحائض طواف الإفاضة مع السعي أم فقط السعي وهي تريد السفر إلى بلدها؟ وماذا عليها كذلك بالنسبة لطواف الوداع؟

● لا يجوز للمرأة أن تطوف بالبيت وهي حائض إلا إذا خافت فوات الرفقة، فقد أجاز لها بعض العلماء أن تعتصب وتطوف بالبيت وعليها بدنة، ويسقط طواف الوداع عن الحائض والنفساء.

الحلف بالطلاق

رجل قال لصاحبه: عليَّ الطلاق، أن تأكل عندي اليوم، فلم يستجب له صاحبه.. فما الحكم؟

فسألته اللجنة عن سبب سؤاله؟ فأجاب: لأنني إمام مسجد، وهذه أمور يكثر السؤال عنها، وأريد معرفة الحكم الشرعي.

● بأنه يعتبر يمينا يكفر عنه كفارة يمين إذا لم يقصد الحالف بهذا اللفظ طلاقا، علماً بأنه لا يجوز الحلف بغير الله تعالى، لقول النبي ﷺ «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (متفق عليه).

بيع التبغ والدخان وسائر المكروهات

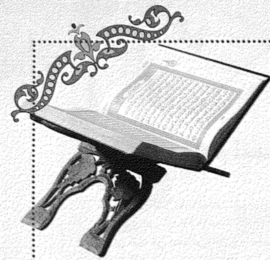
إحدى الجمعيات التعاونية تقوم ببيع بعض السلع ومنها السجائر كما أنها تقوم بتوزيع صافي الربح في نهاية كل سنة مالية للجمعية.

لذا يرجى الإفادة عن حكم الشرع في توزيع الأرباح على المساهمين

أهالي المنطقة المتحصلة من بيع السجائر سنويا.

● يجوز توزيع هذه الأرباح مع الكراهة، وذلك أن القول بحكم تجارة التبغ أو الدخان مبني على القول بحل تعاطيه أو بحرمته أو كراهيته، وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في هذا الحكم، وأعدل الأقوال أن تعاطيه مكروه تنزيها، وقد يكون حراما إذا تأكد أن تعاطيه مضر لمن تعاطاه ضررا بليغا، وبناء عليه تكون التجارة فيه مكروهة.

- وتوصي اللجنة إدارات الجمعيات بالاستغناء عن بيع السجائر، لأن الأولى عدم بيعها.



تأجير الرخصة التجارية

هل يجوز استخراج إجازة محل لتاجر يبيع بضاعة لنفسه مقابل مبلغ من المال كل سنة؟

● إن حكم بيع أو تأجير الرخصة مرتبط بحكم ولي الأمر (الجهة المانحة) فإن سمح بذلك فهو جائز، وإن منعه فلا يجوز.

التعامل مع البنوك الربوية فيما لا علاقة له بالربا

نحن نعلم أن التعامل مع البنوك الربوية حرام، ولكن إذا كان التعامل معها بأمور لا يدخل فيها الربا (الحساب الجاري مثلا) فهل هذا جائز؟

● لا يجوز فتح حساب في البنوك التي تتعامل بالربا إذا كان الغرض من الإيداع الانتفاع بالفائدة، وأما فتح الحساب الجاري بدون أخذ فوائد ربوية عليه فإنه يجوز للضرورة مع الكراهة.

من القواعد الفقهية

- إذا أمر اللهُ نبيَّه بأمر أو نهاه عن شيء كانت أمّته أسوة له في ذلك، ما لم يقم دليلٌ على اختصاصه بذلك.

- الأصلُ التأسّي بالنبي ﷺ ومشاركةُ الأمّة له في الأحكام إلا ما دلّ الدليل على تخصيصه به.

-إذا تعارض قولُ النبي ﷺ وفعلُه، قُدِّم قولُه؛ لأنه أمْرٌ أو نهْيٌ للأمّة، وحُمِل فعلُه على الخصوصية له.

فخصائصُ النبي ﷺ تنبني على هذا الأصل.

-لا بدّ للخصوصية من دليل يدلُّ على اختصاص الفعل بالنبي ﷺ، وإلا فسيدخل كثير من الأحكام في باب الخصوصية بالظنّ والاحتمال.

-الأصلُ في التشريع وخطاب الأمة هو: القول، ولا يتطرّقُ إليه من الاحتمالات مايتطرّق للفعل.

رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة - للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

من فتاوى مجمع الفقهي الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)

بعد استعراض مجلس المجمع الفقه الإسلامي لما تقدم من بحوث وفتاوى، فإن مجلس المجمع تبين له ما يلي:

١- أن الأذان من شعائر الإسلام التعبدية الظاهرة، المعلومة من الدين بالضرورة بالنص وإجماع المسلمين، ولهذا فالأذان من العلامات الفارقة بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر، وقد حكي الاتفاق على أنه لو اتفق أهل بلد على تركه لقوتلوا.

٢ - التوارث بين المسلمين من تاريخ تشريعه في السنة الأولى من الهجرة وإلى الآن، ينقل العمل المستمر بالأذان لكل صلاة من الصلوات الخمس في كل مسجد، وإن تعددت المساجد في البلد الواحد.

٣ - في حديث مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ قال «إذا حضَرت الصلاة فلْيُؤذِّنْ لكم أحدُكم ولْيَؤمَّكم أكبرُكم». (متفق عليه).

٤- أن النية من شروط الأذان، ولهذا لا يصح من المجنون ولا من السكران ونحوهما، لعدم وجود النية في أدائه، فكذلك في التسجيل المذكور.

٥ - أن الأذان عبادة بدنية، قال ابن قدامة- رحمه الله تعالى- في المغني ٤٢٥/١ «وليس للرجل أن يبني على أذان غيره لأنه عبادة بدنية فلا يصح من شخصين كالصلاة» ا.هـ.

٦ - أن في توحيد الأذان للمساجد بواسطة مسجل الصوت على الوجه المذكور عدة محاذير ومخاطر منها ما يلي:

أ - أنه يرتبط بمشروعية الأذان أن لكل صلاة في كل مسجد سننًا وآدابًا، ففي الأذان عن طريق التسجيل تفويت لها وإماتة لنشرها مع فوات شرط النية فيه.

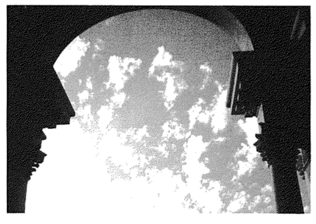
ب - أنه يفتح على المسلمين باب التلاعب بالدين، ودخول البدع على المسلمين في عباداتهم وشعائرهم، لما يفضي إليه من ترك الأذان بالكلية والاكتفاء بالتسجيل.

وبناء على ما تقدم فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي يقرر ما يلي:

أن الاكتفاء بإذاعة الأذان في المساجد عند دخول وقت الصلاة بواسطة آلة التسجيل ونحوها لا يجزئ، ولا يجوز في أداء هذه العبادة، ولا يحصل به الأذان المشروع، وأنه يجب على المسلمين مباشرة الأذان لكل وقت من أوقات الصلوات في كل مسجد على ما توارثه المسلمون من عهد نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلى الآن.

إعداد: فاطمة الدعي

حكم قيمة من حكيم



قال حكيم:
مررت على كثير فاستفدت منهم ثماني حكم

- إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك
- وإن كنت في مجالس الناس فاحفظ لسانك
- وإن كنت في بيوت الناس فاحفظ بصرك
- وإن كنت على الطعام فاحفظ معدتك.
- واثنان لا تذكرهما أبدا: إساءة الناس لك وإحسانك إلى الناس.
- واثنان لا تنسهما أبدا: الله عز وجل والدار الآخرة.

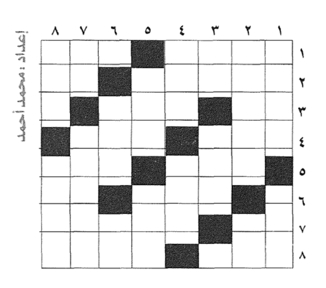
عشرون مهارة تجعلك محبوبا بين الناس

- ابدأالآخرين بالسلام والتحية، ففي السلام تهيئة وتطمين للطرف الآخر.
- ابتسم، فالابتسامة مفعولها سحري وفيها استمالة للقلوب.
- أظهر الاهتمام والتقدير للطرف الآخر وعامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
- للناس أفراح وأتراح، فشاركهم في كل الأحوال تنل رضاهم.
- اقض حاجات الآخرين تصل إلى قلوبهم، فالنفوس تميل إلى من يقضي حاجاتها.
- في تفقدالغائب والسؤال عنه ضمان لكسب الود وجذب القلوب.
- لا تبخل بالهدية ولو قلّ سعرها، فقيمتها معنوية أكثر منها مادية.
- أظهر الحب وصرّح به، فكلمات الود تأسر القلوب.
- تفنن في تقديم النصيحة، ولا تجعلها فضيحة.
- حدث الآخرين بمجال اهتمامهم، فالفرد يميل إلى من يحاوره في مدار اهتمامه.
- كن إيجابياً متفائلاً، وابعث البشرى لمن حولك.
- انتق كلماتك ترتفع مكانتك، فالكلمة الحسنه خير وسيلة لاستمالة القلوب.



- تواضع، فالناس ينفرون ممن يستعلي عليهم.
- تجنب تصيُّد عيوب الآخرين، وانشغل بإصلاح عيوبك.
- تعلم فن الإنصات، فالناس تحب من يصغي لها.
- وسع دائرة معارفك، واكسب في كل يوم صديقا.
- اسع لتنويع تخصصاتك واهتماماتك، تتسع دائرة معارفك وصداقاتك.
- إذا قدمت معروفاً لشخص ما، فلا تنتظر منه مقابلا.

الكلمات المتقاطعة



أفقيا

١- من أسماء الذكور، ومعناه: سمع الله (بالعبرية). وقيل في ذلك: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما دعا الله ان يرزقه بابن، وسمع الله دعاءه، ورزقه بهذا الابن، اسماه هكذا عندما ولد.

٢- من أسماء الذكور، وهو: نوع من الأجرام السماوية، والتي تتفاوت في احجامها، والكثير منها اذا دخل المجال الجوي للأرض، احترق - بسط (معكوسة).

٣- من أسماء الذكور، وهو: صفة لمن حسن قولاً، أو فعلاً، أو شكلاً- من أسماء الذكور، وهو تصغير: حسن، وحسن: الجميل.

٤- اسم مدينة، قيل: أنها اسم عاصمة عاد (وقيل: بل اسم قبيلة من قبائل عاد)، وعاد: هم قوم سيدنا هود عليه السلام، وتلك المدينة هي التي لم يخلق مثلها في البلاد، وعن موقعها، فقد اختلف فيه، وذكر البعض انها كانت في مصر - حرف جر.

٥- من أسماء الذكور، وهو: الفتى من الابل.

٦- من أسماء الذكور، وهو: صفة مشبهة، تعني: الجميل، وهو على وزن (فعل)، من: حسن، وحسن حسنا: جمل، اي ان معنى هذا الاسم: الجميل - من اسماء الذكور، ومعناه: الصعوبة، والشدة (معكوسة).

٧- من أسماء الذكور، ويعني: الشخص عنيف الطباع - من أسماء الذكور، ومعناه: القوة، والغلبة، كذا: الندرة، كذا: الحب.

٨- متشابهان - من اسماء الاناث، وهو: تصغير: (زبدة)، وهي القطعة من: الزبد، والزبد هو: ما يستخرج من اللبن بالمخض.

رأسياً:

١- من أسماء الإناث، وتعني: أحزان - من الأقارب.

٢- من أسماء الإناث، وهو: تصغير: (سهر)، والسهر: عدم النوم، كل، أو بعض الليل - حزم.

٣- من أسماء الخمر (معكوسة) - شيء خفي.

٤- والد - من أسماء الإناث، وهو: شجر حسن الشكل، طيب الرائحة (معكوسة).

٥- أحسن الصنع، كذا: أحسن التدبير - شتم.

٦- متشابهان.

٧- من أسماء الذكور، وهو: صيغة مبالغة على وزن (فعيل) من: لطف، ولطف لطفا: رأف، كذا: رق - من أسماء الذكور، ومعناه: الرضا، والاطمئنان، والسعادة، وهو ضد: الشقاء.

٨- من أسماء الإناث، وهي: جمع: مُنية، والمنية: ما يتمنى الشخص تحقيقه - من أسماء الإناث، وهو: الغزالة الصغيرة.

حل العدد السابق

	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12
1	ب	ع	و	ض	ة		خ	ن	ا	ز	ي	ر
2	ا	ن	ح	ف		ر	م	ح		ج	ن	ا
3	د	ك	ل	ا		ر		ل	م	ن		م
4	ر	ب		د	ا	ر	ج		م	ا	ز	ح
5		و	ر	ع			م	ي	م		ع	
6	ح	ت	ى		ا	ب	ل			ق	م	ل
7	ي		ز	هـ	و	ر		ق	م	ر		ح
8	ة	ر	و	س	ق		ب		هـ	د	هـ	د
9		ل		ر	ر		ب	ق	ر	ة		
10	ب	ا	ر	غ		ذ	ب	ا	ب		و	س
11	ل	ي	ف			ء		س	هـ	ر	ا	ن
12	ك	ب	ش		س	ب	ع			ح	و	ت



حقيقة محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

يحيى العقيلي

حديثنا اليوم هو الذي لا يمل، ولا ييأس محدثه ولايكاد، حديثنا عن الرحمة المهداة والنعمة المسداة، حديثنا عن خير البرية ومعلم البشرية، حديثنا عن الهادي البشير والسراج المنير عن صاحب الحوض المورود واللواء المحمود والشفيع في اليوم الموعود، حديثنا عن خاتم النبيين وسيد المرسلين، عن النبي المجتبي والرسول المصطفى محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه عدد ما ذكره الذاكرون الأبرار وأحبه الصالحون الأخيار وعدد قطرات الأمطار وجريان الأنهار وعدد ذرات البراري والقفار وما تعاقب الليل والنهار صلاة وسلاماً أتمان أكملان نذخر ذخرها مغفرة ورضوانا عند الواحد الديان، وهل هناك أحلى للقلوب من ذكر الحبيب المحبوب وأجلى للبصائر من سنة النبي المجتبى وأنس للأرواح من سيرة الرسول المصطفى ﷺ.

ومن منا لا يشتاق لرؤية الحبيب المصطفى ﷺ؟ من منا لا يخشى أن يُحرم من رؤيته الميمونة وشفاعته الموعودة وعن حوضه المورود في اليوم الموعود؟ أليس حريابنا أن نجعل قضية محبته أجل القضايا تدبراً وفقها، وعلما وعملا، وتربية ودعوة، ومحاسبة للنفس وتقويماً، في زمن تزينت فيه الدنيا لأهلها واخضرت، وتعددت فيه الفتن وأضلت، وتشعبت فيه الأهواء وأغوت، وزاغت فيه الأبصار وطغت، في زمن ترك فيه هدي خير الأنام لشطحات الأقلام وتدليس الإعلام، في زمن ظن البعض أن حب المصطفى ﷺ هو عاطفة جياشة يهيم بها الفؤاد عند ذكره ثم تمضي، أما الأفكار والمبادئ أما السلوك والأخلاق أما التشريع والحكم أما أسلوب الحياة ومنهجها أما السياسة وقواعدها أما الاقتصاد ونظمه أما الولاء والبراء أما النصرة والانتماء أما القدوات والأسوات، فكل هذا في أودية السبل والأدواء، وفي مهاوي القناعات الشخصية والآراء وتحت سلطان المصالح الدنيوية والأهواء.

إن محبة الرسول ﷺ هي قاعدة من قواعد الإيمان، وركن من أركان العقيدة، وفريضة من فرائض الدين، ينبغي أن نفقه معناها وان نحقق متطلباتها ونلتزم أحكامها، وما العاطفة التي نكنها للمصطفى ﷺ إلا دليل من دلائلها، وشاهد من شواهدها، كما هي باب للتأدب بآدابها والانقياد لأحكامها، ليحقق المرء بذلك حقيقة المحبة ومقصودها، وينال ثمرتها وثوابها، فكلنا يرنو لأن يحشر في زمرة الحبيب المصطفى ﷺ وينال شفاعته، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه: أن رجلا سأل النبي: متى الساعة؟ قال «وما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولاصوم، ولكني أحب الله ورسوله. قال «أنت مع من أحببت».

كلنا يشتاق لأن يرد حوضه ليهنأ من يديه الشريفتين بشربة لا يظمأ بعدها أبداً، حين يطرد عنه فئام من أمته تسموا بالمسلمين ولكنهم لم يحققوا المحبة له ﷺ كما ينبغي.

كان النبي ﷺ يخطب على جذع نخلة، فلما بني له المنبرُ صعد عليه خطيباً فإذا بالجذع يحنّ إلى رسول الله ﷺ وسمع له الناس نحيبا كبكاء ولد الناقة لأمه، فنزل النبي الرحمة المهداة ﷺ من على المنبر فوضع يده على الجذع فسكنه فسكن، فكان الحسن البصري رحمه الله إذا ذكر حنين الجذع وبكاءه يقول «يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إلى لقائه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه»، وروى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً «من أشد أمتي لي حبا، ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله».

فحققوا رحمكم الله شروط المحبة له ﷺ بالصلاة والسلام عليه عند ذكره، وبالاقتداء بسيرته العطرة والتخلق بأخلاقه السامية والاتباع لسنته الراشدة والاحتكام لشريعته الكاملة والتأدب بآدابه الرفيعة، حققوها بنصرة دينه والدعوة لرسالته والانتماء لأمته، وبتربية أبنائنا ونسائنا على حبه والاقتداء به وتعلم سنته ودراسة سيرته ليكون حقا هو القدوة والأسوة، فذلك هو عنوان السعادة في الدنيا وطوق النجاة في الآخرة قال تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.